من المسرح العالمى

٩٥

من الأعمال المختارة - جورج شحاده - ١

• حكاية ڤاسكو
• السيد بوبل

في هذا العدد

من الاعمال المختارة (جورج شحادة ـ ١)

ترجمة وتقديم : أدونيس

يضم هذا المجلد مسرحيتين للكاتب اللبناني الاصل جورج شحادة الذى استطاع ان يثبت نفسه بجدارة أمام عمالقة المسرح الفرنسي المعاصرين .

١ ـ السيد بوبل :

هي مسرحية الكاتب الاولى . كتبها ١٩٣٦ ، وتتألف هذه المسرحية من ثلاثة فصول . وهي قصة رجل رائع فى لطافته وجاذبيته الى درجة الغرابة ، تحتم عليه ان يهجر قريته « باولا سكالا » للعناية باعماله فى جزيرة غامضة وحين يعود الى قريته يسقط مريضا فى طريق العودة ويموت فى مرفأ بعيد .

٢ ـ حكاية فاسكو :

تتألف هذه المسرحية من ست لوحات وتجرى احداثها حوالى ١٨٥٠ فى أثناء حرب قائمة فى احدى البلاد . للقائد الميرادور جنرال افكار شخصية جدا عن الشجاعة والخوف ، فهو لا يحب الاشخاص الشجعان بل يحب الخائفين . فهؤلاء كما يزعم يتمتعون بحس خاص هو « حس الفروقات » كما يسميه .

ولم يعثر الميرادور القائد على شخص يملك هذا الحس باستثناء فاسكو الحلاق الصغير الذى يقيم فى قرية اسمها سوسو .

« حكاية فاسكو » هي المسرحية الثالثة لجورج شحادة وقد ترجمت الى معظم اللغات الحية . وثمة شبه اجماع على انها اكثر مسرحياته كمالا . فبناؤها المسرحي كامل وهي تنضح بشعر ساحر وفيها تتآلف السخرية العذبة والمأساة المرة بشكل نادر كثيرا ما يقارن بمسرح لوركا .

مسلسلة
من
المسرح العالمي

سلسلة يشرف عليها

أحمد مشاري العدواني
الوكيل المساعد للشئون الفنية

د. عادل سلامة
أستاذ الأدب الإنجليزي المساعد بجامعة الكويت

المراسلات باسم :

الوكيل المساعد للشئون الفنية
وزارة الإعلام
الكويت - ص.ب. ١٩٣

من المسرح العالمي
أول ابريل ١٩٧٣
شهرية



من الأعمال المختارة - جورج شحاده ١

* حكاية ڤاسكو
* السيد بوبل

تصدر عن : وزارة الإعلام - الكويت

مقدمة عامة
بقلم المترجم

من يحلم يمتزج بالهواء
خواطر حول مسرح جورج شحاده

ليس مسرح جورج شحادة منفصلا عن الواقع لكنه ليس متحدا معه . انه يتحرك فى نقطة ليست واقعا ولا حلما اى أنها الواقع والحلم فى آن . ولنقل بتعبير آخر انه يرفع الواقع الى مستوى الحلم . لذلك لا يعجبنا لانه يمثل الحياة الواقعية التي نحياها بل لانه يقدم لنا حياة اخرى زائدة عليها . وهكذا يشعرنا ان الحياة التي يقدمها هي فى آن حياتنا وحياة اخرى . نحن اذن ازاء مسرح شحادة كأننا ازاء حلم : لانحبه لما يتضمنه بقدر ما نحبه لما يوحي به ، للعالم الذى يفتحه امامنا. فالاحداث التي تجرى فى هذا المسرح تشبه الاحداث التى تجرى فى الحلم وكما أن لحلم ليس الاحداث التي يتضمنها بل شيء آخر . فكذلك مسرح جورج شحادة : ليست الاحداث فيه الا حجبا ينبغي تمزيقها لنصل الى ما تخبيء وراءها من الضوء . وهي لذلك كاحداث الحلم : لا يصح ان نسأل ازاءها هل هي صحيحة ام خاطئة ، واقعية ام وهمية . انها موجودة وحسب . وفى هذا المستوى يقدم لنا مسرح جورج شحادة وسطا ينحل فيه التناقض بين **الواقع والحلم** فى واقع جديد بلا تناقضات . لكن هذا الواقع احتمال وامكان . ليس حضورا حقيقيا راهنا ومقبلا وانما هو الاحساس بمثل هذا الحضور . ليس شيئا يمكن الوصول اليه وامتلاكه . بل شيء لابد من ابتكاره لاننا لا نملكه ولانه يبتعد عنا بقدر ما نجهد للاقتراب منه .

« من يحلم يمتزج بالهواء » يقول جورج شحادة . نستطيع ان نكتب هذا القول في صيغة أخرى من يحلم يمتزج بالواقع . اى يدخل فى عالم بلا حدود . ويريد جورج شحادة لقارئه ان يدخل فى عالم بلا حدود . ومنذ ان يدخل القارىء هذا العالم تبرز امامه اشارات كثيرة : ثمة شيء مغلق ، غامض يواكبه ثمة شقوق واسعة تحيط به وتسير معه . لكنه يشعر فى الوقت ذاته ان لكل شيء امتدادا فيما حوله . للشجرة وراء اوراقها وجذورها الظاهرة أوراقا وجذورا اخرى تمتد فى غابة العالم . واذ يتقدم فى هذه الغابة يحس أنه ينتقل من عالم منغلق الى عالم منفتح . وبقدر مايتقدم يحس بهذا الجدل بين المنغلق والمنفتح : المنغلق يطردنا من مملكة الامكان والمنفتح يستبقينا فيها . نحن أذن في عالم لسنا فيه . نحن فى مكان آخر : ومن هنا ينبع المأساوى . لكن المأساوى عند جورج شحادة لا يكمن فى الحكاية بل فى المعنى . لايكمن فى ظاهر الحدث بل فى باطنه . وهو لذلك لا يعلمنا شيئا نجهله اى لا يقص وانما يجعلنا نكتشف المأساوى الساكن فينا ونتعمقه . ونحن لا نكتشفه ونتعمقه فكريا بل جماليا . فالمأساوى عند جورج شحادة مقولة جمالية . ومن هنا يدخلنا فى عالم آمل يائـــس معـــا مضيء معتـــم معا .

الدخـــــول سفـــر .

الاشياء كلها تستعصي على الشخص المقيم . البيت قبر آخر . وكل من يلازم البيت ميت آخر . فالاشياء كلها تستسلم لمن يقيم فى السفر . ثمة دائما حياة اخرى ومكان آخر يَعِدُ بهما السفر . انهما الضوء الذى يترصده ويتجه نحوه شخوص جورج شحــــــادة .

السفر اكتشاف : فى السفر نعرف الحضور والغياب فى آن . الموجود وغير الموجود . الغياب يزداد تبعا لازدياد الحضور . صحيح ان نهاية السفر الموت . لكن لاموت السفر بل موت المسافر . غير ان الموت هنا امتلاء : المسافر يبحث عما يملأ فراغه وليس الموت في نهاية سفره الا جزءا مما يملأ هذا الفراغ . السفر بذاته نداء حياة لأنــه جــذر حياة . انه اقتران بالزمن ، بالطفولة وطرفها الاخر : الشيخوخة ــ الجذر والثمرة . هكذا يعود المسافر : نقطة الوصول تتوحد مع نقطة الرحيل . الطريق دائرية : الطريق هي زمن الفصول .

ان فى شخوص جورج شحادة شيئا من شخص لا يفعل غير السفر : غير ان يذهب ويغامر ويبحث . شخص يتجه الى الامام ولا يهجس الآتيه . يمضي دون ان

يلتفت الى الوراء ، يمينا او شمالا . لا يعود . لا يتوقف . لا يأبه . يطارد ما لا ادرى .كالماء الجارى . جزء من مبدأ الحركة في الكون . من الصيرورة لا من الكينونة . ومن يذهب ، اى من يسافر ، لا وقت له ليقيم ، اى ليكون . فمن يذهب هو وحده مـــن يعمـــل .

البراءة لا تعرف بل تعمل . والانسان يحظي بالبراءة حين يحظي باتجاه السير ويطيع الدعوة الطبيعية للحركة التى هي الذهاب، التقدم ، اى السفر ، فى هذا السفر نحظي احيانا بالموت . مع ذلك يسافر فاسكو نحو الموت كمن يتنزه فى حديقة .

هذا السفر انقطاع عن المألوف . وفى كل انقطاع عن المألوف ما يثير الضحك . وهكذا تضحكنا شخوص جورج شحادة بأعمالها واقوالها معا . ذلك انها تسلك وتفكر بعيدا عن المألوف المشترك ، وفى تناقض معه . فهي تسلك وتفكر بغرابة . والغرابة تحير . وحين ينظر اليها بعين المألوف المشترك تسمي شططا او هوسا او اسرافا او شذوذا . الغرابة هى ، الغاء ، التعقيل واقامة التخييل . كل غريب اذن مضحك او محزن . والضحك هنا كالحزن يتضمن الرغبة فى ارجاع الغريب ، اى الشاذ ، الى المألوف المشترك .

الضحك انقطاع عن التعاطف . لكنه عند جورج شحادة ينزف تعاطفا لانه ينزف حزنا . انه ضحك بشفتين من الدمع . ليس الشخص هو الذى يضحك بل الوضع الذى يحيط به او الذى يوجد فيه . ولئن كان فن الهزل او الفكاهة عند الآخرين يلاحظ التناقض بين عالم الظواهر دون تهديد الوحدة الجوهرية للعالم بحيث يمثل الاختلال المؤقت لتآلف يفترض وجوده ضمنيا ، فانه عند جورج شحادة يذهب حتى النهاية فى تطوير التناقض : انه يحول التناقض الظاهرى الى تناقض جوهـــرى . لا ينحصر فى نقد الظواهر من عادات واخلاق وتقاليد ومؤسســـات وانما يشكك ايضا فى النظام العام للعالـــــم .

ان بين الانسان والاشياء ، الحرية والضرورة ، المظهر والجوهـــر ، المثـــال والواقع هوة لا يمكن اجتيازها ، يحاول جورج شحادة بسلاح الهزل والفكاهة ان يزيلها لكن بتعميقها هادما جميع الجسور التي تصل بين الضفتين ، وذلك بفضـــل الموت . فمعظم ابطاله يسافرون فى اتجاه الموت . يسافرون نحو واقع آخر لايصلون اليه الا بالموت . وهو واقع جميل ساحر بحيث ان الموت يصبح هو نفسه جميلا

ساحرا . وهؤلاء الابطال (كيوبل مثلا) غير معذبين بالواقع حولهم ، بل بالواقع الآخر الذى يتخيلونه . فتخييلهم هو واقعهم وهو موتهم . لكن لا يجد حياته الا من يفقدها : هكذا يعلم **فاسكو** .

الفكاهة شعر ينتصر به الانسان على صمم الاشياء وعلى اللانهاية العمياء وعلى الطبيعة الميتة . والفكاهة لا تروض ولا تحدد . لذلك تمنح الفن والحياة نبرة جموح وحيوية يظل العالم دونها غارقا فى جموده الداكن انها تطهّر لكن وقتها قصير وهي غير كاملة . يعوض عن ذلك عند جورج شحادة انها قريبة من ابتسامة الحكيم الهادئة الصافية التى تعرف وزن الكلمات ولا تبذرها عبثا ، وتعرف ان روح الفكاهة نار فتشعلها بمقدار وتطفئها بمقدار . وفى هذا ما يميزها عن الفكاهة السوداء او الفكاهة السائدة فى النتاج الادبي الاوروبي . فجورج شحادة يرى ان الضحك يمكن ان يكون عنصر توازن لا عنصر اختلال وحسب ، ومادة فرح لا مادة الم وحسب ، ومن هنا تبدو الفكاهة عنده فوضى ، لكنها غير عدمية ولا تؤدى الى العدمية وهي لا تؤكد العبث بل الحرية ولا الهدم بل الطهارة . انها تخبىء حنينا عميقا الى الشفاء من مرض العالم ، وتخبىء حلما بنظام آخر للاشياء .

الانسان العادى العاقل يحكم على شخوص جورج شحادة المسرحية بانهم يعيشون حياة غير عادية ، غير عاقلة . فهم فى نظره مجانين . والواقع انهم بهذا المقياس ، العادى العاقل ، مجانين . لكن الجنون هنا هو نوع من الجنون الذى تحدث عنه **افلاطون** فى **فيدر** على لسان **سقراط** بقوله : « اعظم الخيرات تأتينا من الجنون ... لكن شريطة ان نعطي الجنون بنعمة الهية . » ويمكن ان نضيف : بنعمة الشعر ذلك انه حين يعدد انواع هذا الجنون وهى اربعة ، يعد بينها الجنون الشعرى . فالجنون ينتج عن « **تغير يحدث بقوة الهية فى مقاييسنا الاجتماعية العادية .** » انه الانتقال من العادى الى غير العادى او هو خرق العادة : وذلك هو الشعر .

ان شخوص جورج شحادة يتحركون فى مناخ من هذا الجنون يجعلهم فى مستوى الطبيعة اى يفصلهم عن العقل الذى فصلهم عنها . انهم لا يفعلون غير الاعمال التي يعتبرها الاخرون اعمالا غير مألوفة . كذلك لا يقولون الا ما يعتبرونه خروجا على المألوف . الجنون هنا يجرد الانسان من زخارفه الخارجية فى العقل وفى السلوك فى الفكر وفى الحياة حتى ليبدو اكثر عريا ، اى اقرب الى جوهره الانسانى . غير ان هذه التعرية تؤدى الى خلق عالم آخر غريب ضمن العالم الاصطلاحي الاليف . وشخوصه

يتحركون جميعا ضمن العالم الاول . ولا يراهم العالم الثاني الا من خلال مرآة أو هو يراهم عند اطرافه كأنهم على وشك السقوط فى الهاوية خارج مملكة العقل . لا ترفضهم الحياة العادية لكنها لا تقبلهم الا بتحفظ . وهي اذ تقبلهم لا تسلك مثلهم ولا تتكلم كلامهم . ولا تقبلهم الا بعد ان تقيم بينهم وبينها مسافة .

انهم يقفون على العتبة بين مستوى الطبيعة ومستوى الرجولة . ان جنونهم في مستوى الطفولة . لذلك يخلقون عالما ـ طفلا لا يكتهل . وجنونهم جنون لعب وبراءة وفرح . انه جنون العذوبة . ومن هنا يمكن وصف مسرح جورج شحادة بانه **مسرح العذوبة** .

لكن حين نسكن فى عالم يسلك اشخاصه كالاطفال او كالمجانين ، فذلك يعني ان شهوة الحياة تبقى فى اوجها ، واننا نعيش فى زمن يفلت من قانون الزمن . يعني كذلك ان هذا الجنون يتضمن الدعوة الى تغيير العلاقات فى المجتمع وتغيير طرائق السلوك والتفكير . وهذا التغيير مجاني . لا يحركه العنف او الحقد وانما يحركه الحلم . واذا كان الجنون بالنسبة الى البعض يحرر طاقة الهدم والانفصال ، فان الجنون فى مسرح شحادة يحرر طاقة البناء والاتحاد .

ولئن كانت الحقيقة كالبراءة ، كالطفولة ، كالحلم عريا فان الجنون وحده هو الذى يعانقها . الوعى لا يقبل الحقيقة عارية لذلك يغطيها . الجنون يمزق الاغطية ، لذلك يتّحد بالحقيقة . الحقيقة من حيث هي عرى ، جنون . الحقيقة ، العرى ، الجنون واحد فى قانون الطبيعة . اما فى قانون العقل فتناقض وتضاد .

والعودة الى الحقيقة اى الى البراءة والطفولة والحلم ، دخول فى الموت . كأن الجنون لا يكفى لتغيير العالم . لهذا يصبح الموت ضرورة فلكيلا نتيح للطفولة ان تكبر وتهرم ، نفتح لها باب الموت . ولكي نحافظ على الحلم الذى بنيناه فى رتابة الواقع ، تلزمنا قوة تحتضن هذا الحلم وتحميه : يلزمنا الموت . فالموت هو طفولة ما قبل الطفولة وما بعد الطفولة . وهكذا يكتمل الجنون بالموت .

السفر هو الشروع فى معانقة الموت . هو الموت المؤجل او هو الحركة التى تقرع باستمرار عتبة الموت ، السفر اذن شكل من الدخول فى مملكة الصمت . ومملكة الصمت ليل . والليل هو الظفر على النظام والوضوح هو الغموض وما لا ينتهي . واذا كان النهار امكانا محددا واحدا فان الليل هو الامكان الكثير . الليل يتيح للانسان أن ينسى الحواجز المفروضة على وجوده النهارى . تضغطه الحدود فى النهار وفى الليل ينفلت ناثرا جسده وروحه في جميع الاتجاهات .

الليل ، الموت ، الجنون ، السفر ، الطفولة واحد . تتحدث عن الواحد عند شحادة فكأنك تتحدث عن الباقي . لنقل اذن : الجنون طفولة أو حلم . ليس اذن سلوكا يتنافى مع الاصول الاجتماعية للسلوك . ليس مرضا ، بل صحة . ليس عبثا ، بل معنى . ليس جهلا ، بل معرفة . أن تخلق عالما مجنونا يعني اننا نخلق مطهرًا لعالمنا هذا . يعنى اننا نجعل هذا العالم يرى نفسه كما يجب ان تكون . الجنون هو الوجه الآخر . هو المكان الآخر . هو الحياة الحقيقية الغائبة . انه بهذا المعنى عبور نحو ما يسمو على الطبيعة . انه التواصل المطلق . الجنون هو العقل وقد حطم اغلاله وتجاوز حدوده .

حضور الجنون فى مسرح جورج شحادة هو حضور الموت . الموت فى هذا المسرح ليس واقعا بل مشهد آخر من مشاهد كل مسرحية . انه لعب آخر . وحضور الموت هو الذى يعطي للحياة (بوبل . آرجنجورج) معناها الاقصى والاكمل . لا نموت مرة اولى واخيرة ودفعة واحدة وانما نموت كل لحظة ، لاننا بهذا الموت كل لحظة نعطي لحياتنا معناها وشكلها . فدون الموت لا أهمية لاى شيء . ليس الموت اذن حدا او نهاية . انه حالة يمحي فيها الزمن اكثر مما هو حالة يمحي فيها الكائن الذى مات . وامحاء الزمن يعني امحاء العائق فى شتى انواعه . وهو اذن اطمئنان يفضي الى القبول . بل انه يصبح ، فى هذا المنظور ، شكلا من النمو . انه النمو الذى يقابل نمو الطفولة . ينمو فى موازاة الانسان لكنه يعرف انه آت من الامام . بينما الطفولة اتجاه نحو الامام . وغياب الكائن ليس الا هذا الشكل الحزين من اللقاء ــ الفراق بين حركة آتية وحركة ذاهبة : بين الموت والطفولة . الحياة ليست الا سلسلة مراحل من نمو هو نفسه الموت .

من هنا ندرك كيف ان الموت فى مسرح جورج شحادة لا يخيف . لا يغلق الافق . انه على العكس محاولة ثانية لاحتضان الفرح ، لفتح الافق . وهو يحدث عرضا ببساطة كأنه عصفور يرفرف او زهرة تسقط أو كأنه حلم أو سفر .

يكتب جورج شحادة فى مسرحه تاريخ الانسان لا تاريخ الفرد . ذلك ان عالمه عالم طفولة وحب وموت ، عالم الحلم واللاشعور ، عالم الاخوة البشرية. الانسان هنا يتفاهم مع الانسان فى مستوى الحلم لا مستوى العقل . فى اللاشعور وما لا يستطيع

ان يعبر عنه ، لا في الوعي وما يعبر عنه . انه يفجر المختبيء . ان ابراز المكشوف يفرق البشر لكن تفجير المختبيء يوحدهم . انه يكتب تاريخ اللاوعي ، لا تاريخ الوعي. وفي هذا ما يفسر الصلات الغامضة وشبه السحرية التي يقيمها مسرحه بين البشر والاشياء .

كأن مسرح جورج شحادة يقول لنا : الضوء نافذة والظلام بيت . ويؤخذ القاريء بجو الكآبة ، بشيء من التشاؤم ، لكن المغطى بغلالة رقيقة من السحر يموه ويضيع . كأنه يقبل المصير . كأنه مسرح القناعة بما هو كائن ، لا مسرح الانخراط الفعال الفرح في الوجود . وكأن التفاؤل لا يجيء من مسرحه كما هو بل يجيء مما يحركه او مما يكمن وراءه : تخييل العودة الى البراءة الاولى حيث الانسان والحلم ، الشعر والواقع ماء واحد .

هكذا يزداد فهمنا لمسرح جورج شحادة عمقا بقدر ما يزداد عمق فهمنا لنظرة العربي الى الانسان . فجورج شحادة الذى كتب بلغة غير عربية يبدو ضمن الذين كتبوا بالعربية ، بين اكثرهم قربا الى جوهر الشخصية العربية .

الانسان في هذه النظرة شكل هش موقت حتى أن الدمية لتبدو حقيقية كالانسان . بل ان الدمية حين تتحرك (تعيش) على المسرح يخيل أن لها وجودا اكثر غرابة وحقيقية من وجود الانسان . فهي تحيا حياتين شخصية ومستعارة ، وفي كلتا الحياتين تمتليء بالابتكارات والابعاد .

الانسان اذن ظل . والمسرح هو امتداد آخر لهذا الظل . المسرح منذ البداية اذن لا يمثل الواقع المباشر الذى نعرفه وانما ينفصل عنه وفي مسرح خيال الظل حدس مدهش اكتشف الاساس الذى ترتكز عليه النظرة العربية الى الانسان .

ان في تمثيل الواقع تكرارا . ان فيه ما يوحي باتناجه مرة ثانية اى بحدوث مزدوج لواقع هو أساسا غير أصلي . وكل واقع غير اصلى موت . ويكفي الانسان موت واحد ، فلماذا يكرر انتاج هذا الموت ؟ هذا التكرار عبث وهو لا يضيف شيئا . ماذا نتنج اذن ، أى ماذا يجب ان نمثل ؟ والجواب هو أننا يجب ان نمثل المسافة بين الظل وما يوحي به ، أى المسافة التي تظل بعيدة . نمثل بتعبير آخر ، ما لا يقع اوما يعجز الواقع عن اقتناصه واسره . وهكذا يكون المسرح اشارة نحو ما هو آت ، وهذا الاتي حلم لا يؤدى الا الى حلم آخر .

يقسم الناقد الامريكي ليونارد برونكو المسرح الاوروبي المعاصر فى كتابه « مسرح الطليعة » (١) الى قسمين . يسمي القسم الأول « المسرح البابلى » وبين كتابه صموئيل بيكيت ويوجين ايونيسكو وآرثر آداموف وجان جينيه . ويسمي القسم الثاني « المسرح العدني » وجورج شحاده فى طليعة كتابه ، بل هو ابرزهم .

ويعني بالمسرح العدني أن الانسان فيه يبدو كلا لا يتجزأ « يتوحد فيه الوعي واللاوعي ضمن اطار يشكل جزءا من تجربته وجزءا من ذاته »» (٢) ... الطبيعة فىهذا المسرح تتحول الى هيكل والانسان فى هذا الهيكل يحيا بانسجام مع الاشياء .

أما المسرح البابلي فعلى النقيض من ذلك : الانسان فيه يحيا بتنافر مع عالم الاشياء ، وهو يبدو فاشلا فى عالم يستلبه (٣) . والواقع كما يصوره هذا المسرح « سديم لا يتطابق مع اى نموذج ويرفض العزاء ... والانسان فيه عاجز عن التواصل مع الآخرين ، وهو غالبا يفشل حتى فى التيقن من هويته الخاصة ومن معناه . انه على الجملة عالم بابلي . » (٤) .

ويمضي برونكو قائلا : ان اكثر الكتاب المسرحيين تفاؤلا اليوم لا يستطيعون أن يدخلونا الى جنة عدن . لكن جورج شحادة يقودنا الى عتبتها ويتيح لنا ان نلقى نظرة على ما فى داخلها ذلك ان بعض شخوصه المسرحية « يعيشون الوجود البرىء للانسان قبل السقوط . » (٥)

ويختم برونكو قائلا : ان كتاب المسرح البلبلي يقدمون لنا « عالما يتفسخ ، حيث البشر لا يستطيعونأنيتواصلوا ،تسيطر عليهماشياء لا حياةفيها ...»(٦) وهذا العالم يختلفكليا عن «عدن التي نستشفها فى مسرحشحادة ،الذىيوحىبانالحياة اكثر من مجرد مظهر وانها يمكنان تكونبالنسبة الى كل انسان كما هي بالنسبة الى شخوص

---

(١) « مسرح الطليعة » ، الطبعة الفرنسية ، باريس ١٩٦٣ .
(٢) المصدر ذاته ، ص ١٨٩ .
(٣) المصدر نفسه ص ١٨٩ .
(٤) المصدر نفسه ص ١٩٠ .
(٥) المصدر نفسه ص ٢٢٧ .
(٦) المصدر نفسه ص ٢٣٧ .

مسرحياته بحثا دائما ، حتى وان بدا يائسا ، عن الحقيقة والبراءة والشباب والمثل الاعلى . » (٧)

الحقيقة ان برونكو فى آرائه هذه يكشف عن ناحية قد تكون الناحية الاكثر عذوبة وعمقا فى مسرح جورج شحادة . فليس فى الحسرة التي تشيع فى هذا المسرح يأس او فراغ او عبث . حتى البكاء الذى يهطل احيانا من عيون ابطاله يبدو ، لفرط براءته وشفافيته ، انه يهطل من عيون لا تعرف الدمع ــ من عيون لا تعرف غير الحلم . ولعل السر العذبي فى مسرح جورج شحاده كامن فى تصوره للانسان من خلال تصوره للشخصية الرئيسية فى مسرحه . فهذه الشخصية (فاسكو . بوبل) تبدو كأنها تخرج دائما من العقل لكي تدخل فىالطبيعة ، وتظهر كأنها تسقط من كوكب غريب وتدخل عالم الواقع أو عالم الآخرين . ومنذ أن تدخل يحدث الاختلال . وهو يحدث نتيجة عدم الانسجام او التجانس بينها وبين العالم المحيط لا نتيجة الصراع بينهما . فليس مسرح شحادة مسرح صراع على النمط اليوناني وانما هو مسرح احتفال بعالم غير ظاهر لكنه ممكن ويبدو لنا انه على وشك الظهور . هكذا تتغير خريطة الاشياء والمقاييس . لا تعود السخرية مثلا عنصر نفي كما هي عند الآخرين .

وانما تجيء لكي تنقذ شيئا ما . ولا يعود الموت مثلا سفرا نحو العدم وانما يصبح سفرا نحو زمن آخر . وهكذا يتجلى الكون شفافا حتى أننا لنجهد كثيرا كي نعثر ، وقلما نعثر على ما يفصل بين الحياة والموت .

لا الاشكال ولا الافكار هي التي تفتح لك أولا ، عالم جورج شحاده ، بل اللغة .

ومنذ أن تدخل عتبة هذا العالم تدخل فى لعبة اللغة . وتفويك ساحات ملأى بالاسلحة ، أعنى بالكلمات . تترادف أو تتناقض ، تتجانس أو تتضاد ، تتماثل أو تتداعى . ليس لجورج شحاده شياطين ولا عرائس فهو خالق ــ صناع ، صناع ــ

---

(٧) المصدر نفسه ص ٢٣٧

خالق . انه يصنع مسرحه ، فهو نفسه يوحي مسرحه لنفسه . يصقل الكلمات ، يبحث عن ايقاع المفردة ، وايقاع الجملة . يقيس مسافة النغم ، يحدد مكان المفردة، يوازي ما بين الصور . يواكب ، يجمع ، يفرق . يكتب مأخوذا بالكلمة ، لا بما تحمله الكلمة . يلعب وفي هذا اللعب تتكرر الصور كما تتكرر في حركة اللعب . ينشأ عن ذلك نوع من **الرمزية اللغوية** التي تجد أساسها وينبوعها في **صيغة اللغة** ـ تركيبا وايقاعا . هكذا تجيء الكلمة ملأى حتى اننا قد نتساءل ايهما الاسبق : الكلمة ـ الايقاع ، أم الفكرة ـ الصورة ؟ وتبدو الكلمة شبكة ناعمة تصطاد الصور والرؤى والمشاعر . فالكلمة هي النواة التي تتلاقى هو اجسه ، وهي مركز بثه : انها نواة ومركز لموسيقى داخلية ، لتناغم ممكن مع جاراتها ، لتداعيات صوتية وتخيلية تنبجس من تآلفها واقترانها مع غيرها في تركيب واحد . الكلمة طاقة او قوة شكلية ـ ايحائية . ان مسرحه كشعره : فعالية لغوية . وما يميز شحاده هنا لا يكمن في الطريقة بل في درجة اتقان الطريقة . اللغة هنا تخلق الفكرة . انها الصورة والحلم والمعنى .

جورج شحادة صانع لغة في المقام الاول . وعالمه ليس عالم افكار وموضوعات بل عالم صور واحلام . ليس في مسرحه (أو شعره) أي هاجس سياسي بالمعنى الايديولوجي ، هو الذي يكتب في عصر الايديولوجية ، حيث تختلط السياسة بالهواء الذي نتنفسه . وليس في مسرحه (أو شعره) نزعة ثقافية . انه على العكس يخلخل المعطيات الثقافية ولا يأبه لثباتها او لتغييرها . ومن هنا يبدو في بعض الاحيان غامضا . اذ ليست له مصادر ثقافية نعود اليها لنستقرئها كي يسهل علينا فهمه . وانما يجب ، لكي نفهمه أن نغوص في موجه وحده ونستقرىء حركة الموج وحدها .

يبدو جورج شحادة ، من هذه الناحية ، كأنه يعيش ويكتب في زمن خاص الى جانب الزمن الحاضر . كأنه يجيء من الوجهة المعاكسة . وفي هذا قد يبدو انه يتحرك في اطار ضيق . ولكن الفني الشعري لا يرتبط ، ضرورة ، بالاتساع الافقي . فما يفقده جورج شحادة في هذا الاتساع يجد بديلا عنه في **العمق العمودي** . ان غناه لا يرتبط بكمية الموضوع بل يرتبط بتنوع المستويات . وهو في هذا غنائي من طراز فريد : لاغنائية الطبيعة ، شأن الغنائية الاوروبية ، بل غنائية السحر المشرقي . انه رومنطيقي بنكهة اخرى يبدو فيها الغرب شرقا آخر والشرق غربا آخر .

قلت : لعبة اللغة . لكن يجب أن أميز بين اللعب والزخرفة . ان جورج شحـاده يلعب ولا يزخرف . فهو من البراعة فى اللعب الصانع بحيث تغيب من كتابته كل نزعة صنعية أو زخرفية . فثمة تطابق وثيق بين هواجسه وكلماته .

الفرق بين اللعب والزخرف هو الفرق بين الفعل وتكرار الفعل . اللعب بداية دائمة أما الزخرف فتكرار . الزخرف عادة واللعب عيد . كل مسرحية من مسرحيات شحاده لعبة . ولذلك فان مسرحياته لا تمثل وانما تعيد . ليست دعوة للصعود على خشبة مسرحية بقدر ما هي دعوة للدخول فى عرس أو احتفال . وهي لا تمثل الواقع بل تمثل حلما ــ اسطورة . المسرحية هنا طقس ، مشروع لتحول الطبيعة الانسانية تحولا جماليا .

اللعب براءة . مسرح جورج شحادة هو مسرح البحث عن البراءة . ومن شأن هذا البحث أن يجرى فى دروب الحلم لا دروب المنطق . المسرحية فى هـذا المسرح حكاية ــ حلم : ترابط المنطق يترك المكان لترابط الشعر . والزمن ليس زمن الايام والساعات بل هو الحلم أليفا محمولا بين العين واليد ، متحققا فى الكلمة والاشارة والحركة . ولا يريد جورج شحاده فى بحثه هذا ان يحول الزمن الى أبدية بقـدر ما يريد ان يحوله الى لعب ، أي بقدر ما يريد أن يحول الحلم الى زمن والزمن الى حلم . هكذا يصبح الشعر زمنا يتدفق بلا نهاية . كن حلما اذا اردت ان تكون الأبد . لوحده الحلم هو الابدى . اما المنطق فعدم وخلاء . الحلم هو ذلك الزمن الآخر الذى يختلف عن الزمن الذى يجرى ويمضي وينتهي . يختلف عن المد الزمني . والحكاية هنا تتحول الى رؤيا ملموسة وواضحة جدا . تصبح تجسيدا ماديا للاحلام والتخيلات . والحاضر فى هذا الزمن متعدد . يجســد الماضي بالذكرى ، حينـا وبالنسيان حينا . وهو يتضمن المستقبل فى شكل مشروع : سفر أو حلم أو أمل .

وفى هذا المستقبل ــ المشروع يلاحق البطل مصيرا مسبقا . قد يجهل مصيره لكن منذ أن يستشفه يعانقه . بل انه قد يقسر الحاضر لكي يهيئه له أو لكي يتوافق معه . وأحيانا يدخل البطل فى مسار غير يقيني أو غير معلوم ، لكنه يخرج منه بشكل يؤكد ذلك المصير . هكذا يريد أن يفعل كل ما يقول له الحلم انه شيء ممكن ، أى كل ما توحي به البراءة . ومن هنـا يجيء الطابع الفاجع لحسرة هي فى مستـوى البراءة والموت ــ البداية والنهاية : البراءة دائما على حق ، لكنها قلما تحيا الا بالمـوت .

شهادات

١ ـ سيد من اسياد اللغة الفرنسية

جورج شحاده سيد كبير من اسياد اللغة الفرنسية . وهو بالاضافة الى ذلك شاعر بين اكثر شعرائنا اصالة ... فمنذ ان ننفذ الى لغة شحاده يأسرنا سحرها . ان هندسة جملته وغنى صوره والاطر التى يستخدمها تغمرنا وتقودنا الى عـالم شعرى ينصهر فيه الحلم والواقع فى جوهر عذب ، نسيج الفكاهة واللطف والدقة الانسانية ...

والجمال هو الوسط الذى يتفتح فيه . انه يعيش فى قصر من الاحلام حيث تتحول اصداء اكثر اشياء الحياة بساطة واكثرها اغراء واشدها قسوة ، الى رؤى متمدنة انيقة نبيلة .

يبدو اذن ان علينا لكي نجيد النفاذ الى عالمه الشخصي ان نستسلم الى سحره وان نتوقع النتائج غير المتوقعة بشتى انواعها .

انه حوذى غريب يجيء من بلاد الف ليلة وليلة لينزل على هذا المسرح الرائع ، الكوميدى فرانسيز ، حيث ما تزال تدوى اصداء سامية كثيرة ، شخصية مسرحية ! وعلينا نحن القلقين المأخوذين ان ننتبه !

هل ثمة حاجة لنضيف اننا نامل ، وسط اعجابنا العميق وحناننا الاخوى ، أن يستقبله جمهور بيت موليير كأحد انفس الشعراء فى وطننا الروحي .

جان ـ لوى بارو

(باريس ، نوفمبر ١٩٦٧)

٢ ـ نبرة اسطورية

... صوت بسحر ساذج بل غريب يوقظ مع ذلك نبرة اسطورية وينطلق بامثال حكمة عريقة . بابتسامة هي في آن لعب وكآبة ، يتحدث الشاعر عن عدن لحظة يعيش بيننا بعيدا عنها كساحر بلا وهم ... وعدن هناك لن يرى ولن يتكلم بلغة عدن ...

غايتان بيكون
(باريس ، ١٩٦٧)

٣ ـ مسرح الفتنة

لو ان كلايست وصاحب « مراثي دوينو » شاهدا مسرح جورج شحاده لافتتنا به .

غابرييل بونور
(باريس ، ١٩٥١)

٤ ـ سر جورج شحاده

لو انني سئلت ما هو سر جورج شحاده لاجبت بلغة الصيد القديمة انه ما من احد عرف مثله ان يغرى بالطعم ... ان فن التدجين (تدجين الجوارح من الطير) هو الفن الذى لا يجد جورج شحاده من ينافسه فيه . تلزمه لذلك دون شك رهافة ارتباطاته بالشرق حيث انطلقت منه في ازمنة سحيقة اشرف طرائق الصيد . وبالنسبة الي تمتزج القنزعة المنتصبة على راس العصفور المحروم من النظر لكي يجيد النظر ، مع هذا « الانبجاس النحوى » الذى طالما لفت انتباه آرجنجورج في « سهرة الامثال » . فهو الذى يتبجس في التحليل الاخير من المشروع كله وما يمكن ان يتاتى عنه من الاشياء الهائلة : انها كما يقول مسالة « انعتاق الكلمات ... منذ ان تزوجت . انها تتوق الى مزيد من الوعي الى الحياة السعيدة التي تحياها الاسود والعصافير . » وهو اذ يعتقها على مضض من الجميع ويحررها من عبوديتها يعرف

---

* اى الشاعر الالماني ريلكه .

كذلك انه يجعلنا نرى ، بعين اورفيوس ، الاسـود والعصافير كما لم نرها مـن قبل ابدا .

بهذه الطافة التي هي لطافته وحده اعترف جورج شحاده حين قدم كتابه الاول « رودوغون سين » : « كنت آنذاك برج كلمات ويمامـات ... كنت مليئـا بالهينمة . » والمدهش ان هذا الجيشان اتاح للكلمات التي هي كلماته أن تبـدأ ـ كما يقول بجمال كثير احد شوارع باريس ـ « الفزوة الاولى » من جديد .

بدءا من هنا تنتشر الحياة الرمزية في حلقات تعلو وتتسع لكي تذوب من ثم في اكتشافات تتقوس في اتجاه الاوج . المسرح هو المكان المتخيل لنعقد فيه الحلقة على مروحة النماذج الانسانية التي تعد تقريبا على الاصابع بثنايا من الظل والضوء .

وتتناثر ارتعاشة الشجرة المحسوسة عبرها جميعا . ونتحقق ان التدفق بشيء ، كاكل شيء آخر ، وربما كالخوف من شيء ثالث ، انما هو الاندماج بعلة وجودها جميعا . شريطة ان نسير دون مصباح وراء جورج شحاده .

اندريه بريتون
(باريس ، ١٩٥٣)

٥ ـ موهبة القصة العربية

كنت معجبا بنتاجه قبل ان اصبح صديقا له ، وكان مسرحه قد فتح امامي اكثر من باب بين ابواب شعره . ولا شك ان « حكاية فاسكو » هي اكثر مسرحياته نجاحا ... ما اسعد جورج شحاده الذي يجمـع بين مواهب افضـل القصاصين العرب ومواهب الشاعر الفرنسي الاكثر اصالة ...

جول سوبرفييل
(باريس ، ١٩٥٧)

٦ ـ شاعر يضيع في قصيدته

شاعر واين الشاعر اكثر منه ؟ شاعر واين الافضل ؟ شاعر حتى انه ليضيع هو نفسه في القصيدة التي يبدعها . آت من هذه الاقاليم حيث تنتظم كل هندسة بسيطة

صافية حول غرفة كثيرة المسام ، فارغة بلا نهاية ، وعارية . سليل هـذه العائلات الانسانية حيث لا يعرف من الورد غير العبير ومن اللؤلؤ غير الشرق .

مع هذا يحدثكم عن تمرد الورد ، وعن ظهور الكواكب المهملة. « البصيرة » حالته والعصيان انحناؤه . يستدعي الحلم الحقيقي الى نومكم ، ويدخل الضيف الغريب بين آلافكم . ان دوره فى « انفصال الاجسام » هذا الذى ما يزال قائما بين عالمين من الفكر هو التاليف ، وتنبعث ابتسامته من الشائع وغير المنقسم . ليشرد حرا واثقا فى القصيدة وبينكم ، كما فى شفافية مياه النهار ! ان جريمته نموذجية فى شريعتنا النابليونية : يزحزح فى الليل حدود الملكية العقارية ...

اصغوا الى جورج شحاده يحدثكم عن الواقع .

سان – جون بيرس
(باريس ، ١٩٥٣)

٧ – شعر بوزن الاورانيوم

... يصقل شحاده لغته كما كان سبينوزا يصقل عدساته ... وهو يسجن السر فى اقفاص عنادل يبنيها وحده . ان نتاجه الشعرى يحتضن بالكف ... وهو بوزن الاورانيوم : ان له مثله ، فاعلية معجزة .

يقدم لنا جورج شحاده صدى حكم عريقة . وعبر كلماته تتقطر عقائد قديمة ، وفى هذه الكلمات تتلألأ حكمة متعبة من عصور انتهت ... وتاخذ ابياته شكل الامثال والحكم دون ان يقسرها على ذلك ...

... اننا امام قصائد شحاده المكثفة كالعطر ، نفكر بقصائد حافظ الشيرازى . فمن احدهما يجيء العطر الذى تتعطر به بلقيس ملكة سبأ .

ماكس بول فوشيه
(باريس ، ١٩٥٤)

٨ ـ شعرٌ يلتمَس ...

تكمن الميزة الدرامية لمسرحيات جورج شحاده في كونها تستثير رغبتنا الفطرية لتقليد ما سبق ان فعلناه مرة بشكل حدسي . وهي بالاضافة الى ذلك تكشف لنا عن مأساة صراعنا مع الحياة ـ عن التسوية التي تتعارض مع النزاهة . ان البحث عن المثال الاعلى هو من الاساطير الرئيسية للانسانية وقد نجح شحاده في التعبير عنه بشكل أصيل . فلقد حدث التحوّل وانقلبت الاسطورة الى ما سمّاه بارو « شعرا يمكن ان يلمس » .

ليونارد برونكو
(كاليفورنيا، ١٩٦٣)

★★★

مسرحية

حكاية ڤاسكو

مسرحية في ست لوحات

تأليف : جورج شحاده

ترجمة : ادونيس

GEORGES SCHEHADÉ

HISTOIRE DE VASCO

Pièce en six tableaux

nrf

GALLIMARD
5, rue Sébastien-Bottin, Paris VII^e
8^e édition

شخصيات المسرحية

مثلتها للمرة الاولى فى زيوريخ ، ١٥ تشرين الاول ١٩٥٦ ، فرقة مادلين وينو ـ بارو الفرنسية . اخرجها جان لويس ـ بارو . وضع زيانها (الديكور) جاك يونجيرمان . صممت الألبسة مارى ـ هيلين داسته . ووضع الموسيقى جوزيف كوزما.

ومثلت سنة ١٩٥٧ فى اول تشرين الاول على مسرح ساره برنارد فى باريس .

Lieutenant Septembre	الملازم سبتمبر
César	قيصر
Marguerite	مارغريت
Premier Paysan on Pire Rondo	الفلاح الاول او العم روندو
Deuxieme Payson on Pére Trapu	الفلاح الثاني أو العم ترابو
Vasco	فاسكو
Emerita	امريتا
Madame Hilboom	مدام هيلبوم
Monsieur Corfan	السيد كورفان
Ie Mirador	الميرادور
le Major Brounst	الماجور برونست
le Lieutenant Latour or Medemoiselle Mimi	الملازم لاتور او مدموازيل ميمى

الـلازم هـانس أو مدموازيل جيزيل	le Lieutenant Hans ou Mademoiselle Gisile
الرقيب اسكندر	le Sergent Alexandre
الرقيب باراز	le Sergent Paraz
الرقيب كاكو	le Sergent Caquat
الملازم باربريس	le Lieutenant Barberis
الجندى غريغوار	le Soldat Grégoire

الأرامل ـ الخفـراء ـ رقيبالحرس ـ الضباط ـ الجندى ألدو الجندى فريشـون ـرئيس الطبالين ـ كرانز .

★★★

اللوحة الأولى

فسحة في غابة . في أقصى الفسحة عربة مفكوكة مغطاة بغطاء بال وذراعاها في الهواء . يلمع مصباح داخل العربة . يسمع أنين الريح طويلا حتى نهاية اللوحة . في الأشجار غربان جامدة براقة العيون .

المشهد الأول

(يدخل الملازم سبتمبر . شاب جميل رصين . لباس عسكري أسود بإزرار من الذهب . واكمام مذهبة يضع قبعة بشكل نصف قمر)

(الملازم سبتمبر ، قيصر ، مارغريت)

الملازم سبتمبر : (يتأمل الغربان طويلاً) : دائماً اينما ذهبت هذه الطيور السوداء . . . وهذا المساء كأنه الخريف والشهر الذى أحملُ اسمه : سبتمبر . (يسمع أنين الريح . وعبر الاشجار نعيب بومة بعيد .) إلهة ليليّة كذلك . . . أميرةً من اميرات الدماء . ليتني ملىء بالخوف لا بالحزن والقرف كما أنا الآن . (فترة ثم يصرخ .) أيتها الغربان انزلى من

الأشجار ! (يسحب مسدّسا من حزامه .)طيرى أيتها الغربان ! (يطلق النار . يسقط غـــراب. الأخرى لا تتحرك .) كلّها تنام في هذه الريـــح الثقيلة .

قيصر : (يمدّ رأسه من خلال غطاء العربة) مَن هـــذا . من هذا . من هذا . من هذا ؟

الملازم سبتمبر : ومن أنت ؟

قيصر : قيصر ! . . . لعل اسمى يوحى لك بشيء مـــن الاحترام ؟ الا إذا ضربتك ضربةً كبيرة بمجرفتى . انت يا قاطع الطــرق . أو أصغيتُ إلى رغبتى في المصالحة ومنحتكَ أيّها الشرير قطعةً جميلة مـــن الفضة لكى نتصافي . أفصحْ . هل أنت اجنبى ؟ نتعارف . صديق ؟ نتحدث . هل أنت جوعان ، عطشان ؟ سأغمرك بطيّبِ الكلام . عــزب ؟ أعطيك ابنّتي . زيرُ نساء ؟ أعيركَ إيّاها . مشرّد؟ نقدّم المأوى . هل أنت مشعوذٌ ليلى ؟ هاهـــى طاولةٌ لعلم الجبر . هاربٌ من الجيش ؟ نعيدك الى الواجب غصبا عنك . بائع متجول ؟ مضارب ؟ متنزّه ؟ من هــذا ؟ من هــذا ؟ من هــذا ؟

(يخاطب شخصا داخل العربة .) مارغريت ، ناولني نظارتي . (يضع على طرف انفه نظارة بإطار من الحديد ويخرج مصباحا من خلال الغطاء. يتفحص الملازم سبتمبر) خيّال ؟ لكن أين حصان الخيّال ؟

الملازم سبتمبر : (يشير الى العربة المفكوكة) وحصانك ؟

قيصر : أكلناه . هرم كثيراً فقدم لنا نفسه هدية أخيرة قبل أن يمضي .

الملازم سبتمبر : انا فقدتُ حصاني وكان قد فقد إحدى قوائمه .

قيصر : لا بأس إن بقيت له ثلاث قوائم . كم قائمة لك يا حضرَةَ الشّبح ؟

مارغريت : (تضحك داخل العربة) ها . . . ها . . . ها . . .

قيصر : (لمارغريت) اسكتي ، يا ساقطة !

(تظهر من خلال الغطاء فتاة جميلة مكشوفةالصدر كثيرا) .

الملازم سبتمبر : (لقيصر) ، أبحث عن بيت فاسكو . هل تقدر أن تدلني ؟

قيصر : او هو وو و و وو ! أدلّك ؟ هذا يستلزم كثيراً من

الحكمة سأخلع قميص نومي وانزل للتحدّث معك !

(قيصر يغيب)

الملازم سبتمبر : هل تعرفين بيت فاسكو ؟

مارغريت : سيخبرك ابي . . . أنا اعرف أشياء اخرى . . .

الملازم سبتمبر : (لايجيب) . . .

مارغريت : تبدو أنك لاتبالي بأشهى الملذّات . حتى هذه الريح الشديدة التي تهبّ لاتوحي لك شيئا ، بينما تدفىء كياني كـــله . (بعد فترة .) انظـــر اليّ . . . ما اسمك ؟

الملازم سبتمبر : سبتمبر .

مارغريـــت : (بصوت منخفض كأنها تخاطب نفسها) كم هو اسمك حزينٌ ايها الجنديّ . (بعد فترة) غيـّرت فكري . أودّ ان اجلس معك وأتحدث تحت الاشجار كصديقين من مائة عام لم يعودا يملكان إلا روحيهما . (تلمح اباها فتتابع بنبرة مكرَهة :) ها هو أبي يأتي .

قيصر : (متجها صوب الملازم سبتمبر) جئت في وقتك.

مبدئياً ، وبصورة عامّة أعرف كل شيء يا سيّدي الضابط .

مارغريت : لا يعرف شيئا ! .

قيصر : لاحظتَ كيف تعامل والدها : تعتبره عالِماً ! فالذي أمامك يا سيّد ، عالمٌ من رأسه الى قدميه ، وبإمكانك أن تتعرف اليه . بل أن تستمتع به . من النادر الالتقاء بمثله على طريق مهجورة في غابة (يضع اصبعا على فمه ويتابع كأنه يكشف سرا .) غابة . . . يسكنها . . . رهبان . (بصوت اكثر انخفاضا ايضا مشيرا الى الغربان على الشجر .)ـــهذه الغربان رهبانٌ كلها ! (يدل على الغراب الذي قتله الملازم سبتمبر) صرعتَ راهباً . (يشير الى الشجر) . مع ذلك تحدّثتْ إليّ طويلا منذ قليل . أنتظرُ طلوع القمر لاتابع الحديث. عفواً ؟ ... آه، لم تقل أيّ شيء . كنت أنتظر ذلك . إن رجلا رفيع التهذيب لايقاطع من يتحدّث معه . (بعد فترة.) التقمص هو السائد في هذا البلد . امس خنقتُ وأنا امرّ في القرية ديكاً يشتمُني . لا أكتمك أنني

تعرّفت اليه حالا : إنه روح إسكافيّ كنت مديناً له بدَيْن صغير . تشهد على ذلك ابنتى . (ينادى) مارغريت ؟ . . . ماذا قال لنا الديك الذى اكلناه مساء امس ؟ (لنفسه .) اراهن انها تنام مفتوحة السّروال . . . ولماذا ؟ لكى تعذّب والدها الشيخ الأرمل . . .

مارغريت : (تنفجر ضحكا داخل العربة) ها . . . ها . . . ها . . .

قيصر : (ضيّع خيط افكاره) ماذا كنتُ أقول ؟ أين وصلـــت ؟

الملازم سبتمبر : قلت إنك أكلتَ راهبا .

(يشير الى الغراب الميت .)

قيصر : كلا ، ديكاً يا سيدى الضابط . أو إسكافيّاً اذا شئت .

الملازم سبتمبر : هنيئا مريئاً في أىّ حال !

مارغريـــت : (تنفجر ضحكا) ها . . . ها . . . ها . . .

قيصر : سأذهب لأضربها . (يتناول حذاءه) أضربها بهذا النعل . أفهم ان تسخر منى أنا : من والدها !

(يشير الى الملازم سبتمبر) لكن من ضيفٍ غريب أمام عيني ! (يخفض صوته) القضية كذلكً قضية رهبان ! غيّروها كليّاً (يصرخ .) الرهبان يحيطون بي بسبب ابنتي ! وهؤلاء الجماعة مخيفون من ناحية . . . الشهوات . (يمرّر يده بخفة بين فخذيه وبعد فترة يتابع كما لو أنه ضيّع خيط أفكاره :) لكن أين كنت ؟ أين أنا ؟

الملازم سبتمبر : (يبتسم) لم تكن في أى مكان .

قيصر : صحيح . . . (بعد فترة .) وأنت . أين أنت؟

الملازم سبتمبر : أنا انتهيت . طاب مساؤك .

قيصر : (خائبا) لبستُ ثيابي لكي أدلّك . لم تعد تريد ذلك ؟

مارغريت : (تنادى) الملازم سبتمبر .

الملازم سبتمبر : (يتوقف ويلتفت) . . .

مارغريت : (الى والدها) هيّا أسرع . كلّمه كما تكلّم رجلا عاديا . ساعده اذا قدرت .

قيصر : بطيبة خاطر . لكن أولا لست رجلاً عاديا . يجب ان نبدأ من البداية . أُو أُو أُو ! . . . أخـــــذت

المسألة تتعقد . (يتبين فجأة انه يحمل حذاءه بيده. يقول بدهشة كبيرة للملازم سبتمبر) : لمن هذا الحذاء الذى أحمله بيدى ؟

مارغريت : ها . . . ها . . . ها . . .

الملازم سبتمبر : (لم يستطع ان يتمالك عن الضحك) ها . . . ها . . . ها . . .

قيصر : (بنبرة من خاف انه فقد قواه) أعطيني قليلا من الماء يا مارغريت !

الملازم سبتمبر : (يناوله قارورة) خذْ .

قيصر : (بعد ان شرب) هذا ماء عسكرى أعرفه (الى ابنته) . اليس عندنا ما نقدّمه الى الملازم حينما يعود ؟

مارغريت : لا شيء يا ابى .

قيصر : لا شيء ؟ كيف ؟ نخلة مثلا؟ أوزبيب ؟ زبيب يابس جدا ؟ . . . (بقلق) ماذا نأكل غداً يا بنتى يا مارغريت ؟ (يقع نظره على الغراب الميت .) الله سيتدبر الأمر . . . وخصوصاً والدك . (للملازم سبتمبر) كم نحن الآن مطمئنون لحسن عاقبة

صومنا . . . لكل يوم خبزه ! إنني ، بطيبة خاطر ، أضع نفسي في خدمتك .

الملازم سبتمبر : شـكرا .

غـراب : (على الشجرة) كواكْ . . . كواكْ . . . كواك

قيصر : تسمع أيها الملازم ؟ هذا يتكرّر . وتعرف مـاذا تقول ؟ (بصوت منخفض :) تدلك على بيـت فاسكو ! . . . ها هي غربانٌ مفيدة جـدا . . . وسليمة النية .

الملازم سبتمبر : حيّة الضمير ، خصوصاً . وأين هذا البيت ؟

غـراب : (على الشجرة) كواكْ . . . كواكْ . . . كواكْ

قيصر : اسمع . هذا الجزء الثاني يَعلّق بي .

الملازم سبتمبر : أتركه لك . أخبرني فقط اين هذا البيت الـذى أبحث عنه . ماهرٌ حقّا من يستطيع العثور عـلى شخص أو شيء في هذا الليل وفي هذه الريح !

قيصر : دعني أستمعْ . أنتَ لا تفكر إلا في نفسك. (ينظر إلى الغربان ثم الى الملازم سبتمبر) إنها تتحدث عن ابنتي . . . وبأية عبارات ! . . . أعطني هـذا المسدس .

غــراب : كواك . . . كواك . . . كواك . . .

قيصر : (يجيب الغراب) هذا المزاح لا يعجبني (تتوقف الغربان عن النعيق) الصمت الآن شاملٌ . انها تنتظر القمر . سترى ما سيحدث . . اذا لم تفقد قبّعتك ايها الملازم ! اذا لم ينبت لك ذَنَبُ غزال صغير ملوَلَبٌ كما يقولون . . . (يسترق النظر الى الملازم سبتمبر الذى لا يصغى ، حينئذ يرفع صوته ليلفت انتباهه) . . . يمكن ان يصير علاقةً لسيفك حين تهبط سلّما او تصعده .

مارغريت : ها . . . ها . . . ها . . .

الملازم سبتمبر : (يتجه مهدّدا نحو قيصر . يمسك مسدسه بانبوبه ومقبضه في الهواء) جاء دورى لاقصّ عليك حكاية صغيرة .

قيصر : مارغريت ، ابنتى ، أعطيني مجرفةً ، بسرعة !

مارغريت : (تنزل من العربة وتقف بين والدها والملازم سبتمبر بعد كل حسابٍ ، لن اسمح لك بان تضرب أبي .

الملازم سبتمبر : . . .

مارغريت : ماذا تعمل هنا ؟ أخيرا ماذا تريد ؟

قيصر : صحيح ! ماذا يريد مني ؟

مارغريت : بهذا نسلّيه نضحيّ في سبيله اكثر من المعتاد .

قيصر : نثقّفه يا ما رغريت ، يا بنتي .

مارغريت : يرفع يده على أبي . . . من أجل ذَنَبِ غزال !

قيصر : مفيد مع ذلك .

مارغريت : سيخبرك اين يوجد بيت فاسكو دون أن نعرفه : لا بد انه وراء النهر . في القرية الثانية .

الغربـــان : كواك . . . كواك . . . كواك . . .

قيصر : (بعد أن سمع الغربان) تقول انه في القرية الثانية . وراء النهر . حيث يسكن البرتغاليون .لكنني لا أعرف شيئا .

الملازم سبتمبر : (لنفسه) : الاستعلام كمـــا يبدو صحيح (الى مارغريت وابيها :) اعذراني . (الى مارغريت) : لم أكن اريد شيئا الا ان اكسر جوزة بهذا المقبض. (ينحني . تهز مارغريت كتفيها . يغيب الملازم سبتمبر تحت الاشجار)

قيصر : لاتذهب من هنا ! الطريق ملىء بالصخور الوحشية والعوسج . . . أحذّرك ، لن تمر .

الملازم سبتمبر : (وهو يتوارى) شكراً يا قيصر ، أنتَ انسان طيب . .

المشهد الثاني

(مارغريت تتثاءب ، تتمطى وتنظر الى العربة)

قيصر . مارغريـــت

قيصر : مارغريت ، ابنتى ، هيّئى خيطك وإبرتك . بعد قليل سترقّعين ، اذا صدق ظنى ، سراويل الملازم . الطريق الذى سلكه لايرحم : لقد التهَم لى سراويلَ كثيرة . (ينظر الى الاشجار . وبعد فترة :) متى يستيقظ القمر ؟ يجب ان توجّه الريحُ في الجهة الثانية من الأرض . (بعد فترة :) ينبغى أن آخذ كلابى في نزهة قصيرة . اهمل كثيرا صحة هذه الحيوانات . أمس اكتشفتُ فقراً عميقاً في الدم تحت عيونهن العقيقية . (يمشي وقد اصبح فريسة تأملاته ، ثمّ :) هل فكّرتِ يا مارغريت بتنزيه الكـــلاب ؟ (ينادى بصوت أقوى :) مارغريت ، ابنتى . . .

مارغريت : (من العربة بنبرة خاصة) انى احلم . . .اتركنى .

قيصر : بماذا تحلم ابنتى ؟ هذا مهـم : هل سيعرف الانسان ذات يوم كيف يتزلق الكذب في الروح، وكيف يكبر ؟ الحلم نافذة . (الى مارغريت :) احلمى عالياً جداً لكى أرى .

مارغريت : . . .

قيصر : اقول احلمى عاليا جداً والا ايقظتك .

مارغريت : (بصوت نائمة) : انى مع احدهم .

قيصر : بهذه السرعة ؟ الآن ؟ لا بأس ، وقتك لا يذهب سدىً . مارغريت يابنتى . لِنُسَم الاشياء باسمائها في هذه العزلة : لستِ ، على الأقل : مع غراب ؟

مارغريت : (بصوت بطىء) : إننى في كنيسة يا ابى.

قيصر : هذا يسرّنى كثيرا . لكن مـــاذا تفعلين يـــا بنتى مارغريت في هذا المكان الذى لم يعد دارِجاً كما كان من قبل ؟

مارغريت : (ببطء) انى احلم . . . اتركنى . أمشى على بلاطِ طريقٍ . . . في كنيسة مزخرفة برسوم رعاةٍ اطفال ، في فم كل منهم مزماران . . .

(يشتعل داخل العربة ضوء لطيف اثناء حلـــم

مارغريت . آنذاك يلمح شبح مارغريت من خلال الغطاء .)

قيصر : (لنفسه) اخاف ان ينتهي هذا كله بـــانتهاك الحرمات (لمارغريت :) عجلي وغادرى هذا الهيكل .

مارغريت : . . . وأرتدى لباسا فخماً يـــا ابي . . . بسيطاً ورائعا . . . (يبدأ قيصر بالاهتمام بحديث ابنته.) حتّى أنهم يرشقونني بالزهر . . . حتّى انني لا لا أرى . . .

قيصر : (بفضول محتشم) انا كذلك لا أرى .

مارغريت : اتقدَّم ساحرةً ، وحيدة ، احرس خطواتي . . . كأنني بُنْدَقةٌ . . . أو جِسمٌ رشيق . . .

قيصر : (بصوت منخفض) لاتسرعى يا مرغريت . دعيني أستمعْ .

مارغريت : الظل هنا ضوءٌ ثان يُضاعف كل ما اراه . . . هكذا يبدو ظل الوردة وردةً ثانية أكثر لطافةً . .

قيصر : (يركع . بصوت منخض) الريّح هدأت .

مارغريت : . . . وأتساءل لماذا أنا سعيدةٌ جدا . . . لست الأجمل . . . وليس حبي الحب الأكبر . النهـــار

يهجرني الآن تاركا لي يديه . . . وخطواته البنفسجية في حديقةٍ . . . وقربَ نبعٍ ،ألتقي بحلاقٍ صغير . . . الماءُ لا صوت له . . .

قيصر : (جاثيا) مارغريت ، يا ملاكي !

مارغريت : يلمس شعرى كرملٍ مُرٍّ . . . وحين يفتح مقصه يصنع منه شعلتين : قلبي وقلبه . . . متحدين الى الأبد !

قيصر : (جاثيا) : آمين !

مارغريت : اليك يا أبي كيف صرت : عذراء . . . وزوجة حلاّق صغير . وسأموت من الجوع في هذا المكان الملئ بالضوء .

قيصر : هذا الحلم اجمل احلام حياتنا يا مارغريت . شعرى الأبيض هذا المساء تاج من الحب لأجل ابنتي .

مارغريت : (تبدأ بغية بالشخير) ررر . . . ررر . . . ررر . . (ينطفىء الضوء داخل العربة .)

قيصر : (يصغى مبهوتا مصدق اذنيه) تشخر ؟ (ينهض) تشخرين يا ماغريت ؟ بعد كل ماقلته !

مارغريت : (تشخر) ررر . . . ررر . . . ررر . . .

قيصر : لم تكوني اذن تحلمين ؟ كنتِ تنامين ! وما حدث في هذه العربة كان وهما ؟ (لنفسه ، بغضب :) غَشَّتْني !

مارغريت : (يزداد شخيرها .) ررر . . . ررر . . . ررر..

قيصر : ساقطة ! ساقطة ! ساقطة ! (بنبرة يأس :) مارغريت يا ملاكي .

غراب : كواك . . . كواك . . . كواك . . .

غراب آخر : كواك . . . كواك . . . كواك . . .

الغربان : كلها (في آن واحد) كواك . . . كواك . . . . كواك . . .

قيصر : (يلتقط عصاً يهزها ويهدّد الغربان) اذهبي وابْيَضّي في مكان آخر يا طيور القذارات . . . ايتها القندلفتات المتقمّصة . . . يا طيوراً تبيضُ بيضاً أسود ! (يتابع بفم متشنج دون ان يعرف السبب :) مَقْذَف !

مارغريت : (تستيقظ وتمد رأسها من خلال الغطاء :) ماذا حدث يا ابي ؟ لماذا هذه الضجة الكثيرة ؟

قيصر : كاذبةَ ، كاذبة . . . مارغريت !

(يظهر في هذه اللحظة الملازم سبتمبر)

المشهد الثالث

الملازم سبتمبر . قيصر . مارغريت

الملازم سبتمبر : (وقد رأى قيصر والعصا في يده) حسناًتنتظرنى ثابت القدم .

قيصر : ليأخذك الشيطان يا حليفَ الغربان !

مارغريت : (تنزل من العربة وتأتى الى جانب والدها خائفة عليه) . . .

(ثم فترة . لا أحد يتكلم .)

قيصر : (للملازم سبتمبر) دُرْ ، لأرَى . . . (بعد فترة) وهذه السراويل ؟

الملازم سبتمبر : لا بأس من هذه الناحية . (بعد فترة) سأنتظر القمر .

قيصر : قلنا لك ذلك ! الدخول هناشيء ، والخروج شيء آخر !

الملازم سبتمبر : لم تكن مخطئاً .

قيصر : (بغتة لنفسه) يبدو أنني كنت غضبان لانني أمسك بيدى هذه العصا . . . لكن على من ؟

الملازم سبتمبر : فكّر جيدا .

قيصر : لا أعرف ، وأفضّل ، اذا اعتبرنا كل شيء ، ألا أعرف . (يرمى العصا ويفرك جبهته .) يلزمني تدليك بالعشب الطريّ .

الملازم سبتمبر : (يضحك) ها . . . هذ . . . ها . . .

قيصر : (يشير الى المصباح الذى يتدلى خارج العربـــة) سأطفئ الذبالة اذا سمحت . فقرى لا يسمح لى ان اتحمل اعباء هذا الاسراف الشخصى . ماذا تفيدمن ناحية ثانية اضاءة ملازم محارب تعوّد على الظلام؟ . . . انسان كذلك له اخطاؤه ويستحق الاهمال.

الملازم سبتمبر : أطفئها يا قيصر .

قيصر : اظن ان لدى الملازم اعتذارات يريد ان يقدمهــا لى . اذهبي ونامى يا بنتى .

(تصعد مارغريت الى العربة) .

الملازم سبتمبر : عندى بالأحرى رجاء اليك يا قيصر . (يشير الى الغراب الميت .) لا تلمس هذا الغراب . . .اتركه

يتعفّن (يخرج من جيبه قطعة نقود .) خـــــذْ ما يعوض ويُتيح لك ان تشرب ذات مساء، نخبي . . . دون إفراطٍ في الشكر .

قيصر : تأثرث كثيرا . احتفظ بنقودك ، لا أريد أن اسلبك ، بل بالاحرى . . . أن احبك . اشترِ مني شيئاً ما . لأنني ان كنت عالماً يا سيدي الضابط فانا تاجرٌ كذلك .

الملازم سبتمبر : بطيبة خاطر واضاعف المبلغ .

قيصر : (بنبرة خاصة) اشترِ إذن . . . كلباً .

الملازم سبتمبر : يالها من بضاعة غريبة (يضحك قليلا ويضيف :) في غابة !

قيصر : تأكد انني لا أبيع كلاباً عادية . حيواناتي موهوبة بشكلٍ متميز . ليست كثيرة الحركة ولا توسّخ . صحيح انني تاجر كلاب . صحيح . لكنني ابيع . . . الكلب المثالي . العالِم يعرف ان يدبر الاشياء .

الملازم سبتمبر : (يضحك) احب ان أرى . (لنفسه وهو ينظر الى السماء) بانتظار القمر .

قيصر : (يغيب وراء العربة ويعود حاملاً بيديه صندوقا كبيرا) : هذه مجموعة فريدة (يفتح الصندوق ويخرج منه أولا كلبا ضخما محشوا بالتبن مخيف المنظر ويضعه على الارض) هذا هو جاغوار . لا انصحك بان تقترب منه . . . أو ان تغامر معه بأقلّ مداعبة .

الملازم سبتمبر : لو رأيتُه في الليل ،لخفت .

قيصر : الواقع انه كلب حراسة .

الملازم سبتمبر : وهو كذلك محشوٌ جيدا .

قيصر : احترس فهو يعضّ . سأثيره لكى اقنعك .(يقوم بتصعيرات مخيفة ليثير الكلب .)

الملازم سبتمبر : لا لزوم لذلك ، أصدّقك .

قيصر : شكراً . لكننى أصرّ ان ينبح والا ستظن انى امزح.

الملازم سبتمبر : هذا لا يهمّنى . (بنبرة جافة وسريعة .) لا تزعج روح هذا الكلب .

قيصر : سامعٌ يا جاغوار ؟ للمرة الاولى يحترمك إنسان يا كلابى المسكينة (الى الملازم سبتمبر) بالنسبة الى

رجل له مهتتك . .. كيف أعبّر ؟ أنت في غاية اللطف .

الملازم سبتمبر : لنشاهد قليلا الكلاب الأخرى .

قيصر : (يخرج من الصندوق كلبا آخر .) : يوليس ! كان مفروضاً ان يمارس التمثيل المسرحيّ . عشق سنونوةً فصار يبكي طوال النهار . . . لاحِظ كيف يتأمل السماء دائما ! (بعد فترة .) مات حزنا وقد حشوتُه بالرّيش .

الملازم سبتمبر : كان يستحقّ ذلك .

قيصر : سنطور ! حيوانٌ ما رغم اسمه . أعيره نظّارتي بين وقت وآخر . سيكون مبرزا لو عَمِل في تجارة الورق . لا أعرف لماذا . (يستمر في إخــراج الكلاب من الصندوق .) هذا الكلب تاريخي ! أقترح أن تفحصه جيدا . . دخل السجن مع صاحبه الانكليزي . يضع قبعة في الشتاء . ويعرف الحساب (بصوت منخفض .) اسأله عن اسم صاحبه الصرّاف . (بعد فترة .) ما هو اسم سيدك يا شارلي؟

مارغريت : (تجيب من العربة عفويا عن الكلب بصــوت « مموّه » قليلا .) وُودْ .

(يقفز قيصر من الخوف . ويرتجف قليلا الملازم سبتمبر)

قيصر : (يلقى نظرة نحو العربة ويقول للملازم ببساطة كلية مشيرا الى الكلب .) سمعت !

الملازم سبتمبر : ها . . . ها . . . ها . . . حيوان فريد في الواقع .

قيصر : (يخرج من الصندوق ثلاثة كلاب صغيرة ويضعها تباعا على الأرض وبشكل يلفت النظر .) آنا — روزا بيبى . . . (شيء من التواضع .) آنسات متواضعات . . . يعزفن احيانا على البيانو .(بعد فترة .) دون أهميّة لتجارتى .

الملازم سبتمبر : (ضاحكا) بماذا تنصحنى اخيرا ؟

قيصر : انتظر بعد لم تر العجيبة . (يخرج من الصندوق كلبا جاثما ورأسه مائل بلطافة .) فيديل، صديقى المـأسوف عليه . مسيحىّ بـاربعة ارجـل ، إن صح ذلك دون نعمة العمادة ، لكن برحمةالله. جوهرتى ! محبوبى (ينحنى ويحضنه بانفعال .) ما[يزال دافئا من عرفانه بالجميل الذى قدمته له . هذا كلب حقيقى .

الملازم سبتمبر : ما هذا اللقاء الغريب ، هذه الليلة ! (الى قيصر.) اذن آخذ بيبي الغانية الصغيرة . هذا كل ما يحتاج اليه الجندى .

(في هذه اللحظة يضيء الأفق ضوء احمر كبير ويغمر الشجر . يبدو مأساويا على اشداق الكلاب . يقفز الملازم سبتمبر الى المنحدر . يتبعه قيصر . يبقى الاثنان فترة طويلة دون كلام .)

قيصر : (بعد صمت طويل . ينظر الى الملازم سبتمبر) وجهك دَمٌ أحمر ايها الملازم !

الملازم سبتمبر : (عيناه تحدقان في الافق .)معركة ... ونيران الارض كلها تشتعل . . . وكل شياطين الليل تهرب في عرباتها ! (الى قيصر .) قرية تحترق يا قيصر.

قيصر : معركة حمراء كبيرة مع آلهتها . (لنفسه .)الحرب قذارة . . . قذارة !

الملازم سبتمبر : (بعد صمت .) والريح تزيدها حدة لكي لاتبقى ولا تذر .

قيصر : (بنبرة شخصية) افكر بالديوك التي لا بد ان تطير الى مرتفعات خارقة . . . لكي تهرب !

الملازم سبتمبر : (يلتفت .) الافضل ان تنظر الى الكلاب !

قيصر : مخيفة باشداقها المفتوحة . سوف تلتهمنا !

الملازم سبتمبر : حيوانات تنتفض ضد الانسان . اليس كذلك ؟

قيصر : سأجلب السوط .

الملازم سبتمبر : هات سكّراً يا قيصر . هـــذه الحيوانات لم تسئ بشيء اليك . بل انني اراها بالغة الوداعة هذهالليلة.
(يتقدم على المنحدر لكي يرى بشكل افضل الأفق الملتهب .)

قيصر : (وحده قرب الكلاب .) سكّرا ؟ اين اجـــــد السكّر ؟ . . . لكي أهدّئ الكلاب ؟
(تسمع طلقة مدفع في البعيد .)

الملازم سبتمبر : المدفع الآن ؟ (لقيصر الباقي الى جانب الكلاب .) تحبّ هذه الضجة ؟

قيصر : عفواً لم اسمع . افكر بالسكّر .
(يختفي شيئا فشيئا الضوء الاحمر الكبير من الافق.)

قيصر : يبدو أن ذلك انتهى . الليل يزداد ظلاما .

الملازم سبتمبر : (لنفسه) هذا اللهب كان في الشمال . (لقيصر.) اليس كذلك ؟

قيصر : الشمال بالنسبة اليّ هو الاشياء التي احبها . ليس لدينا البوصلة نفسها أيها الملازم !

الملازم سبتمبر : (بجفاء) ليس لنا الحياة ذاتها . هذا كل شيء .

(قيصر يرتب الكلاب في الصندوق .)

قيصر : لن أبيع شيئا . هذه الحيوانات وحشية وأنا تاجر مستقيم (بعد انتهائه من ترتيبها .) والآن طابت ليلتك .

الملازم سبتمبر : طابت ليلتك .

قيصر : طابت ليلتك .

الملازم سبتمبر : شكراً .

قيصر : (يبدى استياءه) من الغباوة اضاعة فرصة كهذه.. خصوصاً بسبب حريقة حربية !

(ينفخ قيصر لهبة المصباح ويصعد الى العربة لينام. تمر فترة . يخيم ظلام شديد . يصعب كثيرا تبيّن الملازم)

قيصر : (في العربة لايسمع غير صوته .) ما تزال هنا أيها الملازم ؟

الملازم سبتمبر : نعم .

قيصر : (من العربة . بعد فترة .) فكّرت فجأة في هذه القبعة التي تضعها لكن . . . انها قارب صغير !

الملازم سبتمبر : بماذا تفكر ؟

قيصر : (بعد فترة .) لو كنت في محلك ، لاعطيت هذه القبعة الى الاطفال اذا كان هنا لك حوض .

الملازم سبتمبر : (بعد فترة .) ليلعبوا ؟

قيصر : ليلعبوا .

(تسمع في البعيد طلقات مدفع متقطعة ومخنوقة)

الملازم سبتمبر : (ينادى) قيصر !

قيصر : نعـــم .

الملازم سبتمبر : فكرت في رأيك بقبعتى . رأى لطيف .

(تمر فترة)

قيصر : تنام أيها المـــلازم ؟

الملازم سبتمبر : لم أنم ، بعد .

قيصر : (بعد فترة) ماذا يفعل الجنرال حينما تمطر ؟

الملازم سبتمبر : (بعد فترة .) يغتسل ؟

قيصر : لا ! يثير السحرية !

الملازم سبتمبر : (يضحك) صحيح .

قيصر : (بعد فترة .) مع هذا كنت احب أن اكـــون جنرالا . على سبيل التنْويع .

(تمرّ فترة .)

قيصر : (ينادى) ملازم !

الملازم سبتمبر : نعم (بعد فترة ، لا يكلمه خلالها قيصر ، ينادى بدوره :) قيصر !

قيصر : نعم (بعد فترة .) اصبحنا صديقين فجأة ! (تمر فترة .) لماذا كل المعارك حمراء ؟ (بعد فـــترة) ألا ينبغي ان نغيرّ قليلاً ؟ ان معركة كبيرة خضراء ستكون جميلة جداً ايها الملازم !

الملازم سبتمبر : (بحنين .) سيكون آنذاك الربيع يا قيصر !

(تسمع في البعيد طلقات مدفع متقطعة وصماء)

قيصر : (بعد فترة .) لا بأس كذلك بمعركة زرقـــــاء كالسماء الفسيحة . . .

الملازم سبتمبر : هيّا ، قل هذا للناس !

(تمر فترة)

الملازم سبتمبر : (لنفسه . ينهض .) وانا ضابط الحرب . أنامشدود بحبل . . . أسيرُ في اتّجاهٍ معاكس للنجوم الصديقة أريد ان اقول كم يجثم الوطن ثقيلاً على روحي هذه الليلة . . . وما من أحد يصغي إليّ .(يصرخ) اسمع يا قيصر !

قيصر : (لا يجيب) . . .

الملازم سبتمبر : (ينادى) قيصر ؟

قيصر : (لا يجيب) . . .

الملازم سبتمبر : (بعد فترة وبصوت ضعيف) نائم ؟

* * *

اللوحة الثانية

ساحة قرية صغيرة . بيوت جميلة ذات الوان حية . في وسط الساحة بئر . على بيت (بشرفة آنية للزهور) لافتة بحروف قوطية : « الحلاق فاسكو » . يرى في الداخل كرسي الحلاق وادوات الحلاقة عند رفع الستار يظهر فلاحان كهلان : العم روندو والعم ترابو آتيان ليأخذا ماء لسقى بستانيهما . الــوقت صباحاً .

المشهد الأول

(الفلاح الاول • الفلاح الثاني)

الفلاح الأول : (يلقي دلوه في البئر ويسحبه) : هذا للجزرات

الفلاح الثاني : (يلقي دلوه) : هذا للفِجْلات .

(يخرجان احدهما يمينا والآخر يسارا ويعودان بسرعة لأخذ الماء .)

الفلاح الأول : (متقدما نحو الآخر) : حين يلتقي بستانيان ... (ينحني :) صباح الخير !

الفلاح الثاني : (ينحني :) صباح الخير .

(يملآن دلويهما ويخرجان كي يعودا) .

الفلاح الأول : يمكن القول اننا شريكان في الماء . . . مع أننا بقّالان متزاحمان .

الفلاح الثاني : (للفلاح الأول منحنيا) : العم روندو .

الفلاح الأول : (للآخر منحنيا) : العم ترابّو .

الفلاح الثاني : (يشير إلى الدلو) : هذا للبَصلات .

الفلاح الأول : (يشير إلى الدلو) : هذا للبَقدُونسات .

(يخرجان كل من ناحية ثم يعودان .)

الفلاح الثاني : (وهو يدخل للآخر) : حين يلتقي بستانيان . . (ينحني . في هذه اللحظة يطلّ فاسكو من النافذة . ويلقي نظرة سريعة ويغيب . يلبس قميص الحلاقين الأبيض .)

الفلاح الأول : (يتوقف) : كأنّ غيمةً مرّت !

الفلاح الثاني : شيء أبيض جرى في عيني .

(يملأ الفلاحان دلويهما ويخرجان . في هذه اللحظة يظهر فاسكو من جديد في النافذة . يراقب ساحة

القرية الحالمة الآن ثم يختبئ حين يرى الفلاحين يعودان .)

الفلاح الأول : لو نرتاح قليلا ياعم ترابّو ؟

الفلاح الثاني : سُحْقاً للبساتين ياعم روندو .

(يضعان دلويهما ويجلسان على حافة البئر .)

الفلاح الأول : الحديث مؤلم . منذ أن راح الأولاد نتعب ونشقى .

الفلاح الثاني : النهوض باكرا ، والحراثة .

الفلاح الأول : النوم بعد ذلك . الحفر .

الفلاح الثاني : تنمية الزهور ليست تعزية .

الفلاح الأول : منذ تجنيد ابني روبير . . .

الفلاح الثاني : تجنيد ولديّ غاستون ، غريغوار . . .

الفلاح الأول : ابني . . .

الفلاح الثاني : أحفادي . . .

الفلاح الأول : هذا صعب واأسفاه ! علينا نحن المسنّين . . .

الفلاح الثاني : في بلد الأرامل . . . ونقل الماء .

الفلاح الأول : الحرب هي الحرب ! هكذا قال السيد كورفان .

الفلاح الثاني : صحيح . لكن ما العمل ؟

الفلاح الأول : البوق والنفير سريعا العمل في هذه القرية التّاعِسة

الفلاح الثاني : تكفي ثلاث صرخات من مكبس بُخارِيّ وبعض الضربات على الطبل ، والاعلان ليتخلّى اولادنا عن إرثهم ويمضوا (يشير بحركة غامضة إلى الأفق :) هناك ! . . . لِخَرْطَشة البواريد .

الفلاح الأول : والوطن الذى يمجدّونه في كتب «الألفباء» المدرسية؟ وبعد ذلك امام ابواب المختارية ؟

الفلاح الثاني : الوطن ؟ هو تفاحي وفجلي ! الوطن بصراحة هو مؤخّرة بقرتي .

الفلاح الأول : صحيح . صحيح .

الفلاح الثاني : الآن لننقل الماء في دلاء اجدادنا ولنَعْتنِ بالأَرْضي شوكي ... بينما سيعود أولادنا من الحرب بذراعٍ ناقصة او ساق زائدة . . بسبب العُكّازة .

الفلاح الأول : هذا كلّه لعب . . . لعب خَطِر ومرض عميق . (يأخذ الفلاحان الماء ويمضيان كل مـــن جهته .)

الفلاح الأول : (بفرح) : هذا للبَصلات .

الفلاح الثاني : (بفرح) : هذا للفجْلات .

(يخرجان)

المشهد الثاني

(تدخل امريتا تتقدم صوب شباك فاسكو . تبكي .)

امريتا ، فاســـكو

امريتـــا : انني أخجل بك يا فاسكو ! أخجل . أنْحَنِ على هذا الشباك وانظر أختك توأمك . خدّاها اللذان كنت تشبّهها بتفّاحتين هما تفاحتان غارقتان في الدمع . فهي لا تكفّ عن البكاء ! أوه كم أبكي يا فاسكو ! لماذا لا تريد أن تذهب الى الحـــرب كالجميع هنا ـــ البغال والرجال ؟ كان امامـــك مستقبل زاهر كما قال السيد كورفان . سيعطونك رتبة عريف شمّام . فأنت ماكر وتستطيع انْ تشمّ العدوّ وتحذّر من كمائنه . كنت تصير كلب الجيش تنبح وتركض وتقدّم آلاف الخدمات . أوه ! كم ابكي ! السيد كورفان قال : لكم يشرّف حلاقا صغيراً ، حلاقا من الريف ان يختلط بالجنرالات القدماء الذين يعطسون باكراً ويلبسون مباذل عليها نسورُ ذهبية . . . وما ألطفهم هكذا ! كأنهـــم خُرْسٌ من شدّة التفكير الطويل والهدوء (بعـــد فترة .) انتظر حتى أخرجَ هذه الدّموعَ من أنفي .

(تمخـــط .)

فاســـكو : (يظهر من وراء الزجاج . يلقي نظرة على امريتـــا التي لا تراه ويغيب .) . . .

امريتـــا : ماذا يخيفك ؟ رصاصةٌ هنا . رصاصةٌ هناك ـ هذا لا يعني دائماً الموت : تكفي فَرْشَحَةُ السّاقين كما قال السيد كورفان . ثم ان فلساً كبيرا موضوعـــا على القلب درع جيد . هناك أيضاً النوم يا فاسكو. فهو يخفيك عن العيون كلّ مساء . ماذا يخفيك ؟ قامتك أصغر قامة ، ولهذا فان الخطر الذي تتعرض له هو اقل الأخطار . (بصوت منخفض :)اختبئْ وراء باولو فهو لا يريد غير هذا . . عنده أطفال. لكن ما أغْبى هذا المسكين باولو ! اختبئْ وراءه. لا تتسربل بالعار ! عانق العلَم وعانِقْني ! . . . أوه ! كم ابكي ! . . . خذ في حقيبتك مقصاتك وأمشاطك . أؤكد لك ان الحرب عطلةٌ تقريبا (بعد فترة.) انتظرْ حتى أخرج هذه الدموع من انفي.

(تمخـــط .)

فاســـكو : (يغتنم الفرصة ليطلّ من الشباك ثم يختفي قبل ان

تراه اخته) . . .

امريتـــا : لا تظن أنني قاسية او غير مكترثة . لكن يجب أن تمضي ! أشاروا الى بالبنان قائلين : « هذه تَوْأم فاسكو . حلاّق من نابولي . أو . ها هي نصـــف أخت العازف على الكمان . » تحوّلت الى طبـــل عسكرى والناس كلهم يقرعونني . أوه ! كـــم أبكى . سوف تترهّب اختك المسكينة . ما من احد هنا يعطيها أي ملابس للخياطة او الكيّ . أغلقت المصبغة . انت نفسك يا فاسكو ليس عندك رأس او شارب لِقصّه . انهم يتخلّون عنا يا تـــوأمى (بصوت ملىء بالغضب المكبوت : (خصوصـــاً الأرامل . . . سيؤوينى ديرٌ في الجبل عند السانتا — ماريا . واظن أن الأراغنَ الآلهية ستنسيني مصبغتي على الأرض . وسيأخذ مكانك يا توأمى مَـــلاك بسيفٍ متلالئ . . . ويصير أخا لى . (تضـــرب بيديها على وجهها .(وداعاً وداعاً ثلاث مرات! . . . مرة لك ومرة لى والثالثة للحرب !

(تخرج امريتا وهى تبكى .)

المشهد الثالث

(تدخل مدام هيلبوم وفي يدها دلو ، آتية لأخذ الماء)

مدام هيلبوم . فاسكو . ثم الفلاح الأول والفلاح الثاني .

مدام هيلبوم : (تشبه ساحرة عجوزا . صوتها مرتجف متهدّج) اين الفتيان ؟ جيروم الذى كان يساعدني في إخراج الماء لا أراهم . (تنادى :) جيروم ! (تنظر الى البيوت حولها .) كلها مغلقة . هل هو الأحـــد او عيد الربّ ؟ (تنادى ثانيـــة) : جيروم . . . (تلقي الدلو وتسحب الحبل بصعوبة تنظر الى الماء في الدلو بدهشة وخوف .) أيضاً ، وجهٌ في الماء؟ منذ أمس وانا أرى وجهاً في الماء . . . الوجـــــه نفسه دائما . (تحرك الدلو الذى تمسكه بيديها.) انه الآن يغوصُ إلى القـــاع . . . وآخر يعوم . . . هناك اذن وجهان في الداو ! (تنادى خائفـــة :) جيروم . . . جيروم !

الفلاح الأول : (يدخل راكضا .) ماذا يجرى ، مدام هيلبوم ؟ خوّفت المشمشات . (بعد فترة .) جيروم راح

مع الآخرين . قلنا لك ذلك وكررناه . ان رأسك المسكين لا يحفظ شيئا .

مدام هيلبوم : (مشيرة الى الدلو) أخرجتُ وجهاً من البئر .

الفلاح الأول : (يضع يده بهدوءٍ على كتف مدام هيلبوم ويقودها) تعالى ، تعالى مدام هيلبوم . الأحسن ان تلمّـــى المشمش الذى سقط على الأرض .

(يخرجان .)

الفلاح الثانى (يدخل بدوره راكضا) : من ينادى ابن أخى جيروم ؟

(في هذه اللحظة يلقى نظرة على الشباك ويلمح فاسكو يمسك في يدٍ مقصا ومشطا في الثانية ، ويحاق لزبون خيالىّ)

الفلاح الثانى : (مندهشا) : لا يقصّ لأحد ؟ المشط في إحدى يديه وفي الثانية (يقلد صوت المقص) تْسِكْ تْسِكْ ، تْسِكْ ، المقصّ : لِلاشىء ! فاسكو صار مجنونا ! (ينادى) : عم ترابّو ، عم ترابّو !

الفلاح الأول : (يدخل راكضا) ها أنا ، ها أنا :

الفلاح الثانى : (يشير باصبعه إلى ما يجرى في الشبّاك) . . .

الفلاح الأول : هُوْ !

(يستمر فاسكو حول كرسى فارغ بالقص لشخص وهمىّ . ثم يقلّد حركات من يفتل شاربين كبيرين .)

الفلاح الثانى : الآن يرفع له شاربيه . . . يرفعهما حتّى السّقف :

الفلاح الأول : شاربَىْ من ؟

الفلاح الثانى : ترى جيّداً شاربى شخصٍ غير موجود .

(ينحنى فاسكو امام الزبون الوهمى بإكرام زائد بعد أن ينشف له ذقنه بفوطة .)

الفلاح الأول : الآن ينحنى :

الفلاح الثانى : (مقابل هذا التبجيل الذى اظهره فاسكو يصفر معبّرا عن دهشته .) سّ سّ سّ س س . . .

الفلاح الأول : يقص لشخصية بالغة الأهمية (بصوت منخفض) كما يتوهّم .

(في هذه اللحظة يقفز فاسكو فجأة ويجلس على الكرسى دون أىّ تكلف .)

الفلاح الثانى : ها ! جلس فوقه !

الفلاح الأول : سأخبر السيد كورفان .

الفلاح الثانى : (يمسك الفلاح الأول بسترته ثم يقول وهو يمد اصبعه نحو فاسكو) : فاسكو يسخر منا ! . . . لنترك هذا الزنبور في وكره . (بعد فترة .) يهوذا :

الفلاح الأول : (موجّها الكلام إلى فاسكو مادّا قبضته) : ماذا تفعل عندك ؟ بينما الشباب كلهم ينفجرون !

(يختفى فاسكو من الشباك .)

الفلاح الثانى : جبان !

الفلاح الأول : حلاّق عديم الوجدان !

(يخرج الفلاحان .)

المشهد الرابع

(يدخل السيد كورفان ووراءه الملازم سبتمبر)

السيد كورفان . الملازم سبتمبر . فاسكو

السيد كورفان : (يشير إلى عتبة بيت فاسكو قائلا للملازم سبتمبر) هنا ينتهى واجبى :. . إذا كان هناك واجب ازاء . . . حلاق !

الملازم سبتمبر : (كأنه يخاطبُ نفسه) بيت لطيف .

السيد كورفان : آسف ياسيدى الضابط لقضائك الليل في الغابة قربنا . سأهيّء لك حصانا من أجل العودة

الملازم سبتمبر : حصانين . لأنني لن أعود وحدى .

السيد كورفان : (يشير إلى بيت فاسكو) تستعجل ياحضرة الضابط بالنسبة إلى هذا . . . السيد . سأسرجُ حصانا لكَ وبغلةً له .

الملازم سبتمبر : (بازدراء خفيف) : إذن لا حاجة لى بك .

السيد كورفان : (ينحني) : وداعاً حضرة الملازم .

(يتظاهر بالخروج وينسحب إلى أقصى المسرح ليرى ماذا سيعمل الملازم .)

الملازم سبتمبر : (يتقدم نحو البيت وينادى) : فاسكو ! (بعد فترة .) المواطن فاسكو !

فاسكو (لا يجيب) : . . .

الملازم سبتمبر : (بعد فترة) : معى أمرٌ من الميرادور . لم أجئ لأجندك إلى الحرب بالقوة . كن واثقاً .
تستطيع أن تترك بابك مغلقا وتظهر من الشبّاك .
سيكون كلامى مختصرا.

(يرى ستار يزاح داخل البيت لكن لا يحضر أحد .) .

الملازم سبتمبر : (بصوت من بدأ يفقد صبره (: للمرة الثانية اطلب منك ان تصغى إليّ ولا شيء غير ذلك .
(بعد فترة ودون أن يلمس مسدسه :) باسم الميرادور — جنرال تقدم إلى النافذة ! والاأطلقتُ الرصاص

(تسمع في بيت فاسكو ضجة اثاث يتطاير . يصعـــد الملازم سبتمبر إلى حلقـــة البئر لكي يلاحظ البيت بشكل افضل .)

السيد كورفان : (ينقض على الملازم سبتمبر) : لن تطلـــق الرصاص . . . على حلاق القرية ؟ (بعد فترة وبابتسامة خبيثة للملازم الواقف على الحلقة :) احترس ايها الملازم . البئر عميقة جدا .

الملازم سبتمبر : (يبدو انه لا يريد اللجوء إلى العنف) : ماذا يا فاسكو ؟ سأنتظر .

(يأخذ بالسير بطيئا امام البيت . يسمع بوضوح صوت المهامير . تمر فترة طويلة .

يتقدّم فاسكو إلى النافذة . فتى صغير السن صغير القامة . جذاب المظهر .
يرتجف من الخوف . فاسكو يوحى بالشّفقة حقا .)

الملازم سبتمبر : (يتردد لحظة ثم :) انت فاسكو ؟ لماذا ترتجف هكذا كالغسيل في النافذة ؟

السيد كورفان : (يتقدم) : لاتخفْ . جئنا نراك لقضيّةٍ تتعلق . . . بالشّعْر .

فاسكو : (من النافذة) لأجل هذا بالفعل ؟

السيد كورفان : لماذا إذن يا إلهى ؟ أتظن انك انت من يذهب لانقاذ الوطن ؟

فاسكو : اذن أنزل وأفتح لكم .

الملازم سبتمبر : كلاّ . مهلاً . أفضّل أن احدثك في هدوءٍ تام . ابق في النافذة .

السيد كورفان : (لفاسكو بعذوبة بالغة) : مثل سيدةٍ في عربتها . (يشير إلى الملازم) وهو في الأسفل . . .
أنتَ متفوّق حتى الآن .

الملازم سبتمبر : هل هذا المسدس هــو الذى يخيفك ؟ (يفكّ

المسدس من حزامه ويلقيه إلى فاسكو .) خذ !
التقطْه !

(يلتقط فاسكو المسدس .)

السيد كورفان : (لفاسكو) : أَلْقِ له بدورك مشطا .

(يلقي فاسكو للملازم مشطا يلتقطه .)

السيد كورفان : تبادل في الخدمات ! (بعد فترة إلى فاسكو :)
هل تحسّنت حالتك الآن في النافذة ؟

فاسكو : أتنفس بفضلِ صراحتك ، لكن يزعجني أن
اراكما عند قدمي .

السيد كورفان : هذا واجب فنحن نلتمسك .

الملازم سبتمبر : (يخرج ورقة كانت في فتحة سرّته —) : اسمع
يا فاسكو . (يفتح الورقة ويقرأ . يتخذ السيد
كورفان اثناء القراءة وضع وقارٍ وتواضع .)
« أمر إلى الملازم الخيال سبتمبر . . . »

السيد كورفان : (لفاسكو) سبتمبر الملازم .

الملازم سبتمبر : (يقرأ) . . . « للذهاب إلى قرية سُوسُّو عبر
بُوَيْج والاتصال بالمدعو فاسكو الحلاق أو
المزين أو صانع الشعر المستعار والعرض عليه

بجميع الوسائل أن يلتحق بالجيش لمهمةٍ سرية .
سوف يتناول تعويضاً جيدا وطعاما جيدا
وسيتمكن عند الاقتضاء ان يتوشح بالمَجْد .
ممّا نراه مهمّاً لحلاّق أو مزيّن او صانع شعر
مستعار . »

التوقيع : الميرادور . الجنرال مارافينيا .

« سيقدم السيد كورفان ، المختار الوطني للملازم الخيال المشار اليه كل مساعدة . »

(يطوى الملازم سبتمبر الورقة ويدسّها في فتحة سترته . يبقى طرفها ظاهرا.)

الملازم سبتمبر : (لفاسكو) : هذا كل شيء . القرار عائد اليك .

السيد كورفان : (ينتحي بالملازم وبصوت منخفض) : أنت بالفعل ايها الملازم في حاجة إلى مساعدة . . . تصرفك هذا هو بالضبط ما يشجّع هذا الماكر على البقاء في بيته .

الملازم سبتمبر : (يظهر انه لا يرغب في اتباع نصائح السيد كورفان المرائية) : أنت حرٌ ، يافاسكو ان تقبل عرض الميرادور او ترفضه . سأنتظر جوابك وأنا أتمرأى

في هذه البئر . بعد ذلك سأركب حصانا وأمضي سريعاً .

السيد كورفان : (يبدو مغتاظاً من سلوك الملازم سبتمبر. يتنحى به) : لن تجند هراً بهذه الطريقة .اترك الأمر لي . (يذهب الملازم سبتمبر ليجلس على حافة البئر . يتقدم السيد كورفان بعذوبة بالغة صوب شباك فاسكو .)

السيد كورفان : (لفاسكو) الحرب هي الحرب . (يقوم بحركة من يده.) لنترك هذا جانباً. ألا تريد يا معلّم فاسكو ان تقص أجمل شعر في البلاد ؟. ان ترمي مقصك ومشطك في هذا الشعر وتصنع منه غيمة جمال ؟ تستطيع كذلك اذا عملت باتقان ان تربطه بشريط أو تجعده العمل . . . جدير بكل انتباه! أضمن لك هذا (بصوت منخفض) جاء الملازم لأجل هذا . وهو مكتوب على قفا الورقة . (يشير الى الورقة التي دسها الملازم سبتمبر بين ازرار سترته) : قرأتهـا .

فاسكو : (لا يزال في النافذة) يبدو لي العرض موافقـا . (بعد فترة .) هل تقصد سيدة ــ اذا سمحـت ؟

السيد كورفان : (يغمز الملازم سبتمبر ، ثم لفاسكو .) أنت فضولى حقا .

فاسكو : هل اقدر ان اعرف على الأقل لون الشعر الذى سأقصّه ؟ لستُ أخصائياً في كل شيء .

السيد كورفان : (يستوضح بعينيه الملازم سبتمبر وإذ يراه غير راغب بالدخول في هذه الكوميديا يضيف) : أشقر . . . أشقر ، أو أصهب .

فاسكو : هذا يوافقنى تماما . لكنّ شكّاً يمر الآن فيخاطرى . . . أليسَ لِحيَةً هذا الذي تقترح علي تجميلَه .

السيد كورفان : كلا . (بعد فترة تردد) . ستقصّ لآرماند .

فاسكو : (خائفا) هذا أسقفٌ إذن !

السيد كورفان : كلاّ ليس كاهنا . بماذا تفكّر ؟ آرماند هوآرماند عَجّل واقبل . الملازم يهم ان يذهب .

فاسكو : (لنفسه) ويتركني وحيدا . . . دون زبون (بعد فترة برعب) : مع الأرامل ! . . . (للملازم سبتمبر) : انتظر يا مولاى الضابط سأصلّب وأفكر .

الملازم سبتمبر : (بلطف مفاجئ) : خذ هذا المسدس كذكرى إذا بقيت يا فاسكو . . . انه جيد لكسر الجوز.

(لنفسه بصوت منخفض) : في الربيع . . .
حينما تكون المعارك خضراء .

فاسكو : إنني آتٍ !

الملازم سبتمبر : (جالسا على حلقة البئر يرنو إلى الماء . بهمس)
اكره الماء حين يكون معتماً .

السيد كورفان : (لفاسكو) : خذ معك الضرورى : البودرة
والمقصّ والمرآة المنحنية .

(يرتب فاسكو في حقيبة لعدة الحلاقة القميص الذى
يلبسه ومختلف أدواته . قبل أن يضع وعاء التبخر
في الحقيبة الصغيرة يجربه كثيرا ثم يغلق شباكه) .

السيد كورفان : (للملازم سبتمبر) : ولا تنسَ أن تقول للميرا
دور إنّ السيد كورفان يعمل كل ما في وسعه .
لاجله فرغت القرية كالحقيبة من جميع رجالها ..
قل له كذلك انني سأكون سعيداً ان أخدم شخصيا
تحت إمرته ، لكن في الواقع . . . (مُسَارّةً)
التبغ عندكم سيّء جدا . . . إذن أنت تفهم ؟
(يضحك بخبث) ها . . . ها . . . ها . . .

فاسكو : (يظهر على عتبة الباب) : حاضر .

الملازم سبتمبر : حسنا . لنمض . (فجأة بصوت ارق) : تلفت يا فاسكو وتأمل بيتك .

فاسكو : يفكر بشيء آخر (: جلبت معى هنا كل شيء (يشير إلى الحقيبة الصغيرة) . انتهف يا مولاى الضابط لكى أغص لآرماند .

الملازم سبتمبر : لا تريد أن ترى بيتك للمرة الأخيرة ؟

فاسكو : (للملازم سبتمبر) من هو آرماند ؟

الملازم سبتمبر : آرماند ؟

السيد كورفان : (يقترب من فاسكو) انه حصان الميرادور !

(يعود الخوف فجأة الى فاسكو . ثم يتبع الملازم سبتمبر مسلما امره اليه .)

السيد كورفان : (اثناء خروج فاسكو وسبتمبر) ها . . . ها . . . ها . . . (يفرك يديه سرورا) : السيد كورفان قال ذلك !

(يخرج وراء الملازم سبتمبر وفاسكو)

المشهد الخامس

(مارغريت ، قيصر ، ثم الفلاح الاول ، الفلاح الثانى)

قيصر : (يمد رأسه من الكواليس ويبدو أنه يترصد شيئاً ما .) . . .

صـوت : (من الخارج صوت مارغريت مقلّدا صيـاح الديك .) كو كوريكو ! . . . كو كوريكو !.

قيصر : (يدخل) وجدته . (يقلد بدوره صياح الديك.) كو كوريكو ! . .. كو كوريكو ! . . .
(يخرج القهقرى بحثاً عن الديك .)

مارغريت : (تدخل) ليس بعيداً .

(تخرج بدورها . يدخل قيصر ومارغريت القهقرى ويقلدان معا صراخ الديك . يتصادم ظهراهما فجأة . يجفلان .)

قيصر : هذا أنت اذن يا مارغريت يا ابنتى ! قليلة الحياء !
(لنفسه) : هذه الدجاجة اللعينة تحتال علىّ !

مارغريت : رأيتُ يا ابى ديكا حقيقيا على مزبلةٍ يمارس رياضته

قيصر : اين يا ابنتى ؟

مارغريت : (تقوده وتدله باصبعها .) هناك يا أبي .

قيصر : (ينظر خائباً . هذه دجاجة هندية . علاقاتي مع هذه الحيوانات وا أسفاه حسنة . بدون هذاأهلك. (بعد فترة) أريد هذه المرة ان اواجه الأمر . (لمارغريت) اذهبي من هذه الناحية . وانامن الأخرى (بصوت منخفض . بحركة من يديه :) وادفعيها نحوى .

(يدخل في هذه اللحظة الفلاحان يحمل كل منهما دلوا .)

الفلاح الاول : (وقد رأى قيصر .) ماذا يفعل هنا هذا الرجل ؟

قيصر : أشرف قريتك ! (بعد فترة .) ماذا تريدان. . . (بازدراء :) ايها المزارعان ! (يشير الى مارغريت) وهذه ابنتي . انا من العلماء .

الفلاح الثاني : صباح الخير يا آنسة (يقدّم نفسه) العم ترابوّ .

الفلاح الاول : (لمارغريت) صباح الخير (يقدم نفسه) العم روندو .

قيصر : (يشير الى الدلوين) تبحثان عن المـاء في قاع الآبار ؟ . . . بينما يسقط من السماء ؟ كأنكم

كأنكم تعيشون بالمقلوب في هذه القرية !

الفلاح الاول : (ببشاشة) اذن تسلّق شجرة واسحب الماء أيّها العالم !

قيصر : لم لا ؟ انتظر حتّى تمطر وسترى .

الفلاح الثانى : (للفلاح الاول مشيرا الى قيصر) الحقّ معه . لاشيء صحيح في هذه القرية منذ رحيل الاولاد .

قيصر : (للفلاح الثانى .) سؤال يا عمّ : الم تصادف ديكاً بيني وبينه خصوماتٌ شخصية ؟ كستنائى ذو مخالب حديدية يشتمنا كثيراً ، هذه السيدة وانا .

الفلاح الاول : يجب ان يكون الانسان عالماً ليفهم كل شيء .

الفلاح الثانى : (فاهماً لعبة قيصر) الديوك تكلّف هنا فلساً ونصف الفلس .

قيصر : حتّى ولو كانت قذرة . اين وقعنا يا مارغريت يا ابنتى ؟ (يطوف بنظره الساحة الصغيرة ولكى يتملق الفلاحين :) ساحة المدينة فخمة والأبنية مهيبةٌ لكن لا عدالة فيها ابدا !

مارغريت : (تلاحظ اللافتة « فاسكو الحلاّق ») ابى ، انظر

يا ابى ! (تقرأ :) « الحلاق فاسكو » .

قيصر : فاسكو ؟

مارغريت : (مضطربة وبهمس) : حلاّق !

قيصر : اليس البيت الذى كان يبحث عنه الملازم سبتمبر هذه الليلة ؟ (بعد فترة .) هاهى ذاكرتى تجرى . أشكرها .

مارغريت : (لنفسها وهى تنظر إلى ابيها .) « عذراء وزوجة حلاّق صغير . . . »

قيصر : بلى . بلى . هناك أيضاً حلمك يــا مارغريت . (بعد فترة .) الحلاّقون يملئون هذا البلد حيث للناس شَعر كثيف أشعث. كيف تعرفين حلاّقك ؟

مارغريت : إن كان هو ، يا أبى ؟

قيصر : (يغتاظ فجأة) : لكن كنت تشخرين !

مارغريت : (متوسلة) : إن كان هو ، يا أبى !

قيصر : (يمسك مارغريت بيدها بسلطته كأب ويقرع باب فاسكو) : افتحْ . مستعدّ أن ادفع لك اجرتك اذا اتفقنا . (يقرع الباب مــن جديــد ويقول

لمارغريت بصوت منخفض) : هـــل ستعرفينه
على الأقل اذا رأيته ؟

مارغريت : كما أعرفك ، يا أبي .

قيصر : (يقرع الباب بمزيد من الشدة) : افتح لحميك
يا سيّد فاسكو !

الفلاح الاول : ذهبَ برفقة ملازم .

قيصر : صهري ترك عمله ؟ ماذا تقول ؟ آتٍ لزيارته .
(بعد فترة .) كيف كان هذا الملازم ؟

مارغريت : كيف كان الحلاق ؟

الفلاح الاول : من أجيب ؟ العالم أو الآنسة ؟

الفلاح الثاني : (لقيصر) : فيما يتعلق بالملازم رأيناه منذ برهة
يركب على حصان في إجازة . يرتدي الاسود
والذهبيّ ويتقلّد سيفاً معقوفاً . (لمارغريت)
والحلاّق يركب وراءه شبهَ منفعلٍ يدلّي ساقيه .

قيصر : على الدابّة نفسها ؟

الفلاح الاول : الاثنان على الدابّةنفسها ، وكان هذا يجعل من
الصعب رؤية اولادنا وهم يمضون دون انيرفعوا
قبّعاتهم بالتحية ، بسلامٍ مسيحي .

الفلاح الثانى : (يشير الى بيت فاسكو) لم يكن هذا شيئاً رغم انه كان يحتال علينا . يقص بكرسيّ وصابونٍ لزبون في . . . الخيال ! (يضحك وفجأة يصير صوته حزينا .) الصغير المسكين !

الفلاح الاول : الآن أتحسّر على فاسكو . لن نسمع بعدُ صوتَ مقصّاته (يقلّد صوت المقص .) تسْكْ . . تسْكْ . . تسْكْ ! يطلع باكرا مع غناء العصافير ولا صوتَ مقبض آلته ظهراً وهو يُرْخي الستائر .

(تجتاز امريتا في هذه اللحظة الساحة . في إحدى يديها منديلٌ وفي الأخرى حقيبة كتب عليها « الفرح كله في السماء » .

الفلاح الثانى : وها هى أخته تدخل الدير . ما أكثرَ الشقاء على الأرض !

قيصر : (يجرى وراء امريتا التى خرجت .) آنسة . آنسة ! (بعد فترة عائداً على الاثر ولنفسه) انها فوق ذلك صمّاء .

الفلاح الثانى : آه ! الحياة هنا أقلّ جمالاً من الطبيعة . والربيع لا يعود الى الإنسان مرة ثانية .

(يستأنف الفلاحان عملهما .)

مارغريت : (آتيــة من واحد لآخر) سيّد روندو . سيّد ترابو . اعذراني اذا انتزعتكما من هذه البئر والهيتكما عن العمل فقلبي يخفق بشدة .

الفلاح الأول : ماذا هناك يا جميلتي ؟

الفلاح الثاني : نعم ، يا آنسة .

مارغريت : اتركا هــذه الحبال وأخبراني من كان يشبه ذلك الذي رحــل ممتطيا حصانا عسكريا منذ قليل دون صديق . . . (لنفسها .) اذا كان هذا حلاّقي ، يكون حلمي قد تحقق . . . ولا يمكن ان يكون إلا هو ! كما رأيته في العربة كما ظهر لي يرفع مقصه كالصليب وينادیني من نافذة : « مارغريت » . كان الوقت ليلا . . . كانت الريح عاصفة . . وكانت الحرب !

قيصر : (منفعلا) مارغريت ، ملاكي !

الفلاح الأول : لا بد أن قلبك رقيق جدّاً يا آنسة لكي تتعذبي هكذا . (للفلاح الثاني :) كيف كان فاسكو أنت الذي قصصتَ عنده في عيد الغطاس مؤخّرا ؟

الفلاح الثاني : في الواقع ، ومخجلٌ ان اقول ذلك ، لم أره : كنت أتمرأى في مرآةٍ جميلة وأكتشف كم انا هَرِم

حقا . لكن انت ياعمّ روندو كنت تصادفه غالبا في قطاف الزهور ؟

الفلاح الأول : صحيح . اتركني أفكّر . . . واقدر بعد التفكير الكثير ان اقول : انه لم يكن يشبه إلا . . . نفسه .

الفلاح الثاني : (يتذكر) شاربان صغيران كشاربي الفأرة . . .هذا أذكره . . كرة بشكل البيضة صغير كالعشب . . .

الفلاح الأول : وســـط .

الفلاح الثاني : ومن ناحية الطبع يَخافُ كثيرا . . . كالشّهاب !

مارغريت : هذا هو يا أبي ! وما سمعتُ أقوالهم . انه في قلبي من زمانٍ طويل !

قيصر : من أمس ! وكنتِ أيضاً تشخرين ! (للفلاحين) عودا لعملكما ايها المزارعان واتركاني وحدي مع هذه البنت . سأجلدها ! (يقطع غصنا من شجرة ويطويه للتأكد من ليونته .) كل يوم تُفقــدني أسبوعا من عمري . خيزران يَصْفر ــ هــــذا ما يلزمها . أعرفها . (متوجّه الى الفلاحين) عودا الى خيارِكما ايها السيدان . سأستعدّ للرّقص .

مارغريت : لن تضربني اليوم يا أبي لأنني تَعِسة .

قيصر : يلزمك تأديب مفيد . . . امام بيت حامِــك

(يشير الى بيت فاسكو وفجأة ينفجر بالحنـــان.)
مارغريت يا ملاكي !

الفلاح الأول : هذا العالِم سريع الغضب سريع الرّضى في آن . أحبّ ان اسكر معه واغني اغاني الشباب . مارأيك يا عم روندو ؟

(تدخل في هذه اللحظة مدام هيلبوم .)

المشهد السادس

(الاشخاص انفسهم ومدام هيلبوم)

مدام هيلبوم : (تهمهم) ... والنّوى ستنبت في أحشائي وتربي أشجارا ، أنا العجوز التي لا تقدر ان تطرد الذباب ما كان ينبغي أكلُ المشمش ... بل الصلاة للثمار التي تتعفّن ... صلاةٌ من اجل كل مشمشة... كما في الكنيسة ، الأحد . (تقلدّ صوت الجرس) دْرنّ ... دْرنّ ... دْرنّ ... حينما ينهض الكاهن ويتناول القربان المقدّس .

قيصر : هذه العجوز جديرة بالاحترام . لننحن يا ابنتي .

مدام هيلبوم : (تنادي) جيروم ... جيروم !... (تلـقي دلوها في البئر .) أسحبُ دلوا من الرصاص . .

كل شيءٌ ثقيلٌ ، في الأسفل ، في جذور الماء . .
ذات يوم ستأخذني البئر أنا كذلك .

الفلاح الأول : ماذا سترين اليوم في الماء البارد يا مدام هيلبـــوم ؟ رأساً كذلك أو عـَسلاً كما في الفصل الاخير حين كان الأولاد هنا ؟

الفلاح الثاني : (بصوت هامس لقيصر) عند النساء جميعابذرةُ جنون ، فكيف العجائز ؟

قيصر : سأساعدك ياجدة . (يسحب الدلو معها .)صحيح أنهّ ثقيلٌ يا آلهي .

الفلاح الأول : لست متعوّداً على التعب .

قيصر : حينما أحشو كلباً يا ســـيد ، أقوم بعمل جبـــار (يضع الدلو على حافة البئر .) دلوك يا مدام هيلبوم خارج البئر . تسمحين أن أشرب قليلا من هذا المـــاء ، لقلّة التغذية . (لنفسه بكآبة) إلى هنـــا اوصلتني ممارسةُ العلم : أكل الماء !

مدام هيلبوم : (تنظر في الدلو وتصرخ) آه !

(ينحني الجميع فوق الدلو وينظرون)

الفلاح الأول : ليس فيه أيّ شيءٌ .

مدام هيلبوم : (ناظرة في الماء . ببطء كما لو أنها تخاطب نفسها. سيف . . . مقص . . و . . فتاة .

الفلاح الأول : حدّق يا عمّ روندو ، فنظرك أحسن من نظرى. أنا لا أرى الا الماء النقيّ ، كما يقولون .

الفلاح الثانى : ليس فيه أىّ شيء .

قيصر : اما انا فأرى كل ما تراه وحتّى أكثر . تكلّمي أرجوك يا ساحرة ولا تجرحي قلبي لأنني رأيت وجه ابنتي في الماء .

الفلاح الأول : (مشوشا من كلمات قيصر .) يبدو عن قرب شيء ما يتحرك .

الفلاح الثانى : (منحنيا فوق الدلو .) أكيد . . . ريحٌ قليلة باقية في الدلو !

مدام هيلبوم : (عيناها في الدلو .) سأمضى الى القاع هناك حيث موتُ الصور وحياتها . . . لكى أعرف . (للحضور أعيروني عيونكم لأغوص في ماء الصور أضعت قبقابا وأنا الآن أعرج بساق واحدة في الدلو . . . لا تضحكوا على تعاستي . لكن المسوا الماء الآن : إنه يحرق ! . . . هذا فأل . . . بعيداً

ألمح ضوءاً كدرهم يفكر . . . ضوءاً صغيراً لسر مقدس ، ضائعا في غابةٍ لا حد لها . . . قرب كلاب ميتة . . . منذ زمن طويل . . . (تنظر الى قيصر .) وعلى حائطٍ مهجور ملائكةٌ جائعون يأكلون ورودا . . . هذا كله علامة للحداد . . . وها هو الوجه الأول الذى يعود . . . ووجه ثان يطرده . . . وفي هذا الدلو المحرق خطواتٌ راقصة تأتى وتروح . . . ومن يقدران يجيد الرقص في الماء إلا روح فتاة ؟ (تنظر الى مارغريت .) الماءيختبئ الآن . . . لم يبق شيء . . . غير قطيرات باردة ! (تقذف الدلو بعنف في البئر وتنادى) جيروم ؟ . . . جيروم ؟ . . . (ثم تخرج جارة خطواتها وهى تهمهم .) لم يكن ينبغى أكلُ المشمش . . . ثمارٌ تتعفن .

(تخرج مدام هيلبوم .)

الفلاح الأول :الأم هيلبوم تنسج الكلام دائما

الفلاح الثانى : مسكينة ! إنها تهذى .

الفلاح الأول : وماذا يعنى هذا كلّه ؟ (يعد فترة ناظرا الىالفلاح

الثانى .) من حسن الحظ ان هناك فرقا بين العجوز والكهل ، والا . . .

الفلاح الثانى : (يكمل الجملة ضاحكا .) . . . كنا في سننا أغبياء كذلك .

قيصر : (بصوت منخفض لمارغريت .) رأيتك في الدلو يا بنتى .

الفلاح الأول : (لقيصر ومارغريت .) هيا . هيّا ، لا تفكّرا في هذا . . . تعالا لنأكل . ولنطرِدْ هذه الأفكار السيئة .

الفلاح الثانى : وسيعزف على الكمان يا آنسة السيد ترابتّو الذى يبلغ الثمانين .

قيصر : (آليّا لنفسه.) هذه الآلة تحرّك العواطف ! (لنفسه أيضا بهمس) يجب العثور على فاسكو . . . كان مقصه في الدّلو مع مهاميز الملازم . . . يا لها من خرْدة . (ثم الى الفلاحين) هيّا لنأكل شيئا لوجه الله !

(تسمع في هذه اللحظة تأوهات موقعة : إى — يو . . . إى — يو . . . إى — يو . . . الجميع يتبادلون النظر .)

الفلاح الأول : (بشيء من الخوف .) الأرامل !

اصوات : (موقعة .) إى — يو . . . إى — يو . . . إى—يو
(تدخل خمس أرامل . يلبسن الأســود بشكل مأساوى ، كل منهن تحمل منديلا اسود تلوح به . يتأوهن) إى — يو . . . إى — يو. . . (ويولّفن وهن يسرن ويرقصن نوعا من الباليه المأساوى .)

المشهد السابع

(الاشخاص انفسهم والارامــل)

الفلاح الأول : هاهن الأرامل ! أفسحوا مكاناً لحزنهن .

قيصر : يا إلهى . . . إنهن رهيبات !

الفلاح الثانى : (بصوت منخفض ، لقيصر بنــبرة احتراس) اطمئن ، إنهن يبالغن .

الفلاح الأول : (بهمس لقيصر) لهن مع ذلك شهية جيـــدة ، ويخربن بساتيننا .

الارامــل : (بعد ان قمن بدورة رقص يترادفن على التوالى)
إى — يو . . . إى — يو . . . إى — يو . . .
كما في إرميا كما في زكريا .

كما في آلات الخياطة
إى — يو . . . إى — يو . . .
سننتحب وندور !
(يحرّكن مناديلهن .)
سواد ! سواد ! سواد !
كاللّيل نفسه .
إى — يو . . . إى — يو . . . إى — يو . . .
إننا في شتاء دائم
وليس عندنا حطب .
إى — يو . . . إى — يو . . .
أين أزواجنا اين اخوتنا ؟
إى — يو . . . إى — يو . . . إى — يُو . . .
انظروا إلينا
ننظرُ لأنفسنا
خطواتنا هى نفسها !
إىْ — يُوْ . . . إى يُوْ . . . إى — يُوْ . . .

مارغريت : (لقيصر) اشتهى انَ انضمَ اليهـن وابكى خطيبي فاسكو !

قيصر : لا تتحركي ! اعرف جيدا هذه النساء . بعدقليل يتعرين للنوم مع أي شخص ! . . . ويتحولن من سوداوات إلى بيضاوات ... ضدّ الحُرُمـات كلهـا !

الأرامـل : إي ـ يُوْ . . . إي ـ يُوْ . . . إي ـ يُوْ . . .

مارغريت : يجب يا أبي العثور على فاسكو كي لا أصير مثلهن!

قيصر : أن اصير عسكريا في هذه السن !

الأرامـل : إي ـ يُوْ . . . إي ـ يُوْ . . .

وداعا أيّها الكسالى

ياضوء القمر : يا حليب الماعز !

أيتها الورودُ الطبيعية !

مارغريت : سأرقصَ معهن اذا لم نذهب !

قيصر : الذهاب الى الحرب بشعرى الأبيض لأحرق ملح البارود !

مارغريت : من أجل فاسكو يا ابى الذى لا اعرفه !

أرملـة : (تترك مجموعة الأرامل وتشير باصبعها الى أرملة

ثانية .) ستغسل آليسُ هذه الليلة ثيابَ جسدهـا وتحلم وهي تسهر وحيدة بعذوبةِ الرجل !

أرملـة : إي – يُوْ . . . إي – يُوْ . . .

بقية الأرامل : إي – يُو . . . إي – يُو . . . إي – يُو . . .

قيصر : (يمسك ابنته ويصرخ) قيداً لبنتي ! قيداً للحب !

الأرامل جميعا : (وهن يحركن مناديلهن) الظلام! الظلام! الظلام!

أرملـة : (تخرج من المجموعة ، تشير الى البئر وبصـوت ساحرة .) ماء هـذه البئر يشتعل كالقشّ . . .
والفتيات سيصبحن أرامل حتى في الحلم !

الأرامـل : (يتجمّعن وهن يرقصن) إيْ – يُوْ . . . إي – يُو . . . إي – يُوْ . . .
إي – يُو . . . إي – يُوْ . . .

الأرامـل : (يتقدمن فجأة ويواجهن الحضور . ثم يصرخـن معا صرخة وحيدة طويلة ومحزنة .) ها ! . . .

***

اللوحة الثالثة

(مركز القيادة العامة للميرادور ، الجنرال مارافينيا يضع الميرادور رتبا بلون احمر لامع . وهو كهل، اصلع ، عريق الاصل ، حركاته متزنة ،.يقف اثناء رفع الستار قرب مكتبه ويقرأ تقارير مستعيناً بنظارته المزدوجة .

حارسان يتنكبان السلاح ، يأتيان ويروحان دون توقف امام الحضور .)

المشهد الأول

(الميرادور ، رقيب الحرس ، ثم اللازم سبتمبر)

الميرادور : (يقرأ التقارير تباعاً) فيليبير الجنرال في سلاح المدفعية . . . مُتَفَانٍ . . . مُتَفَانٍ جداً. .ثلاث نجوم . . ماذا يقول فيليبير الباسل ؟ (بعد بضع ثوان من القراءة) : يقول إنّ هؤلاء الرجال محاطون بنهر . . وإنه ينتظر الصيف بصـــبر

(يضحك .) هُوْ . . . هُوْ . . . هُو . . . (ينظر الى الحارسين ، يمينا وشمالا وهما آتيان رائحان دون توقف) حاولوا أن تفكروا مــع هذين الرقّاصَيْن (يسمع صوت بوق في ساحة الثكنة) تُؤدّي التحية لاحدهم (تسمع دقات طبل .) يُوَدّعُ آخر . (يسمع صوت بوق تتبعه دقات طبل) الذى ذهب عاد ، وهم يهنّئونه كذلك . آه الجنود مهذّبون ، ناعمون . . (يأخذ ورقة ثانية موضوعة على المكتب ، يقرا الامضاء أولا :) إنْش . . . الجنرال إنْش ، اذا اردت . . آمــر الفيلق النّهرى . . (بعــد فترة .) مــاذا يقــول إنْش ؟ . . إنه يدور في بحيرةٍ مع قواربه كلها . ويستحيل النزول إلي الشــاطئ بسبب قنابل العدو (يتوقف عن القراءة .) هكذا ، كلّ في مكانه : فيلبير ، مع مدافعه ، في وسط الماء . . . انش ، مع قواربه ، في وسط النار . مواقف عظيمة . . (يضحــك ساخراً :) هُوْ . . . هُوُ . . . هُوْ (يأخذ ورقة أخرى ، بعد أن يقرأ عدة أسطر :) هذا يختبئ تماماً في القَرْنبيط . . . وليس ذلك مجازاً . لنقرأ ما يقوله الكولونيل الباسل إنْريكو ؟ (يقرأ :)

إننا مختبئون في حقل قرنبيط . . . المشاةُ وانا . . لن نتراجع قيد شعرة . . في الواقع ، لا أحــد يرانا . . . ولا يقدر أن يرتفع إلى مستوى مجابهتنا غير الزنّابير . (يضع الورقة ويأخذ ورقة أخرى يتصفحهــا) ثم هــذه حادثة مختلفة مسليّة : الوكيل بنز قتل حارسه الخاص : فقدحسبه ساعياً عدوّاً . (يضع الورقة وبصوتٍ لارنّة فيه.) يستحقّ وسامَ سوء التفاهم . . (ينفجر ضاحكا)

(يدخل رقيب الحرس .)

رقيب الحرس : (قارعا عقبيه) الملازم سبتمبر هنا . .

الميرادور : انتظــره .

(يقرع الرقيب عقبيه ويتهيأ للخروج)

الميرادور : (ينادى) رقيب !

رقيب الحرس : نعم سيدى .

الميرادور : (يشير الى احد الحارسين) : عُدّ لى خطوات هذا الحارس (يشير الى الحارس الآخر.) سأتكفل بالآخر .

(يبدأ بالعدّ كلٌ من الميرادور والرقيب).

رقيب الحرس : ١٢ ، سيدى .

الميرادور : ٨ ، عندى . مع ذلك يبدو أنّ لهما القامةَ نفسها (بعد التفكير لحظةً يأمر الرقيب بالانصراف) مساء الخير ، رقيب !

(يخرج الرقيب .يدخل الملازم سبتمبر)

الميرادور : (لا يلاحظ حالا مجئ الملازم سبتمبر لانه كان يراقب الحارسين ، يلتفت من اليمين الى اليسار ، ثم :) سبتمبر ، جئت ؟ (الملازم سبتمبر ، حاسر الرأس - يقرع عقبيه .) ماذا جرى ؟ . .

الملازم سبتمبر : ذهب هذا الصباح .

الميرادور : دون أسلحة ؟

الملازم سبتمبر : دون أسلحة ، مع الرسالة . (بعد فترة) احتفظ بمقصّه .

الميرادور : كنت مع ذلك منعت . . .

الملازم سبتمبر : الكولونيل بيير قال : « من ناحية المقّص آخذ هذا على مسئوليتى . أخبِرْ الميرادور بذلك » هذا ما حدث . .

الميرادور : أرشدتموه الى الطريق التى يسلكها ، وهدأتم قليلا مخاوفه ؟

الملازم سبتمبر : نعم سيدى . قيل له انه يحمل رسالة للسيد برتراند الذى يصيد الأسماك النهرية .

الميرادور : (لنفسه) : الجنرال برتراند . . نجمة : غير شديدة اللمعان : (بعد فترة تأمل ، للملازم سبتمبر) تعتقد أنّ هذا الحلاق لا يتساءل عن خطورة مهمته ولا عن الأخطار التى يتعرّض لها ، في طريقه لرؤية السيد برتراند يصيدُ السمك ؟

الملازم سبتمبر : كان يبدو هادئاً جداً ، واثقاً أنه ينقل الى السيد برتراند تحيات الكولونيل بيبر .

الميرادور : (لنفسه ، فجأة) اذا كان الجنرال برتراند يصيد السمك بالفعل فان ذلك سيكون رهيباً !

الملازم سبتمبر : (ساخراً قليلا) : لا أظنّ أن لديه وقتاً للصيد في الظروف الحالية

الميرادور : أكيد (لنفسه) لكن هذا لا يمنع كون هؤلاء السادة قادرين على كل شيء! انا راض ، هذه المرّة ، كما ترى أيها الملازم ، من وضع مصير

جيشنا بين يدى هذا الحلاق المستقل . في هـــذا القرار شيءٌ بسيط يعجبنى كثيراً . بلى للمناسبة هل أعطيتموه بعض المال ؟ والصفّارة ذات النغمتين لكى تعرفه دورباتُنا ؟

الملازم سبتمبر : رفض كل شيء ، ماعدا شمسية وسلّة طعام

الميرادور : ممتاز ، هذا الصغير . (يبحث عن اسمه .) كوكو ؟

الملازم سبتمبر : كلا . فاســـكو .

الميرادور : آه ! . أخلط . كوكو اسم بغلة عسكرية . ماتت منذ مدة طويلة .

الملازم سبتمبر : (بنشافة) : سيموت فاسكو أيضاً .

الميرادور : وبعد ؟ ليس في الأمر ما يدعوك إلى الخـــوف (بنبرة أكثرودا) اجلس وتربّعْ . خذ حريتَكَ أمام الميرادور .

(يجلس الملازم سبتمبر . الميرادور يمشي طولاً وعرضا)

الميرادور : (ينظر بالتناوب الى الحارسين ،) هل كنتَ يوماً حائكاً ايها الملازم ؟

الملازم سبتمبر : (ينهض) لم افهم ، سيدى .

الميرادور : لا أطلب منك ان تفهم ، بل أن تجيب (يقترب من الملازم سبتمبر ويقلد بيديه حركة المكوك .) الحائك . . . المكوك .

الملازم سبتمبر : آه . .

الميرادور : مر هذين الشخصين (يشير الى الحارسين) أن يتوقفا عن الحركة . . . (بأبهة) أن يموتا في مكانهما !

(يخرج الملازم سبتمبر)

الملازم سبتمبر : (يسمع في الخارج . بصوت هادئ) خذ وضعاً ثابتاً ، ياحارس ! (يلمح عبر الباب ذاهباً نحو الحارس الآخر) خذ وضعاً ثابتاً . ياحارس !

الميرادور : (بشيء من الدهشة) هاهما يصيران جنديين من الرصاص ! (للملازم سبتمبر الذى عاد) شكراً ايها الملازم . أنا الآن أحسن حالا (يتنزه طولا وعرضا ، ثم بعد فترة) وهل تظن ان صحة جنرال كهل شيء تافه يستمد توازنه من لا شيء ؟

الملازم سبتمبر : لا يخطر لى أى شيء ، ياسيدى ، لمجرد أنك أوقفت حارسين . .

الميرادور : أوه ، كلاّ ، لم أكن اعنى هذين الحارسين (بعد فترة) أردت أن أقول انك أحياناً تقسو علىّ بحكمك . . .

(يأخذ الملازم سبتمبر وضعية التهيّؤ)

اجلس ، يا سيد ، فليس هذا إلا بداية قصة طويلة جدا . (بعد فترة) لك في نفسى احترام خاص يا ملازم ، لأنك مستقيم ، وقوىّ ، و . . . تفكر . . في السرّ . في السر : هذه هى الكلمة ! لكن ، قد تكون نعسان ؟ فمنذ ثلاث ليال وأنت تركض في المزارع للبحث عن هذا الحلاّق (مشددا على كلامه) تنفيذاً لأمر .

الملازم سبتمبر : لست نعسان ، يا سيدى .

الميرادور : (بنبرة تحقيق) أجبْ . . . كما لو أنك كنت تفكّر .

الملازم سبتمبر : أصغى إليك .

الميرادور : (ينحنى فوق الملازم سبتمبر) وماذا أيضا ؟

الملازم سبتمبر : لا شيء ، يا سيدى .

الميرادور : اذن كنت أقول إنه لمحزن ، بالنسبة إلى جنرال

كهل ملوّن الملابس (يقوم بحركة غامضة كـــي يشير إلى زيّه العسكرى) أن يرى في وجه أحـــد ضُبّاطه شيئا من النفور بعد تنفيذ مهمة : أتحدّثُ عن هذا الحلاق الذى جئت به والذى أرسلتُه الى الجحيم ، لستُ غبيا ايها الملازم ولا سكّيرا يقامر بالدم ، ولئن كنتُ عرّضت هذا الحلاق البرىء لأسوأ المخاطر الجسدية والروحية فقد فعلت ذلك بدراية وتبصر ، (بعد فترة) إنه بعيد كل البعـــد عن شئوننا ؟ أقرّ بهذا . كان هذا الفتى اللطيـــف يفضل الحلاقة على سيوفنا وأبواقنا وقنابلناوعربات عتادنا ونجاداتنا ، على كل هذه الادوات والآلات العسكرية وعلى رأسها أنا .

الملازم سبتمبر : ...

الميرادور : إنه يفضل الفرشاةَ على المجد والقبعات المزدانـــة بالريش . هل في ذلك عيب ؟ كلاّ ! .. (بحذر) مع انه كان يُحبّ أيضاً الزراعية بالاضافة الى هذه الاعمال . قدم الكولونيل بيبر دراسة مهمة عـــن هذا الحلاّقمقسّما اياه الى ثلاثة أقسام : قسم يترك،

ويقسم يُفحَص ، وقسم يؤخذ . وقد نظرت الى هذا كله ، بالاجمال ، لكننى لم أقرأ هذه الدراسة العلمية . نعم . (بعد فترة)هكذا ، إذا كنت قد اخترت هذا الفتى من بين الكل ، فلم أختره عن وهم او استخفاف — انني أكبر من هذا .سيؤدى فاسكو مهمته . . لانه خائف ! اما هؤلاء الضباط البواسل الذين تطوّعوا للمهمّة نفسها ، فقـــد ارسلتهم كى يجلبوا زيزفوناً . . لمخزن التعاونية . لا أحب الأبطال . نادرا ما يفيدون وهم دائمـــاً مزعجون ، الرجل الخائف خَطِرٌ وفعال اذاعرفنا كيف نستخدمه وهو يملك خاصة حسّ الفُروقات واؤكد لك أن أمثاله يلزموننا في مهتنا حيث يبدو الجميع كالتّماثيل . حتّى الخيّال فوق حصانـــه الراكض (لنفسه) كل جنرال جامد ، جُبصين !
(بعد فترة) نعم .

الملازم سبتمبر : (مشدّداً على الكلمَات) فاسكو لن يجتـــاز الخطوط ، يا سيدى .

الميرادور : سيمرّ من خرم الإبرة . . بين عين جندى ، وعين آخر . . انه ظلٌ هذا الذى أرسلته الى الجهـــة

الثانيةَ . . من الخطوط . جلجلٌ يدبُّ . . ولنقل إنه موزّع بريدٍ يتنزّه !

الملازم سبتمبر : كلاّ . .

الميرادور : (يمتعض) : هل سمعت ، « كلاّ » ؟ . . . نحن وحيدان ، اليس كذلك ، يا ملازم ؟ من قال ، كلاّ للميرادور ؟

الملازم سبتمبر : . . .

الميرادور : (دون امتعاض) كم أنت ساذج ، يا ملازم لأنك تؤمن بالبسالة ، بهذه اللعب اليدوية التي هي الحروب . أعطني فوجاً من الكبوّشيين ، وكتيبة من كتّاب العدل ، لاجتاح مدينةً في أقل من لحظة . (بعد فترة) كتاب العدل خصوصاً ، ياالهم من جنود ! نعم . .

الملازم سبتمبر : لن تصل رسالتك مطلقاً ، ياسيدى . . لأنّ فاسكو سيُقتل . .

الميرادور : اذن يكون حظى قد خاب !

الملازم سبتمبر : مُرْنى بالذهاب . سألحق به ، ونمضى معا : انا

ضابط الحرب ، وهو ... الحلاّق المسكين (بعد فترة) لستُ بطلاً ، يا سيدى ..

الميرادور : أنت معاكِسٌ بارع يا سبتمبر ..

(صمت ...)

الملازم سبتمبر : (فجأة) سوف تأكل الغربان جنودك !

الميرادور : ماذا ؟ عن أىّ غداء تتحدث يا ملازم ؟

الملازم سبتمبر : أتحدث عن هذا الجيش المقطوع . عن هذه الفرق المبعثرة . المهزومة . التى تنتظر أوامرك لتعرف كيف تموت ! هل اعتبارك لجنودك قليل الى هذه الدرجة حتى ترسل لهم على عجلٍ ... حلاّقا .

الميرادور : (يقاطعه بهدوء) : طيارة ورقٌ ياسيد . أمسِكْ بخيطها .

الملازم سبتمبر : (يتابع) ... والحرب اذن مضحكة الى هذه الدرجة ؟

الميرادور : (هادئاً جدا) : نعم . (بعد فترة) كم مرّة جُرحتَ . يا ملازم ؟

الملازم سبتمبر : لم أُجرح .

الميرادور : (ينفجر) اما أنا فقد جرحت سبع عشرة مرّة! قطعت أذناى بسيفٍ واحد وأعادهما إلى مكانهما

رئيسُ الجرّاحين (يهز كتفيه لهذه الذكرى) إحدى عينيّ قفزت من محجرها ، ثم عادت ، لحسن الحظ ، الى وضعها الطبيعي . النّدوب في كل ناحيةٍ من جسمي . طلقاتُ نار ! إنني مرقعٌ كحقيبـــةٍ عتيقة . . نعم ، لائحةُ مصائبي طويلة ، ياسيّد . ان لي ثلاثَ سُرّاتٍ على وجـــه الدقة . . ولي في أمسيات الريح الشديدة (يشير باصبعه الى كتفـــه اليمنى ويقول بغموض) تَرْقوةٌ موسيقية ! أخيرا اذا كنت امشي باستقامة ، فلأنني أعرف أن أعرج (بعـــد فترة) قل أيضا إنني أمْزح ! (يشير الى التقارير المعروضة على مكتبه) هذا المكتب يا ملازم مقبرة آلاف الجنود ، يرقدون فيها على قمـــم . . صغيرةٍ كهـــذه على الورق . . (يشير الى فـــراغ لانهائي الصغير بين سبّابته وابهامه المتلاصقتين) نعم . (بعد فترة مغيراً نبرته .) الآن اذا كـــان ما يزال في نفسك بعض الوساوس عن الحلاق الذي أتيتَ به . . . احتيالاً ، فإنني أرجوك ان تدفنها في حذائك وتسير فوقها !

المشهد الثاني

(تسمع فجاة ضجة كبيرة ، صرخات واصوات متقطعة ، يصغى الميرادور والملازم سبتمبر ويقتربان من الباب)

الميرادور الملازم سبتمبر .

رقيب الحرس ، قيصر ومارغريت .

مارغريت : (تصرخ ، من الخارج) لا تلمسوا أبي !

قيصر : (يصرخ) يقيّدون احد العلماء !

صوت : هيّا ، هيا أخرجا انتما الاثنان !

صوت آخر : (من الخارج أيضا) اذا أنشبتِ فيّ اظفارك يا آنسة ، ادغدغك في مكان آخر . . .

قيصر : صهرى عسكرى !

(تسمع قهقهات .)

قيصر : (من الخارج أيضا) اريد ان أرى الملازم سبتمبر. اتركني !

(يسمع اشخاص يركضون)

حارس : (بشدة) من انت ؟

صوت : (من الخارج) . . تراجع ، انتبه .

(تسمع قرقعة سلاح)

صوت : انتبه للحــارس !

صوت آخر : (قوى جدا) لانُطْلِق ، صهوه عسكرى !

الحــارس : (من الخارج) : معى أمر .

الميرادور : (للملازم سبتمبر) رقيب الحرس .

(يخرج الملازم سبتمبر ويعود بعد لحظة . يدخل رقيب الحرس راكضا . يَسْتفسره المــيرادور باشارة من عينيه)

رقيب الحرس : رجل وابنته دخلا الى المعسكر .

الميرادور : طبعاً ، كان الجميع نائمين !

رقيب الحرس : لا ، سيدى ! (بعد فترة) لكن لا خوف مــن الرجل .

الميرادور : وهذا الرجل ، يجيء . . . هكذا ، تحت نوافذى . مثيراً الغبار بقدميه .

رقيب الحرس : ابْنتُه جميلة جداً . . . يا سيدى (خافضا صوته) تركوهما يدخلان .

الميرادور : أتسمع يا ملازم ؟ أوامر الحراســة خفيفــة ،

والضباط دائماً مستعدون لمغازلة النّساء ! (لنفسه) ذات يـوم سأرمى بالرصاص عشرة منهـم بسراويلهم ، لِلْعبرة ! نعم . (بعد فترة، لرقيب الحرس) وماذا يريد هذا الرجل وبنته ؟

رقيب الحرس : يريدان مقابلة الملازم سبتمبر .

الميرادور : ادخلهما (بعد فترة) الاب . . والبنت. (ينظـر الى الملازم سبتمبر) تسمح ؟

(يخرج رقيب الحرس . . . يدخل بعد لحظة يتبعه قيصر وماغريت)

قيصر : (مندفعاً صوب الملازم سبتمبر) : آه . . هـذا أنت ، يا ملازم ، كنت ابحث عنك (ازاء تحفظ الملازم) هل تتذكّرني ؟

الملازم سبتمبر : (باردا) : جـداً .

قيصر : الغربان . . الغابة . . (بنبرة حنان) وقبّعتك ايها الملازم في البركة . . (يشير الى مارغريت.) بنتي . . التي كادت أن تضربك !

الميرادور : (يدير رأسه ويضحك عابثاً) . هُوْ . . هُوْ .

قيصر : (يميل صوب الملازم سبتمبر . ويقول بصـوت هامس . مشيرا الى الميرادور :) هذا جنرال ؟... لم أر مطلقاً جنرالا عن قرب . ماذا ينبغي أن أقول له ؟

الملازم سبتمبر : (رافعا قبعة قيصر) ارفع قبعتك .

الميرادور : (للملازم سبتمبر) : هل تريد أن تقدّم لي هذين الزائرين ؟

قيصر : ما حكّ جلدك مثلُ ظفرك . (للملازم سبتمبر) عن اذنك . (يتقدم نحو الميرادور) قيصر . . (يشير الى ابنته) بنتي مارغريت . . أنا عالم . بنات العلماء قبيحات بشكل عام ، لكن بنتي جميلة ، وأنـا عالم !

الميرادور : أوافق بالنسبة الى الآنسة . جميلةٌ حقاً . لكـن انت ، أنت عالم . . في أيّ شيء ؟

قيصر : في أي شيء ؟ في كلّ شيء ، يا سيد ! (بعدفترة) اذا اردت ان تغتنم المناسبة . لن ابقى هنا طويلا . (بتواضع) اسأل الملازم عن نظريتي في الغربان (يشير الى بنته .) والآنسة عن قصصي مـع

الديوك . . . لكن ، لِمَنْ لي الشرف . .

الميرادور : أوه . . لا أهميّة لذلك .

قيصر : آه ، كلا ، ينبغي ان يكون للكلمات من تتوجه إليه ، أليس كذلك يا ملازم ؟ يتحدّث الانسان مع آخر ، أو يتحدث وحده .

الملازم سبتمبر : (يحاول ان يخرج قيصر) اتبعني !

مارغريت : (مهدّدة) اترك ابني يتكلم !

قيصر : الحقيقة لم نجئ إلى هنا لكي نضحك . (ينظر على التوالي الى الميرادور والملازم سبتمبر) مع أن هناك ما يضحك ! (يهمس للميرادور ، بدهشة ووقار) رجل بعمرك ، لابس . . كالطاّحون ! (بصوت متهيج مشيرا الى الملازم سبتمبر) وهذا في لباسه الأسود . . . كالكاهن . .

الميرادور : (يضحك) : في الواقع تبدو ، وقوراً جداً يا سبتمبر . .

قيصر : (للميرادور) : وفي الفضيلة نرى أسوأ الشرّور ، ياسيد ! (للملازم سبتمبر) ليس هناك ما يدعو للفخر ، يا خضرة الرئيس ، بما رأيناه ونحن نسير

في معسكركم : كان الجنود يأكلون وهم يهزّون شوكاً أكثر هولاً من الأسلحة ! (للميرادور) بلى ، ياسيد ، الجيش مطعم ! (يغيّر نبرته بعد فترة) أحب أن اقابل صهرى الجندىّ .

الميرادور : في أيّة سريّة ؟

قيصر : لا اعرف . .

الميرادور : هل هو خيّال ؟ (ازاء تردد قيصر) مدفعى ؟ . . من سلاح المشاة ؟

قيصر : كلا ، حلاّق ، (بعد فترة) اسمه فاسكو .

(يتبادل الميرادور والملازم النظر مندهشين)

قيصر : (يفاجئ نظرهما ويظن شرّاً) مات ؟ في يومين ؟

الميرادور : هو في حراسة الله يا سيد !

قيصر : نعم ما قلتَ ! (بعد فترة) جئتُ لاعانقَ هذا النّسيب القريب (لنفسه) وأعطيه بعض النصائح المفيدة .

الميرادور : أكيد ، اكيد ، سياخذك الملازم اليه . (يلتفت الى الملازم سبتمبر ويشير اليه بعينيه اشارة ذات معنى)

الملازم سبتمبر : لكن . . انه ليس هنا . . هذه الليلة .

قيصر : ماذا ؟ منذ قليل ، كان يَبْشرُ الصّابون للحلاقة . قال لى ذلك عريف وهو يهز شوكته . . . (لنفسه) بيننا :لمأرَ في في حياتى أبدا أكولاً ضخما مثله !

الميرادور : (يريد ان ينتهى من هذا الموضوع) سوف يرتّب الامر الرئيس نيديلبرون .(لقيصر ومارغريت) طابت ليلتكمـــا .

(يتجه نحو مكتب عمله)

مارغريت : (تتقدم صوب الميرادور) ليلة طيبة . . ربّما ، لأبى . . لكن ليس لى .

قيصر : (يمسك ابنته بذراعها وبصوت منخفض) احذرى يا مارغريت . هذا الرجل البارد الكهل ، ذو السراويل الحمراء ، يخيفنى (باعجاب) وأيّة مسئوليات تُثقل على كتفيه . فقدَ شَعره في الحرب . هكذا يظهر الملازم صغيرا أمامه ، لاحظتُ جيدا مهاميزْه المكشوفة . . وهذا الحارس الذى يسهر عليه في الخارج ، كالجليد . . ينبغى ان اخبر الغربان بهذا كله . . . بيننا : هذا الميرادور شيءٌ ضخم جدا . .

الملازم سبتمبر : (يخطو خطوة وينادى رقيب الحرس) رقيب. .

مارغريت : (تنظر الى الميرادور بعينين متوسلتين) . . .

الميرادور : (يرفع يده) انتظر يا ملازم ، أظنّ ان لدى الآنسة شيئاً ما لتقوله لى . . . ماذا اقدر ان أفعل لاجل خطيبك . . ان لم يكن لاجلك ، ياآنسة؟. . .

مارغريت : (تتردد ، ثم :) احبّ . فقط . . ان أراه !

قيصر : (لنفسه) وإلا فسيكون الزّواج دون معنى (بعد فترة) سأقصّ هذا يوما على الغربان . هذا الميرادور شيءٌ ضخم جدا .

الميرادور : (بعد صمت ، للمارغريت) عودى لبيتك وانتظريه بثقة . سوف يعود (بعد فترة) وكونى فخورة به . . (يتوجه الى قيصر) أنتَ أيضا . . (يشير الى الملازم سبتمبر.) وحتّى انتم الثلاثة . . (للمارغريت.) ان خطيبك مثَلٌ حربى كبير (بعد فترة) سيعود يا آنسة (لنفسه) اذا كان ما يزال خائفاً .

(بعد فترة — لقيصر ومارغريت) اخرجا ،الآن.

(تخرج مارغريت وقيصر. يبدو على الملازم سبتمبر انه يريد ان يتبعهما .)

الميرادور : أيها الملازم ! (يعود الملازم سبتمبر على عقبيه . بعد صمت ، يشير الميرادور الى كتاب كبير على الطاولة) تعالَ واقرأْ معي الأسفار الآلهية ، وعلى الخصوص ما قاله اشعيا ، في التوراة ، هذا الكتاب الحزني القديم . نعم سوف ترى أن السيد لم يكن يخجل ان يظهر بملامح فنان في الحلاقة عندما كان يطيب له أن يضرب وأن اختياري بعد تقليب وجوه الأمر ، المتعلق بهذا الحلاّق الشاب لم يكن شيئاً (يمسك بيديه التوراة ويقرأ :)

« في ذلك اليوم يحلق السيد بموسىً
مُستأجرةٍ في عبر النهر بملك أشّور
الرأس وشعر الرّجلين
وتنزع اللحيــة أيضــاً . »

(يطبق الكتاب . للملازم سبتمبر) هذا ما قاله إشعيا !

(يسمع في البعيد صوت بوق يعلن انطفاء النيران

في المعسكر . ينخفض الستار ببطء على الميرادور والملازم سبتمبر ، اللذين يذكّران ، بــزيهما العسكرى ووقفتهما الجامدة بلوحةٍ عسكريةقديمة .

ستار

* * *

اللوحة الرابعة

تله صغيرة في الريف . كوخ مبني من ألـــواح خشبية متباعدة كتب عليها دون اتقان بالكلس : مركز ١ . الى اليمين سياج عال . طبل ملقي عـلى الأرض . يتقدم فاســكو ممسكا بيده مظلتــه ، وبالأخرى سلة طعامه . يتوقف ، ينظر حولـه ثم يخرج من جيبه صفارة طويلة ويضعها في فمه .

المشهد الأول

(فاسكو ، الماجود برونست ، اللازم لاتور ، اللازم هانس)

فاســكو : (يصفــر) : فو . . فو . . فو . . . (يمد اذنه ويترصد جوابا . يصفر من جديد) فو . . . فو . . . فو . . .

صــفارة : (غير مرئية تجيبه بتصفير ضعيف) فو . . . فو . . . فو . . .

فاســكو : (يصفر بطريقة ثانية) فوفو . . . فوفو . . .فوفو

صفارةثانية : (تجيب فاسكو) فوفو . . .فوفو . . . فوفو . . .

فاســكو : (يصفر بحيث انه يكرر لحنين بسرعة) : فو — فو — فو — فو — فو — فو— فو— فو — فو —

صــفارة : (ترد على الصفير بما يشبهه) فو — فو — فو — فو — فو — فو — فو— فو — فو — فو . . . — فو...

فاســكو : (يبحث بعينيه عن الجهة التى ياتى منها هذاالصفير يطلق بدوره صفيرا طويلا ، تقطعه تصفــيرات قصيرة .) فو . . فوفوفوفوفوفو . . . فو . . فو . . الخ

صــفارة : (تجيب) : فو . . فوفوفوفوفوفوفو . . فو . . فو . . فو . . فوفوفوفوفوفوفو . . .

(ثلاثة وجوه تظهر وراء السياج وتختفى حالا) ...

فاســكو : (لم ير الوجوه الثلاثة ، يرسم شكل دائرة ، وفي كل خطوة ، يصفر صفرة قصيرة) فَوْ ! .

صــفارة : (تجيبه) فــو ! . .

فاسـكو : فــو !

صــفارة : فــو !

(تظهر ثلاثة وجوه وراء السياج وتنظر الى فاسكو بعين عاشـقة . هى عبارة عن ثلاثة عسكريـين متنكّرين في ثلاث نساء ، بشكل فظّ . . يضعون شعرا مستعارا خرنوبيا او اشقر ، بالمقلـوب ، بخصل وأهداب . . لانهود اصطناعية، ولاخضاب . . تلمح ثيابهن العسكرية تحت الفساطين . لا تكاد الفساطين تتجاوز الركب . يرى ايضا نطاقهـم العسكرى تحت الفساطين . أحد هؤلاء الرجـال يرفع شاربا كبيرا اسود)

الماجوربرونست: (يلبس ثياب امرأة ويضع شاربا . يتجه نحـو فاسكو ، مادّاً يده ، يقدم نفسه) الماجوربرونست اعترفْ أننا خدعناك ، حسبتنى امرأة ، حتى أنك نظرت الىّ بعين الحب . وهاهما الملازمان هانست ولا تور من مصلحة المعلومات في الريف .

(يشد الملازمان على يد فاسكو)

فاسـكو : انا فاسـكو .

الماجوربرنست : اسكتْ . . أنت ، حسب التعليمات ، جواشـيم الأبله ، وأنا كارمن (يشير الى الملازمين) وهذان جيزيل وميمى . .

فاســكو : (لا يقدران يحول عينيه عن شاربى الماجور) ...

الماجوربرونست : والآن ، ماذا ؟ هل يضايقك هذان الشاربان؟فكّر قليلاً بهذين الشاربين يحسبوننى بالتأكيد ، امرأة. . بالطبع امرأة متنكّرة في شكل رجل . لا بد عندنا من اللّياقة (للملازم لا تور الذى ينظر الى فاسكو بعين عاشقة) توقّفْ عن إرسال هذه النظرة إلى جواشيم الأبله. إنه زميلنا ياملازم لاتور (يستدرك بسرعة) عفواً ، مداموازيل ميمى . (يضحك . ثم لِفاسكو :) كانوا ينتظرونك منذ أمس. انت من مكتب الكولونيل بيبّر ؟

فاســكو : لا . .

الماجوربرونست : (بابتسامة مليئة بالمعانى) لكن ... نعم . . لنقل إنك . . صديق الكولونيل بيبّر .

فاســكو : انا صديق الجميع ، لا اعرف الكولونيل بيبّر .

الماجوربرونست : (للملازمين هانست ولا تور ، بصوت منخفض وبإعجاب) هذه هي الخدمة السرية ! (لفاسكو) معك رسالة ؟

فاســكو : أيّة رسالة ؟ احمل تحيات للسيد برتراند .

الماجوربرونست: (للملازمين) تعلّما ، ياولديّ ! (يربّت على كتف فاسكو) عظيم ، ياجواشيم اجلس . سندرس مع ميمي وجيرئيل أفضل طريقة لجعلك تجتاز (يشير الى الأفق) هذا السهل المقدس . يكثر فيه صيد البطّ . هذه الآونة .

فاسكو : صيد البطّ هنا ؟ هذا هو الوقت ، في الواقع .

الماجوربرونست: (للملازمين بهمس) رائع ! (للملازم لاتور) ارفعي فسطانك ، يا آنسة ميمي . النطاق ظاهر . (للملازم هانس) اجلسي دائما مواجهة ، ياجيرئيل لكي تخفي مسدّسك . (بعد فترة .) اية مهنة ، يا إلهي ! (لفاسكو) لكن أيضا أية نتائج باهرة ! امس تماما سحر الملازم لا تور تِنّيناً عدواً كان يتجول في السواحل .

(يضحك .)

فاسكو : هذا شيء ما كنت لأقدر أبدا على فعله : أن اكون سيّدة وأخاطر بحياتي .

الماجوربرونست: من ناحية الشجاعة ، ياجواشيم ، ليس عندك شيء تحسد عليه أيّ شخص . (لنفسه) لست أناالشخص

الذى سيرتجف وهو يقوم بعد لحظة بواجبه في اجتياز هذا السهل .

فاسكو : المرور في سهل للصيد لا يستحق هذا الثناء كله .

الماجوربرونست: (يرمى فاسكو بنظرة إعجاب) طيّب . . طيب. لنترك الحديث عن ذلك .

الملازم لاتور : الأفضل أن نذهب حالا للتعرف على الأماكن ، كى نهيّئ بالحواشيم مخطط الطريق .

الماجوربرونست: سنّنبه لذلك ، ياملازم . (لفاسكو) اشرب شيئاً اثناء الانتظار . استعد نشاطك .

فاسكو : أفضّل أن آكل تفاحه .

(يفتح سلته ويأخذ منها تفاحة)

الماجوربرونست: (يشير الى مظلة فاسكو التى ابقاها مفتوحة)ينبغى أيضاً ان ندرس مسألة هذه المظلة يا ملازم . هل ينبغى أن يأخذها معه ؟

فاسكو : أشعر تحت المظلة أننى دائما في بيتى .

الماجوربورنست: إنها مع ذلك هدف جيد .

فاسكو : (وهو يأكل) : سوف تنتهى بتخويفى !

الماجوربرونست: (يضحك متأكدا ان فاسكو يمزح) هاها . . . ها ها . . .

فاسكو : (يضحك أيضا) هاها . . هاها . . .

الملازم هانس : ماجور . هناك أيضا ، مسألة السلة . ينبغي على جواشيم ان يركض . والسلّة ستكون عائقاً .

الماجوربرونست: (يروزُ السلّة) انها خفيفة كالخيط !

فاسكو : أكلتُ جميعَ ما فيها . .

(يضحك)

الماجوربرونست: (يضحك) الضحك جميلٌ بين الاصدقاء . عندما يكونون في البرّية ، (ثم همساً ، لنفسه) لأأشتهي أن اكون في محله ، على الأرض او في البحر .

الملازم لاتور : نمضي . ماجور ؟

الماجوربرونست: (للملازم لاتور) نمضي . استعدّي ياميمي . (يغيب الماجور برونست ليعود بعد لحظة بمسدسين اضافيين . خلال هذا الوقت يرتّب الملازم لاتور هندامه : يصحّح وضع فُسْطانه ، يسحب من حذائه مروحة يجرّبها ثم يعيدها الى مكانها . يزين شعره المستعار ، بحركة رشيْقة .

الماجوربرونست: (يظهر من جديد ويعطى مسدّسا ثانيا للملازم لا تور) خبّئ لى هذا في ظهرك (مخاطبا فاسكو) سوف نتجسّس من أجلك . . (يشير الى الملازم لا تور) هي بفسطانها ، وانا بمهاميزى .

(يشير الى طرف شاربيه ويلمسهما ضاحكا)

الملازم هانس : ماجور ، انتبه جيدان من جهة أشجار الكرز . فالرّميُ دقيق جدا .

(يخرج برونست ولا تور . يسمع ، بعد لحظة ، صوت رجل يقلّد صوت امرأة ويغنّي : « انى فتاة جميلة جدا . . . ونهداى كالورد . »

المشهد الثاني

(الملازم هانس ، فاسكو)

الملازم هانس : (لفاسكو) هذه الآنسة ميمى . تغنّى . (يضحك) سيزوّدانك بمعلومات ثمينة . لا بد من ذلك . . . جميع الذين حاولوا المرور عنوة سقطوا . بينهم أشجع النّاس . (بعد فترة) تبدو حالماً .

فاسكو : عفواً . . (يتردّد ويشير باصبعه) قصّةُ شعرك سيئة للغاية .

الملازم هانس : . . . .

فاسكو : صَدّقني : ليست هذه قَصّة ، بل خَيبة .

الملازم هانس : (مايزال متعجبا من رؤية فاسكو يفكّر في اشياء بسيطة كهذه . . بينما يهدّده خطر كبير . .)ماذا يفكّر . . هوْ ! . . لا . . .

فاسكو : أتكلّم عن خبرة (يشير باصبعه الى الشعرالمستعار) هذه الخُصلَة مشّعثَة جدا . التّيْسُ أكثرُ لطاقة . . . القَشْطَةُ أيضاً .

الملازم هانس : تصوّروا . .

فاسكو : التجعيدة الجيدة يجب أن تكون مدّورة ومجوّفة كجوف البوق . وهذا غير حاصل فيشعرك وشعر الآنسة ميمى . .

الملازم هانس : بماذا يفكّر . .

فاسكو : أستطيع ان أصلح لك هذا ، لِلْمتعة لا غير : (يشير الى السلّة) اجلسْ .

الملازم هانس : (يجلس) : الاقتراح مضحك جدا . .

فاسكو : (يخرج مقصّه من جيبة) آفة هذه الحلاقة : هى الخصلة . . . يجب تخفيفُها (يحرّك المقص)تْسِك

. . . تْسِكْ . . (يتراجع لكى يحسن مراقبة عمله .) ثم رفعها . (يقص مرة ثانية) تْسِكْ .

الملازم هانس : لاتُسرع ، ليس هذا شَعْرى — تعرف ؟

فاسكو : لكنه على رأسك . هل هناك ما يمنع إضافة قليل من الجمال ؟ تْسِكْ . . تْسِكْ .

الملازم هانس : هذا ما أستمر في تكراره لنفسى : الملازم هانس مزين كعاهرة ! ولحسن الحظ اكتشف أحدهم ذلك . . واذْهبوا إلى الحرب في مثل هذه الحالة..

فاسكو : لا تتحرك كثيرا . فالمقص قرب أذنك . .

الملازم هانس ! أسمعه ، . . أسمعه . .

فاسكو : الآن سأقص هذه الأهداب الزائدة . تْسِكْ . . تْسِكْ . . كانت تخفى جبهتك . تْسِكْ . . . يعنى ذكاءك ، تْسِكْ . . .

الملازم هانس : الحقُ في هذا كله على الماجور . يلبسنا كبنت بنت عمةٍ يتذكرها من عشرين سنة (لنفسه ، غاضبا) اذا خسرنا الحرب . . تكون بنتُ بنتِ العمة هذه هى السبب ! . . .

فاسكو : انتبه . . المقص قربَ الأن . .

الملازم هانس : أفضّل أن أخسر أذناً وأقول رأيي فيما يتعلق بعتادي

فاسكو : (يحرّك المقص) تْسِكّ . . . تْسِكّ . . تْسِكّ

الملازم هانس : انظر الى هذا الكوخ ، ياجواشيم . . . هناك تفتح . . صالوناً للارشاد والإعلام ! ايـن الشرف العسكرى في هذا كلّه ؟

فاسكو : تْسِكّ . . تْسِكّ . . تْسِكّ . .

الملازم هانس : بيننا : الحقّ على الماجور ، لايفكّر الابالاستعلامات.

(تسمع طلقة نارية بعيدا ، ينهض الملازم هانس فجأة قلقا ، يذهب ويصغى . ينتظره فاسكو ، بهدوء . وفي يده المقص . يعود الملازم هانس ويجلس على السلة)

فاسكو : (يستأنف عملـه) تْسِكّ . . . تْسِكّ . . . تْسِكّ . . (بعد فترة) ما أكثر البارود الذى يُبَذّر في الصيد . .

الملازم هانس : (يدفع المقصّ بيده ، ويحدّق مليا في فاسكو . تخطر له ، للمرة الاولى ، فكرة أن فاسكو لايشكّ في شيء .) تظن بالفعل أن هناك صيداً ؟

فاسكو : (بعد صمت) لا أعرف . . في كل حال ، عندى الآن أعذار مهمّة لوجودى هنا ، مادمت أزّين سيدة أو سيّداً . .

الملازم هانس : (يضحك) ها . . . ها . . . ها . . . (بعد فترة (كيف صار هذا الشعر ؟

فاسكو : قليلاً . . انتهيت . (يتراجع لكي يحسن ملاحظة عمله .) ينقصه شيء بسيط : زهرة البحر الصغيرة ! (ينظر حوله ، يجد زهرة يقطفها) ستَلْبَقُ لك هذه الزهرة الحمراء في الشعر . .

الملازم هانس : آه . . كلاّ . . ليس في رأسي . . زهرة بلون الدم . . تنسى انني جندي

فاسكو : إذن ، أحتفظُ بها أنا . .

(يشكّ الزهرة في جيب سترته)

الملازم هانس : (بصوت منخفض وهو يراه يشكها) تماما . . في سويداء القلب ! . .

المشهد الثالث

(يدخل الماجور برونت والملازم لاتور عائدين من الاستطلاع)

الملازم هانس ، فاسكو ، الماجور برونست والملازم لاتور

الماجوربرونست: ها نحن عدنا . كل شيءٍ على ما يُرام ، ياجواشيم. الطريق حرة (هامسا للملازم هانس) أخبار سيئة .

الملازم لاتور : (لفاسكو) باستثناء بعض الفزّاعات التي تحرّكها الريح ، وحرذون كاد يزحف على الماجور ، بين الصخور ، بدت لنا الطريق مفتوحة . صحيح أننا لم نعبرها الا بعيوننا . (هامسا للملازم هانس) أخبار سيئة جدا ، يا ملازم . الطريق مسدودة . .

الماجوربرونست: (للملازم هانس) كانت السماء الزرقاء جميلة وعلى الجملة مشجعة يا آنسة جيزيل . .

الملازم لاتور : (هامسا للملازم هانس) الأفضل أن يمضى في الليل .

الملازم هانس : (هامسا) في الليل ؟ هذا محزن ، يا ميمى .

فاسكو : (يسمع) بسبب الخفافيش ؟

الماجوربرونست: (يضحك) ها ها . . . هاها . . . والشياطين ! . .

فاسكو : سيداتى ، سادتى ، قرروا ، هل علىّ أن أذهب ليلا أو نهارا ؟

الماجوربرونست: معه الحق ، لِنُقَرِّر (يلقى اوامر .) الملازم الاول الاتور (الملازم لاتور ينهض ويستعد) الملازم الثانى هانس (الملازم هانس ينهض ويستعد) أنا الماجور برونست ، رئيس المركز ، باسم

الميرادور جنرال ، أقرّر ما يلي (ثم بصوت عادي — لفاسكو) تذهب حين تريد (بصوت عسكري من جديد . .) وهذه توصياتي : أوّلا . . (ثم بصوت عادي .) حظّ سعيد . . . ثانياً . . .

(يسمع في هذه اللحظة حفيفُ أغصان ووقـع خطوات . . . الـخ يصغى الماجور برونست والملازمان لاتور وهانس، ثم يحملون فاسكو ويختبئ الأربعة وراء السياج .)

المشهد الرابع

(يدخل قيصر وتحت ذراعه الكلب فيديل ، تتقدم مارغريت الى جانب والدها بخوف . يمسك قيصر بيده صفارة مثل صفارة فاسكو.)

الاربعة . ثم قيصر ومارغريت

قيصر : (يتلفت حواليه ويقرأ على الكوخ) أقرأ : مركز واحد ، دون نظّارة .

مارغريت : لا بد أن يكون هنا ، يا أبي .

قيصر : وما يدريك؟ هذا الصمت يخيفني . انهم يترصدوننا يا بنتي .

مارغريت : اصفر ، يا ابي .

قيصر : (يمسك الصفّارة ، بالمقلوب ، ويحاول عبثاً ان يصفر) مسدودة .

(وراء السياج تظهر وتختفي وجوه برونست ولاتور وهانس . بعد لحظة ، تظهر من جديد الوجـــوه الثلاثة . . وثلاثة مسدسات)

قيصر : (لم يلمح شيئا) يراقبوننا ، يا بنتى . . من هناك .

لماجوربرونست: (يظهر فجأة ومسدسه بسوية ذقنه) من أنت ؟

قيصر : (مرتجفاً من الخوف) من هذا ؟

الماجوربرونست: من أنت ؟

قيصر : (لم ير برونست بعد) تكلم بلغةٍ حية . من فضلك

لماجوربرونست: من هناك ؟

مارغريت : اصفر . . اصفر . . يا ابى ، أرجـــوك .

قيصر : (يحاول ان يصفر عبثا) مسدودة ، يا بنتى . . .

مارغريت : سيقتلوننا ، يا ابى . . قل من أنت ؟

قيصر : قيصر . .

الماجوربرونست: (يرفع رأسه) أى قيصر ؟

قيصر : أى قيصر ؟ أنا ! . .

(الوجوه الثلاثة والمسدسات الثلاثة المصوبة تظهر بوضوح وراء السياج . في هذه اللحظة يصحّح قيصر وضع صفارته . . يصفر او بالأحرى لا يتوقف عن الصفير . يخرج الماجوربرونست والملازمان من مخبئهم .)

الماجوربرونست: ألم تكن تستطيع أن تصفر قبل الآن ؟ (بحركة) لم يكن ينقصك إلا ذلك لكى تذهب ضحية خطأ عسكريّ . . خطأ لا يمكن تصحيحه . .

قيصر : (ينظر بشكل خاص الى الماجوربرونست) من هذا الغول يامارغريت ؟

الماجوربرونست: الماجوربرونست ، ياسيّد .

(ينحني امام مارغريت)

قيصر : بنتى فتاة حقيقية . . ليست مزّورة مثلكم . .

الماجوربرونست: ورائعة الجمال ! . . (للملازمين) خسارة ان نكون نساء

(يفتل شاربيه)

الملازم هانس : (لقيصر مهددا) أيّة ريح قادتك إلينا ؟

الماجوربرونست: (للملازم هانس) بهدوء يا آنسة جيزيل . .

قيصر : أين وقعنا ، يا بنيّ ؟

الماجوربرونست: (للملازمين مشيراً الى قيصر) فتشاه من رأسه إلى أخمص قدميه . . وانا سأتكفل بالآنسة . .

قيصر : (للماجوربرونست وهو يريه الصفارة) وهذه الصفارة ، ياسيّد ؟ (يخرج ورقة من جيبه مخاطبا أيضا الماجوربرونست) وهذه الرسالة ، ياسيّدة؟ (مليئا الآن بالطمأنينة . .) هو هو هو هو . . . كن لطيفاً معي . .

الماجوربرونست: (يقرأ الرسالة ، ويقول وهو يقرأ بين فترة وأخرى) نعم . . . نعم . . .

(الملازم لا تور . . يغمز قيصر) . .

قيصر : (يرد الغمزة بهدوء وثقة) . . .

الماجوربرونست : (يقرأ بصوت عال الإمضاء في أسفل الرسالة) الرئيس نيديلبرون .

(يفكر وهو يضع الرسالة أمام عينيه) نعم . . ؛ نعم . . (لنفسه ، فجأة) ولماذا ، لا ؟ (لقيصر) تعرف الرئيس نيديلبرون ؟

قيصر : (يتردد) طبعاً . . . طبعا . . .

الماجوربرونست: لا يتَحدث إلا عن ابنتك . انت في الحاشــية ، فقط . (يلقى نظرة على الرسالة ، ثم على قيــصر) أنتَ عالم ، كما يبدو ؟

قيصر : أدرسُ الحرب .

الماجوربرونست: بأىّ شيء ؟

قيصر : بالملاحظــات . .

الماجوربرونست: (بنبرة فظة ، وبعد فترة ، تأمل) لا بأس (بعد فترة) لنتحدث عن ابنتك : انها تبحث عنخطيبها العسكرى ؟ (لمارغريت) حسن ، يا آنســة أن تحبّى جنديا .

قيصر : جئتُ مع ابنتى كى أرى صهرى وأتحدّث اليه .

الماجوربرونست: كيف ، صهرك ؟ الآنسة ، كما يقول الرئيــس نيديلبرون ، مخطوبة فقط . (للملازمين) ها هى الأكاذيب تبدأ . .

قيصر : (بنبرة مناجاة) أسمّيه صهرى لأن الأمر جِدّى للغاية .

الماجوربرونست: ابنتك فاتنة ! (لنفسه) خسارة ان نكون نساء .

قيصر : لكن . . لماذا تلبسون هكذا ؟

الماجوربرونست: واجبنا هو أن نتنكّر .

قيصر : (بإعجاب) : هُوْ هُو هو هو . . .

الماجوربرونست: ماذا ؟ مهمة سرية ، ياسيّد . . العدو في الاسفل يراقبنا بالنظارات يجب ان نخدعه . . مرّة ذهبت للاستطلاع مع جبرئيل وميمى . كان ثلاثة جواسيس اعداء في ذلك اليوم ، متنكرين في شكل شجرات ثلاث ، يتنقّلون ورقةً ورقةً ، لكى يترصّدونا . حينما التقينا في السهل . . .

قيصر : (يحذر) . . لم يشعر أحد منكم أومنهم بأىّ شىء!

الماجوربرونست: برافو ! نجحت العملية جدا . من الجانبين ! . . كنا ، نحن وهم ، ثلاث سيدات تحت الأشجار، ولا شىء غير ذلك .

قيصر : هُوْ هُوْ هو هو . .

الماجوربرونست: (بتواضع) مهمّة سرية . يا صديقى ! (بعد فترة) لنعد إلى بنتك . (لمارغريت) اقتربى ، ياحلوة ، من الماجوربرونست واعرضى لهالوقائع بوضوح . رسالة الرئيس نيديلبرون مفهومةتماما . يتحدث عن عسكرى مجازف وشبه مجنون منشدّة الشجاعة . .

قيصر : (بكبر) هكذا صهرنا ! . .

الماجوربرونست: لكنه لا يشير بكلمة واحدة إلى اختصاصه اورتبته. أستنتج أن الامر يتعلق بعسكرى مدّرع (يقوم بحركة من يده خلف رأسه لكى يوحى بالشرابة التى تتدلى من خوذة المدّرع) ، إذ في الرسالة ما يشير بغموض الى موضوع شَعْر . ينبغى ان اعترف ان هذه المعلومات لا تقدم أىّ شيء يتيح العثور على جندى في سلّة الحرب ، المثقوبة. حينما كتب الرئيس نيديلبرون هذه الرسالة ، كانرأسه ضائعاً ! (بعد فترة) أتساءل لماذا أرسلوهما الى المركز واحد ؟ هنا ، لا وجود للعسكريين بالمعنى السرى للكلمة . (لمارغريت الجالسة على سلة فاسكو ، شديدة الحزن) لا تفقدى شجاعتك ، يا آنسة ، سوف نعثر على خطيبك (لقيصر) ماذا يلبس هذا الصهر العسكرى ؟

قيصر : (بعد تردّد قصير) لباساً أسود ، بحواشٍ ذهبية..

الماجوربرونست: آه . . إنّه ملازم (لمارغريت) سوف نجده .

قيصر : على رأسه أيضاً شرابة . وعلى ذقنه سلسلة فضية لتثبيت قلنسُوته .

الماجوربرونست: انه اذن رئيس طبّالين (لنفسه) ولم لا ؟ البنات يُولعن به .

قيصر : يزين بنطاله من الجهتين شريط احمر . .

الماجوربرونست: (مُشوّشاً) ها هو يصير نقيباً !(يصرخ) لم أعد أفهم شيئا ..

قيصر : أنا أيضا ، يا سيد ، أنا أيضا . . هذه البنت مجنونة! (يسرع نحو ابنته) زانية !مارغريت ، الزانية !

الملازم هانس : هيّا ، هَدّئْ رَوعك ، أيها الأب التّاعس . .

الملازم لاتور : (للماجور برونست) لاتغضب، يـا حضرة الماجور . .

(يرفع فاسكو رأسه ، ينظر ويختفى وراء السياج)

الماجوربرونست: ومنذ متى دخل الحرب هذا الفتى ؟

قيصر : منذ بضعة أيام .

الماجوربرونست: فَهْى يقلّ شيئا فشيئاً . . في أية حال ، لن تجدوا عندنا هذه العجيبة .

الماجوربرونست: (للملازم هانس) أعطنى قلماً وورقة ،ياملازم (لقيصر الذى يحمل فيديل تحت ذراعه)(كلبك جميل . كم عمره ؟

قيصر : ثلاث سنوات عند موته ، والآن ست سنوات .

الماجوربرونست: (لنفسه) هذا الكلب جميل ، جميل . . (يجلس على صندوق كي يكتب . لقيصر :) . . سأكتب لك كلمة لزميلي ، الماجور فونساغريف ، الذى يهتم بالمجنّدين . . المعسكر على بعد عشرة فراسخ من هنا بمحاذاة النهر . المنطقة هادئة . هذا ما كان ينبغى عليّ ان أبدأ به . .

قيصر : (بعد فترة ، يقترب من الماجور) لاتنس ان تشير في نهاية رسالتك إلى انني عالم . .

الماجوربرونست: طبعاً ، ياسيّد ، زيارتك شَرفٌ لنا . (بعد انتهائه من الكتابة) آمل أن أكونَ أكثَر وضوحا من النقيب نيديلبرون .

(ينفخ على الرسالة كي ينشّف الحبر ويسلّمها لقيصـــر)

قيصر : شكرا . . سأحتفظ بذكرى مؤثّرة عن المركز واحد والسيدات البطلات اللواتى رأيناهن . .

(يضع الرسالة في جيبـــه)

الماجوربرونست: (لمارغريت) لاتتعذّبي ، يا آنسة . إن خطيبك ، اذا جاز لى القول ، هو في جبية والدك مع هذه الرّسالة للماجور فونسا غريف (لقيصر) لونتحدث عن شيء آخر قبل أن نفترق ؟ تدرس الحرب؟ . .

قيصر : نعم ، ولستُ مسروراً بذلك . (بتعبير شيطانى في وجهه) بيننا : هذه قصة غربان ! كل جنديّ يذهب الى الحرب ، يحمل على كتفه غراباً . الغربان كالخدمة السرية ، لاتُرى !

مارغريت : (متوسلة) : لنذهب ، يا أبي . .

قيصر : (يذهب ويجلس على سلّة فاسكو . يمد يده الى داخلها ولايجد شيئا .)لم يبق أيّ شيء في هذه السلّة . .

الماجوربرونست: اتبعْني ، اذا كنت تحبّ التفاح . هناك شجرة تفاح ، تحت . .

الملازم لاتور : (يهمس للماجور) السير في هذه الجهة مخاطرة . .

قيصر : لا أحبّ الثمار إلى هذا الحـــد . .

الماجوربرونست: لاتجازف بأى شيء ،سنحيط بك نحن الثلاثة .. ستبدو أباً يأخذ بناتـه في نزهة . .

قيصر : (يضع الكلب فيديل قرب الطّبل) هكذا .. لا نفــترق ..

الماجوربرونست: اخيرا سنمضي لنشرب كأساً في الكوخ (يقف الواحد وراء الآخر .. تقف مارغريت على حدة وتحلم .. الماجور برونست مخاطباً قيصر ،وهو يخرج :) سيعجبك منظر فريد .. هذه التلّة تشرف على الحرب كلها ..

(يرى قيصر سلّة فاسكو .. يحملها ويخرج الجميع)

المشهد الخامس

مارغريت ـ فاسكو)

مارغريت : (تلقى نظرة حزينة حولها . تقف عيناها لحظة على الكلب فيديل الذى وضعه ابوها قرب الطبل .) انني وحيدة مع فيديل ومع طبل .. وحيدة مع نفسي .. موائد الليل ممدودة في الظل ... أسمع فيديل يتحدث مع طبل .. وقلبي الذى يخفق ... ولا أعرف وجه حبيبي ...

مضى ابي ليشرب الخمر ... يتركني وحيدة مع

فيديل .. النجوم تعبر ولا تتوقف .. القمر يسير بين الأشجار كطحّانٍ أغبر ، وانا .. أبحث عن وجه حبيبى ..

اللواتى يحسبننى مجنونة لأننى أجرى وراء ظــل .. ماذا يَحْضُنَّ بين أذرعتهن حينما يكون الحبيب قربهن ؟ ان لم يكن حلم حبّهن ! وماذا لديهــن أكثر منى ؟ اننى وحيدة مع طبل وكاب ....

(يخرج فاسكو من مخبئه ...)

مارغريت : (وقد فوجئت) ماذا تفعل هنا ؟ (يقف فاسكو) ومن أين تأتى ؟ ... ياظل شابُ ..

فاســكو : أبحث عن سلّتى .. ينبغى أن أذهب ..

مارغريت : سلّتك في ذراع ابى .. سيجلبها لك .. لأنهــا ليست ديكا (تضحك) لست جنديّا ؟ ..

فاســكو : (لنفسه) : وقانىَ الله ! (لمارغريت ، فجأة، وقد سيطر الشك عليه) لكن انت يا آنسة .. هل انت، بالفعل آنسة ؟ (كأنما ليعتذر) كل شيء هنــا مزوّر .. حتى أنا الذى يسموننى جواشيم ..

مارغريت : (بدعابه) انظر الى ..

(فاسكو ينظر الى مارغريت ويبتسم . . ترد لـــه مارغريت ابتسامته)

فاســـكو : تستحقين ، في أية حال ، أن تكونى آنسة رائعـــة الجمال . .

مارغريت : لم تقل لى كيف طلعت من الأرض ، في هذا المكان بالضبط ؟

فاســـكو : أقوم بجولة من أجل عسكريين . كان على أن أمر بالمركز واحد . حين وصلت مع والدك ، كنت وراء هذا السياج مـــع الملازمين . كنت أقول في نفسي وأنا أترصدُكما : هذه الفتاة ستموت لأنّ والدها لايعرف أن يصفر . .

مارغريت : لكن أبى صفّر !

فاســـكو : وتنهدت . . حتّى أننى تنهدت مرات عديدة . .

(صمت)

مارغريت : انى أبحث عن خطيبي . .

فاســـكو : عســـكرى ؟

مارغريت : عسكرى فقط ؟ . . . جندى وحسب ؟ . . تريد

أن تضحك ! خطيبي شخصية حربيــة كبيرة
يسميه الميرادور حمامه . .

فاســـكو : ؟ . . .

مارغريت : (تضيف حالا) الزاجـــل . .

فاســـكو : (لنفسه) حمام ؟ الحمام يؤخذ الى الفرن، احترسي يا آنسة . .

(صمت)

مارغريت : (تتابع فكرتها) صنع في قلبه الشجاعات كلهـــا وسيكون هو نفسه أيضاً ! (بعد فترة) أني يحبه مثلي . . (تحلم ، ثم :) حين رأيته للمرة الأولى كنت في نافذتي ، لأننا نسكن ابي وانا ، بيتاجميلا جدا ، مع كلاب نشيطة وأخرى مبللة . . بندى العشب . كان يمتطي حصانا يخرج الدخان من ذنبه وأنفه . . . حصانا يستطيع ، حين يحـــزن ، أن يمشي برجلين . .

فاســـكو : (يصغي مسحورا) . . . .

مارغريت : (بتوكيد) : نعم، لوّح بيده (تحرك يدهـا .) ... هو والحصان .. وأنا ، كنت أغلق النافذة بسرعة كي لا أرى شيئاً آخر . طوال النهار . . .

فاسـكو : بهمس (أوه . .)

مارغريت : نعم . (بنبرة شـعور بالإثم ، وتعاسة .) ربمـا أكذب قليلا . (مستدركة) لكنها الحقيقة ! مَرّ في النهار التالى . . . وفي نهارات كثيرة بعده ، ملوّحا بيده (تحرك يدها .) دون ان يكلمنى . . ورميتُ له زهرة . .

فاسـكو : (غاضّاً عينيه) حملها . . في قلبه ؟

مارغريت : لا . (تتردد) أكلها حصانهُ . (بعد صمـت) وأدركت انه كان يحبنى !

فاسـكو : (بهمس) أوه . .

مارغريت : حينذاك قال لى أبي الوقور : « هذا يكفى ، يكفى هذا يا ماغريت . . سوف تتزوجينه . » وماكنت أطلب شيئاً أفضل (تتوقف . ثم بصوت حزين :) كان قد مضى إلى الحرب (بعد فترة) ولم أره بعد ذلك . الحقيقة . . لم أره مطلقاً .

فاســكو : (بهمس) : كم ينبغي عليك أن تحبيه . . .

مارغريت : (زائغة العينين) . . . كي لا أعرفه . (بعدفترة.) انه الآن يجول ، يجول . . . !

فاســكو : بثياب ممزقة ! عاري الصدر ؟

مارغريت : حبي له يزدادُ ، هكذا . . .

(يعبّر وجهها عن الغم . .)

فاســكو : (يريد أن يطمئنها.) لا تجوز المغالاة . . . لعلّه لم يُصب بأيّ أذى.. اظنه يدخن الغليون في هذه اللحظة

مارغريت : (مسبلة ذراعيها .) لا وقت عنده ! (بهمس وبمرارة من المفاجأة العميقة .) هذا بطل !

المشهد السادس

(يدخل قيصر والماجور برونست ووراءهما الملازمان هانس ولاتور اللذان يحملان السلة معا . في يد قيصر تفاحة حمراء .

مارغريت ، فاسكو ، ثم قيصر ، الماجوربرونست الملازم هانس ، والملازم لاتور .

قيصر : لو هذه قنبلة ياماجور أرميها هكذا . . .

(لا يرمي التفاحة .)

الماجوربرونست: (يأخذ تفاحة من السلة التى وضعها الملازمان على الارض .) لا . . لا (يتخذ وضعيته .) بهـــذا الشكل (يدير التفاحة حول رأسه) مروراً فوق الرأس . .

(لا يرمى التفاحة)

قيصر : (يأخذ تفاحة ثانية ، يبدو مخيفا) يمكن باليديـــن الاثنتين أن ننسف كلّ شيء! (لمارغريت)صوت يا بنتى أصنع الأسهم النارية (للماجور برونست) قنبلة ثانية ، ماجور ؟

(لا يجيب الماجوربرونست ، يلمح فاسكو)

الماجوربرونست: كيف لم يذهب ؟

الملازم هانس : (يقترب من فاسكو) يجب أن تسرع ياجواشيم : إنه اللّيل تقريباً . .

الملازم لاتـــور : (يضع يده على كتف فاسكو) آمل ان يسير كل شيء على مايرام .

الماجوربرونست: (لفاسكو الذى لا يتحرك امام مظلته وسلته) خذ المظلّة إذا أردت . (يشير بإصبعه الى طريـــق) وسرْ من هنا . .

فاســـكو : طيّب . . . وداعاً ! . .

(يخطو بضع خطوات . مظلّته تحت ذراعه . وفي يده سلته)

الماجوربرونست: قِفْ ! . . سنستطلع لك الطّريق . ياجواشيم . (بنبرة دعابة) ونتأكد من الوضع كما يُقال . .

(يلتقط الملازم هانس حصاة ويرميها في اتجـــاه الطريق التي أشار اليها الماجور . يصغي الماجـــور والملازمان . الحصاة تتدحرج على المنحدر. تسمع بوضوح . تتدحرج . تجتاز عوائق . . تتدحرج . فجأة تتوقف الحصاة . في هذه اللحظـــة تُسمع جلجلة رهيبة لسلاح نارى)

الملازم هانس : انفجار جهنمى . . تحت . سيكون المرور صعباً . .

فاســـكو : (يبدو قلقاً للمرّة الأولى . .)

الماجوربرونست: (لفاسكو) : لا تتحرك . (للملازم لاتور .)ارم حصاة الى هذه الجهة يا ملازم .

(يرمى الملازم لا تور حصارة في اتجاه آخـــر . الجميع الآن يتابعون بقلق صوت الحصاة . . . التى تقفز . . . تتدحـــرج . . ثم تتوقف الحصاة . . ويسمع . كأنما للمرة الاولى ، لكن بحدة أشدّ .

دويّ انفجاراتٍ رهيبة . ينزع الماجور برونست والملازمان هانس ولاتور شعرهم المستعار ويسحبون مسدّساتهم . يحيطون بقيصر وفاسكو ومارغريت)

فاســكو : ماذا يجب أن اعمل ؟

قيصر : (جازما) تختبيء !

الماجوربرونست: (بدعابة) : اتركوني أفكّر . . أو بالأحرى ألا افكر . . (لنفسه) الوضع هو التالي : خَطِر !..

قيصر : ما شاء الله !

(تمر فترة)

مارغريت : انتظروا . ربما جلبت له السعد ؟

(تلتقط مارغريت حصاةً وترميها في اتجاه جديد. جميع الاشخاص يتابعون لاهثين ، كما في المرات السابقة صوت الحصاة . . تتوقف أخــيراً. ليس هناك أي دوي . يتنفس الجميع .)

الماجوربرونست: (يعانق فاسكو) الى الأمام . .

فاســكو : (يأخذ سلّته ومظلته . . ويتوقف لحظة أثناء مروره أمام مارغريت ، ويحدّق فيها بلطف) شــكرا

يا آنسة . . (بهمس) آمل أن تعثري على خطيبك
. . راكباً أو راجلا . . لكن في صحة جيدة . .
(يخرج . . . تنظر مارغريت إلى فاسكو وهـــو
يمضي وتبدو كأنها فريسة شعور بحادث مقبـــل.
تعود على عقبيها . . تصطدم قدمها بمقص فاسكو.
تلتقطه)

الملازم هانس : نسي مقصّه . .

مارغريت : (تدرك فجأة أن هـــذا هو فاسكو . . تصرخ)
فاسكو ! . . فاسكو ! . . هذا فاسكو ! . .
(تركض لكي تلحق به . فيمنعونها . .)

★★★

اللوحة الخامسة

(فسحة في غابة ، ثلاث اشجار كستناء بارزة جيدا)

المشهد الأول

(اشجار الكستناء ، فاسكو)

الشجرة الأولى : (همسا) انتباه ! رائد عدو . .

الشجرة الثانية : (همسا) : سيمرّ من هنا !

الشجرة الثالثة : (تكرر بصوت اكثر انخفاضا) سيمرّ من هنـــا (بعد فترة) رائد عدو !

الشجرة الأولى : لا تحرّكا اغصانكما .

الشجرة الثانية : سكوت !

(صمت طويل . يظهر فاسكو في الفسحة . يبدو مرهقا يجلس على نصف غطاء سلّته . يفتح النصف الثاني ويمد يده في الســلة) . .

فاســكو : (يتأمل بصوت عال .) لا شيء للأكل! انتهــى التفاح ، انتهى الخبز . . بقيت الصفّارة . (يخرج

(يخرج الصفّارة من جيبه .) هل يمكن أكـــل
صفارة ؟ (يمسك بالمظلّة التى يضعها تحت ذراعه)
وهذه المظلة التى لا تفيد في شيء: منذ ثلاثة أيـــام
من السير لم يتدفأ رأسي لحظـــة واحـــدة . اينما
ذهبت ، يكون رأسي في الظل . . هذا غريب !
وفي النّهاية أين السيد برتراند الذى أبحث عنه ؟ لم
أصادف نهراً ، او مستنقعا . . . هل يصطـــــاد
السمك ؟ لكن كيف يصطاد إذا لم يكـــن هناك
ماء ؟ أنا ضائع بالتأكيد . مع ذلك ، حين غادرت
المركز واحد قالت لى بوضوح مدام برونســـت
(يبتسم لهذه الذكرى) : « إلى الامام . . . » كان
على أن أسأل أين ؟ جميلة تلك الفتاة التى رأيتهافي
المركز واحد . . تفرق جيزيل وميمى جمالا بما
لايقاس . أفكر الآن كثيرا فيهمّا . يقال إن الحرب
قائمة في هذه المنطقة . . (ينظر حوله .) لكن أين
هم الجنود ؟ (بعد فترة) . ينبغى ان اعثر عـــلى
على النهر ، والجسر الخشبي الذى تنقصه عارضة.
. . ومن ثم على السيد برتراند الذى وُكّلت به .
(يتذكر فجأة) أمس في الليل ، سمعت المـــاء
يجرى : قـــد يكون النهر التقى بى . . . ومضى .

(ينظر فوق رأسه .) لا أفهم لماذا تقف هذه الأشجار الثلاث دائما فوق رأسي (ينهض ، يغيّر مكانه . تتبعه الاشجار ببطء ، لكنه لا يلاحظ انها تقترب ، لانه يدير لها ظهره . بعد لحظة يرفع رأسه ويرى غصون الشجرات .) ها أنا من جديد في الظل . (ينظر الى شجرات الكستناء الثلاث فوق رأسه .) لا تتركني أبدا . . (يخرج الرسالة من جيبه ويقرأ الغلاف) صحيح أن الشخص الذى يتوجب على أن أوصل له هذه الرسالة هو السيد برتراند .

الشجرة الأولى : للجنرال برتراند .

فاسكو : (لا ينتبه كما يجب) : أىّ جنرال ؟ لا أعرف جنرالات !

الشجرة الثانية : (بصوت بطيء ومخيف) عال . . . عال . . .

فاسكو : (يقفز) لكن . . لست أنا الذى تكلّم ! من يجاوبنى ؟ (ينظر حوله . ثم يخرج من جديدالرسالة التى اعادها الى جيبه ويعيد قراءة العنوان على الغلاف كي يرى إذا كان سيتكلم ايضا شخص ما) هذه الرسالة للسيد برتراند .

(يصغى بعد هذه الجملة الاخيرة ، واذ لا يسمع احدا يتكلم يتنهد بارتياح ويبتسم .)

الشجرة الثالثة : (ببطء وبصوت مخيف) للجنرال برتراند ! . .

فاسكو : (يقفز) من هناك !

الشجرة الأولى : عال ! . .

فاسكو : (يبحث ، ثم يفرغ بحركة آلية سلته كي يرى اذا كان في داخلها شخص ما . يعيدها الى مكانها ويجلس فوقها) لا أجرؤ على الكلام . . هناك شخص ما . . . اللهم الا اذا كنت نائماً وتكلمت بصوت عال وأنا احلم . . . انني الآن خائف جدا (ينظر حوله ، يرفع عينيه نحو شجرات الكستناء. يتأمل لحظة ويهز كتفيه) الأشجار لا تتكلم . . هل انا نفسي شخص آخر في الوقت ذاته ؟ (يلمس وجهه) كلا ، هذا أنا . . . لا ريب ، هذا أنا الذى اخاطب نفسي (يتأمل) هذا البرهان لا يقنعني . هناك احدهم . ماذا انتظر لكي انهض واهرب ؟ (بعد لحظة يفكر بشيء آخر :) انها لطيفة ، مارغريت ! (يبتسم ويتنهد) عيناها كجوزتين ، وحولهما الدموع . حين أفكر فيها

أشعر انني حزين وانني بخير . . . (ينظر حوله) كل شيء يبدو الآن هادئاً . . لم اعد اسمع هــذا الذي يتكلم . . (يمسك بالغلاف ، ينظر حوله ، ويقرأ) هذه الرسالة لِ . .

(يتوقف ويقرأ الغلاف محركا شفتيه فقط . ثم يصغي . .)

الشجرة الأولى : (بصوت بهيم وملء بالتهديدات) الجنرال برتراند . ياقَذِر ! . .

فاســكو : هذا أسوأ من الاول ، يا إلهي ! (يهرب . حينذاك تطارده الاشجار الثلاث وتطوّقه . . يجمد وهــو يرتعش من الخوف . . بهمس ودون أن يجــرؤ على رفع عينيه) إنها تمشي وتتكلم ! . .

الشجرة الأولى : مــن ؟

فاســكو : شجرات الكستناء . .

الشجرة الثانية : قَــذِر ! . .

فاســكو : كيف نَردّ على الأشجار ؟

الشجرة الثالثة : (تسخر) ها . . . ها . . . ها . . .

الشجرة الأولى : أشجار ؟ الرقيب باراز ؟

الشجرة الثانية : الرقيب اسـكندر ؟

الشجرة الثالثة : الرقيب كاكو ؟

فاسـكو : أين انتم يا رقبائى ؟

الشجرة الأولى : أين نحن ؟ هذا علم الحرب . .

الشجرة الثانية : فوق رأسك ياقـذِر . .

الشجرة الثالثة : بين عينيك الاثنتين . .

الشجرة الثانية : داخل سروالك إذا لزم الامر . . اليس كذلك ، يا كاكو ؟

الشجرة الأولى : نعـم ! .

فاسـكو : دعونى أراكم يارُقبَائى . . بدون مؤاخذة، أخلط بينكم وبين شجرات الكستناء ، واتساءل لمـاذا تخيفوننى الى هذه الدرجة ؟

الشجرة الثانية : ارفع قبّعتك ايها الجاسوس ، حين تتكلّم مـع الرقيب باراز !

الشجرة الأولى : (رأسا بصوت محزن) . . . يا جاسوسا بطابقين . .

(ينزع احـد الغصون قبعة فاسكو ويلقيها عـلى الارض تدوسها شجرة ثانية . .)

فاســـكو : ياشجرات الكستناء اللطيفة . . الحرب هى الحرب لكن لاناقة لى فيها ولا جمل .

الشجرة الأولى : أو ! . . لا . . لا . . لا . . لا !

الشجرة الثانية : رأيناك ، بنظاراتنا ، تغادر المركز واحد بعد ان عانقت مدام برونست . .

الشجرة الثالثة : منذ ثلاثة أيام ونحن في أثرك ، كشجرات كستناء مراقبة . ماذا تفعل هنا ؟ في خطوطنا ! . .

فاســـكو : أبحث غصباً عنى . . (يتردد ويلفظ بصـــــوت منخفض) عن السيد برتراند . .

الشجرات الثلاث: (معا وبغضب شديد) الجنرال برتراند ، ياقذر..

الشجرة الاولى : (للشجرتين الأخريين بلهجة الامر .) ايهـــــا الرقيبان ، تخلّصا من اغصانكما واظهرا ! . .

(يطرح الرقباء باراز واسكندر و كاكوأقنعتهم ...)

فاســـكو : (معجبا ومرتعدا) الرقباء الثّلاثة !

الرقيب باراز : وقعت في الحفرة . . . حفرتنا . . (يرفع يده الى مستوى انفه) حتّى هنا ! . .

فاســـكو : هذا صحيح ، فلا اقـــدر ان أحرك فخذى ، يا رقبائى !

الرقيب اسكندر : (يفخر ، للرقيبين الآخرين) بالأغصان فقط أسرناه ، مناورة جيدة ايها الرقيبان ! . .

الرقيب باراز : يجب ان نخبر الملازم باربيريس . .

الرقيب كاكو : ساذهب لأخبره ، لكن لاتغفلوا عن مراقبة هذا الافعوان. (يشير الى فاسكو ويلطمه وهو يمر امامه) ليست هذه إلا مقدّمة . سوف ترى حين يأتى الملازم باربيريس مع عصاه . (للرقيبين) بيننا : باربيريس يخيفنى مع أنه ملازمى ! . .

الرقيب باراز : الرقيب لايخاف من شيء ، ياكاكو ! (لنفسه همسا) باربيريس يخيفنى أيضا !

فاسكو : (مرتجفاً) ماذا علىّ أن أقول إذن ، أنا ــ ياسادة؟

الرقباء الثلاثة : (ينفجرون ضحكا) ها . . . ها . . . ها . . . ها . . .

(يتجه الرقيب كاكو صوب غابة عالية وكثيفة . يدقّ حسب التعليمات ، على جذع شجرة . ينفتح باب صغير . يدخل ويختفى .)

فاسكو : (لنفسه) كيف أتفاهم مع الشخص الذى سيأتى ؟

(للرقيبين) ساعدانى أيها الرقيبان لا أفهم غضبكما؟
(لنفسه) خسارة ان يذهب كاكو . افضله على الرقيبين الآخرين لانه يخاف من باربيريس ، مثلى . . .

الرقيب باراز : (للرقيب اسكندر) يبدو ، من ارسال هذا الشاب ، انهم محتكون ! انظر : منطق أنثوى ، عينا طفل برئ . هذه السلّة وهذه الشمسية لكى يبدو بريئا تماماً .

الرقيب اسكندر : (بشراسة) سترى المربّى الذى سيضعه باربريس فوقــه !.

الرقيب باراز : هذا لا يمنع ان يكون العدو بارعاً وان يُظهر هذا القرد في مظهر ملاك ، (بعد فترة) وهو نَتِن !

فاســكو : (بانتفاضة شجاعة) هذا غير صحيح ! . .

الرقيب باراز : أنتَ ، باللغة العسكرية ، غِرّ !

(يضرب فاسكو)

فاســكو : (يمسح جبهته) كنتُ أقلّ دفئا تحت شجرات الكستناء ، وكنت على الخصوص أكثر هدوءاً .

الرقيب اسكندر : لكن أيها الرقيب لَمْ يخطرْ لنا شيءٌ مهمّ .(يلقى نظرة خبيثة على فاسكو) لو كان هذا الفتى مسلحا؟

الرقيب باراز : (يلتفت ، يخرج فجأة مسدّسا وبصوت أجشّ ، لفاسكو) ارفع يديك وقدميك ! (يقوم فاسكو بخطوتى رقص) افتح فمك . (للرقيب اسكندر :) فتّشه !

(يفتش الرقيب اسكندر فاسكو ويخرج من جيبه الصفارة ويعطيها للرقيب باراز) .

الرقيب باراز : نايٌ صغير ؟ (يجرّبه) هذا لابنى . (يضع الصفّارة في جيبه) .

الرقيب اسكندر : (مخرجا من جيب فاسكو مرآة) مرآة ؟ ؟ (يتمرأى ، ثم فجأة) هذه لابنتى . .

(يضع المرآة في جيبته) ايها الحقير . .

فاسكو : (بابتسامة) انا مسرور جدا ، ايها السيدان . .

الرقيب اسكندر : (يخرج الرسالة من جيبة فاسكو) توجد هذه الرسالة الموجهة إلى الجنرال بوتراند . .

فاسكو : (يائسا من جميع الوسائل) إنها . . لباربيريس (للرقيب اسكندر المستمر في تفتيشه .) لم يبق

معى أى شيء ايها الرقيبان . الا . . . هذه الشمسية وهذه السلة وهما كما تريان ليستا في جيوبى . .

(يدخل الرقيب كاكومن الباب السرى) .

الرقيب كاكو : (لفاسكو) اتبعني (للرقيبين) يأمركما الملازم أن تقوما بدورية متنكرين بِنَخْلَتَيْنِ هذه المرة . .

الرقيب باراز : النّخلة عالية . . .

الرقيب اسكندر : ما هذا يا كاكو ! . .

فاسكو : (يريد أن يقدم خدمة) يمكن ان يتسلق أحدكما على الآخر لكى تطاولا النخلة ايها الرقيبان

الرقيب كاكو : (يلبط فاسكو) تقدّم ! . .

(ينطفئ الضوء . يُلمح فاسكو بعد قليل ؛ وحده في مقدمة المسرح وقد سُلّط عليه النور)

فاسكو : (ينظر قلقا جدّا حوله في العتمة) . لم أرَ في حياتى جنودا بكثرة هؤلاء (يدير رأسه) إنهم كثيرون أيضا في هذه الجهة . الحرب قائمة ولا شك . . وانا في قلبها . . ينبغى أن أحترس . أقحمونى في قصة قذرة ، بهذه الرسالة للجنرال برتراند . خطوة

إلى الأمام . . خطوتان الى الوراء : هكذا يجب ان اكون في المحادثة . لو كان معى فقط ، مشطى ومرآتى ، لكان ذلك يعزّينى . كلٌ في مكانه : أنا حلاّق !

(حين يعود الضوء ، يُلمح فاسكو واقفاً في غرفة مقابل الملازم باربيريس الجالس إلى طاولة من الخشب ، يكتب . على هذه الطاولة الكبيرة عَمْرة الملازم وسيفه . . وراء باربيريس ، على حائط الغرفة ، علم وعصاه . . الى يمينه ، يقف الرقيب كاكو ، حاسر الرأس . الغرفة شبه عارية : منصتان ونافذة من كل ناحية . الملازم باربيريس شاب ، عيناه باردتان جدا ، يضع نظارة بإطار ذهبي ، ظهره منحن قليلا . يجلس على مقعد بطول المكتب ويسجل عملية استلام فاسكو .)

المشهد الثاني

(الملازم باربيريس ، الرقيب كاكو ، فاسكو)

الملازم باربيريس : (يتوقف عن الكتابة ، بصوت عادى ، لفاسكو) تقول انك سريع التأثرّ بالأغصان ، وإنك وصلت إلى هذا المكان بفضل الظل الندىّ : بمعزلٍ عن

الحيوانات المريّشة الى كان غناوُها المبرقـــش يفتنك . . ؟

الرقيب كاكو : أنا الذى كنت أهْدل ، يا سيدى المـلازم ، في شجرة الكستناء .

فاسـكو : نعم ، سيدى الضابط ، كنت مسحوراً بثـلاث شجرات .

الملازم باربيريس : أسجل هذه الظاهرة باقتناع . (بعد فترة) هكذا كنت تتنزه كهاوٍ للغابات الظليلة في هذا السـهل العارى الذى خربّته الحرب . وتدعى باعتبـارك ذاهلا بالفطرة ، انك لم تشاهد شيئا ؟ لا خرطوم بندقيةٍ ولا شرّاباتِ سيفٍ فضّية ؟ (بعد فترة) هذه عباراتك الخاصة .

فاسـكو : لم أرَ الحرب ، سيّدى الضابط . .

الملازم باربيريس : لكنّ الحرب رأتك ! (بعد فترة ، للرقيب كاكو) خلال الايام الثلاثة من سَيْرِكم عندما كنـتم أشجارا ، هل لاحظتم في سلوك هذا الفتى شيئاً ما يدعو إلى الحذر ؟ (بعد فترة) أجب ، يارقيب جواب شرف ! . .

الرقيب كاكو : شرفاً ، لا !

الملازم باربيريس: وضميرياً ؟

الرقيب كاكو : نعم . .

الملازم باربيريس: جيد . (يعود للكتابة ، ثم دون أن ينظر الى فاسكو) الاسم ؟

الرقيب كاكو : (لفاسكو الذى لم يفهم) اسمك . .

فاسكو : جواشيم . .

الملازم باربيريس: (محدّقا بفاسكو) هذا كل شيء ؟

فاسكو : (يفكر بتردد ، ثم :) جواشيم . . . الأبله . .

(يرفع الملازم باربيريس عينيه صوب الرقيب كاكو الذى يستصوب بهزّ رأسه .)

الملازم باربيريس: جيّد . . هذا ما سمعته أشجار الكستناء . .

فاسكو : لكننى . . . لست . .

الملازم باربيريس: (وهو يكتب) . . . أبلهَ . أعرف . .

فاسكو : كنت أودّ قولَ شيء آخر .

الرقيب كاكو : اخرسْ ، حين تتكلم مع الملازم . . .

الملازم باربيريس: من أين جئتَ ؟

فاسكو : من سوسّو ، سيدى الضابط .

الملازم باربيريس: (ينظر إلى فاسكو) ؟ . . .

الرقيب كاكو : سوسّو ، أين ؟

فاسكو : (يشير بيده) من هذه الجهة . .

الملازم باربيريس: لا تلحّ ، يارقيب . (بعد فترة ، لفاسكو .) ماذا تشتغل في سوسّو ؟

فاسكو : أسكن في بيتي .

(يهزّ الملازم باربيريس كتفيه بشكلٍ لايكادُ يلاحَظ)

الرقيب كاكو : يسأل الملازم عن مهنتك .

فاسكو : (يبدأ بأن يرتاب من الأسئلة . مع ذلك ، ورغما عنه . يقلد باصابعه حركات المقصّ) كنتُ أسقي الزهور . . (يتنبّه إلى أنه يقلّد آلياً حركة المقص .) كنت أسقي الزهور . . . بالمقصّ . .

الرقيب كاكو : كان يقصّ الزّهور ، سيدي الملازم . .

فاسكو : (بدأ الخوف يتغلّب عليه .) نعم : كنتَ أقصُّ زهوراً . . بالماء (يرتبك) كنت أسقي المقصات. بالزهور . . أخيراً . . كنتُ في شرفتي ، سيدي الرقيب .

الرقيب كاكو : (للملازم باربيريس ، وهو يرفع كُميّه .)
هذا الشاب مقلوب ، هل تسمح لى بتقويمه ؟

الملازم باربيريس: لا . . (لفاسكو ببريقٍ خبيث في عينيه .)
من أعطاك هذه الرسالة ؟

فاسكو : رجل صادفته في ساحةً ثكنة ، سرعان ما اعتبرَنى صديقاً له . .

الملازم باربيريس : (متصنّعاً الطّيبة .) ماذا كنت تفعل في الثكنة يا جواشيم ؟

فاسكو : (مرتابا) كنت آتيا مع ملازم لأجل . . .
(يقلّد بأصابعه حركة المقص .)

الرقيب كاكو : امقصّ الزهور أيضا ؟

فاسكو : نعم . . لأقص الحصان . . سيدى الرقيب :

الرقيب كاكو : للمرة الأولى أسمعُ بهذا ! . .

الملازم باربيريس : (للرقيب كاكو بنشافة) طيّب ! (لفاسكو)
هذا الشخص الذى قابلته في الثكنة ماذا قال لك ؛

فاسكو : قال إنه كهل جدّا لا يستطيع أن يقوم بواجبات المجاملة وانه يعهد بها الىّ لأودّىَ تحيات إلى . . .
(بتردد ولا يكمل جملته . .)

الرقيب كاكو : (يحدج فاسكو بنظرة رهيبة .) . . .

فاسكو : (وقد أراد أن يتحاشى غضب الرقيب . . يضيف) . . إلى الجنرال برتراند .

الملازم باربيريس : كيف تعرف أن هذه الرسالة موجهة إلى الجنرال برتراند ، مادام مكتوبا على الغلاف : « إلى السيد برتراند » ؟

فاسكو : الرقيب كاكو هو الذى قال لى ذلك . .

الملازم باربيريس : (يبدأ بالنرفزة ويدق باصابعه على الطاولة . .) جيد . (بعد فترة .) الرجل الذى أعطاك هذه الرسالة . . عسكرى ؟ . .

فاسكو : لا أعرف . . له أنف كبير . . (بعد فترة) لكن عندما انحنى ، رأيت على طوقه مدفعاً ، مدفعاً صغيرا جدا . . (يبتسم) لا يقدر أن يؤذى أحداً.

الملازم باربيريس : (بسخرية ملحوظة . .) بالتأكيد ! . . (ينفجر) هذا يكفى ، يا رقيب ! . . أحضر لى الهراوة . . سأريه . .

الرقيب كاكو : أمرك ، سيدى الملازم .

فاسكو : أرجوك ، يارقيب كاكو . . لا تتركنى وحدى مع

الملازم باربيريس . . سآتى معك . . ونجلب الهراوة سوية . . (ينظر الى الملازم باربيريس) ثم انني اعرف اشياء كثيرة . . لن اقولها إلا لك ، سيدى الرقيب . . اذا سمح بذلك حضرة الضابط .

(يتوقف الرقيب كاكو وهو يهم بالخروج وينظر الى الملازم باربيريس . فاسكو عالق تقريبا بثياب الرقيب . .)

الملازم باربيريس: (ينظر الى الرقيب كاكو ، يتأمل ، ثم يخاطب فاسكو) مُوافِق . تابع . .

(يستعيد فاسكو مكانه مقابل الملازم باربيريس . ما يزال يتوجه اليه بالكلام . لكنه يضيف الى جميع اواخر جمله تقريبا عبارة : « سيدى الرقيب » ناظراً إلى الرقيب كاكو . .)

فاسكو : (بعد التفكير يخاطب الملازم .) في المركز واحد . شجرة تفاح .

الرقيب كاكو : كبيرة ؟ ضخمة ؟

فاسكو : نعم . . تستطيع ، سيدى الرقيب ، ان تسكن جيّدا في داخلها . .

الملازم باربيريس: (وهو يكتب) هذا مهمّ . .

فاســكو : شجرة التفاح وراء الكوخ . . سيدى الرقيب انتبه. تفاحها أحمر . .

الرقيب كاكو : (لنفسه) ليس غبياً أبدا . . هذا الصغير . .

الملازم باربيريس: هل هناك شيء آخر . . أثار انتباهك ؟

فاســكو : ثلاث نساء . .

الملازم باربيريس: (بنبرة عدم اهتمام) نعرف ذلك . . (بعد فترة ، بالنبرة نفسها) الماجور برونست ، مثلاً ، امرأة حقيقيــة . . .

فاســكو : بالرغــم ؟

(يرفع اصبعه الى شفتيه ليوحى بالشاربين . .)

الملازم باربيريس: (وهو يكتب) بالرغم .

الرقيب كاكو : (بحرارة امام شكّ فاسكو . .) رأيته بنظــارتى دون فسطان . . عاشرته حتّى عن بعد . . حينذاك.

الملازم باربيريس: (ضاربا الطاولة بقبضته) هنا ، لاتَتحدّث عن النساء ! (لفاسكو) تابِــعْ . .

فاســكو : (يفكر . . ثم بعد ، فترة) انتهيت . .

الرقيب كاكو : (يشير باصبعه بشكل مخيف ، الى الرسالة عــلى الطاولة .) وهذه الرسالة الموجهة للجنرال برتراند؟

الملازم باربيريس: (منزعجا) سنعود اليها ، يارقيب .. نحن الآن في المركز واحد (لفاسكو) أصغى اليك ..

فاسكو : ماذا يجب أن اقول أيضا ؟ لم أبق في المركز واحد الا لحظة ، برفقة السيدات الثلاث ... (يفكر ثم فجأة :) آه ، مارغريت ...

(يشرق وجهه ..)

الملازم باربيريس: من هذه ؟

فاسكو : فتاة حقيقية .. عرفتها ، هي ووالدها ، العالم ..

الملازم باربيريس: (يهتم بشكل مفاجئ .) انتظرْ ! (يقلب بسرعة اوراقا تحت يده ، ثم لفاسكو :) اسمه .. قيصر ؟

فاسكو : نعم ..

الملازم باربيريس: (ببريق خبيث في عينيه .) أشتهي أن أعانقك .. أكمِلْ ..

(يربّت الرقيب كاكو على كتف فاسكو ، ليشجعه ..)

فاسكو : (مسرورا) سأخبرك بكلّ شيء ، يا سيدي الضابط مارغريت ! . (يتنهد) قابلتها عالياً ! (يرفع يده بحركة رومنطيقية) منذ ذلك النهار انفتح

نصفُ قلبي . . بعد قليل أشرحُ لك ، ســـيدى الرقيب ، السّبب . .

الرقيب كاكو : (يريد أن يكون لطيفا .) ها ! . . القلب عضو مهم : في داخله قنبلة . .

(يهز رأسه ليشير إلى خطورة ذلك .)

فاســكو : (بصوت عذب) أو بالأحرى الحبّ . . وهذا يكفي ! (للملازم) اعذرني إذا تألمت قليلا . لم تؤثّر فيّ أبداً ذكرى كهذه . .

الملازم باربيريس : عال . . وبعد ذلك . .

فاســكو : كانت جالسة قرب طبل . تتأمل دموعَها المنهمرة وتتأمّل الليل . لهذا ظنتني شَبحاً عندما اقتربت . (يحلم .) « ماذا تفعل هنا ، يا ظلّ شابٍّ . . . ومن أنت ؟ » (بعد فترة) كيف لزهرةٍ أن أن تكون جميلة ، كيف يمكن لفتاة أن تكون جميلة ؟ هذا هو سرّ الحياة ، سيدى الرقيب . . (يدق الملام باربيريس بأصبعه على الطاولة . . . يتوقف فاسكو عن الكلام .)

فاســكو : (مغيرا نبرته .) هل ما أرويه يهمك ، ياحضرة الضابط ؟

الملازم باربيريس : هذا يتوقّف على . . . لكن عَجل . .

فاســكو : (يستأنف روايته بهدوء .) الثابت هو انّها كانت تنظر إليّ ، ياسيدى الرقيب ، وقلبي اخذ يتوهج ، كقطعةٍ نقدية جديدة . . .

الرقيب كاكو : (امام نرفزة الملازم ، لفاسكو ، بصوت خشن » هنا لا نتحدّث عن النساء ! . .

(صمت)

الملازم باربيريس : (يلقى نظرة على ورقة أمامه .) هذه الفتاة التى تتحدث عن جمالها ، بلطفٍ زائد هى ، في الواقع مخطوبة ، كما تقول المعلومات التى لدىّ ؟

فاســكو : لهذا لم يتفتّح الا نصف قلبي ! كانت بالضبط تبحث عن خطيبها ، سيدى الرقيب . .

الملازم باربيريس : (يطلق صرخة ارتياح .) آه !

فاســكو : هذا يهمّك . . ؟

الملازم باربيرس : (يقترب من فاسكو .) كثيراً . (بصوت لطيف .) حدّثنا عن هذا . . الخطيب . هل رأيته في المركز واحد ؟

فاســكو : (بحركة إعياء .) لا تتعب ، سيدى الضابط . .

انــه غير موجود . لامارغريت ولا الماجور برونســـت . . .

الملازم باربيريس: (يصحح بسرعة . وهمساً) السيدة . . السيدة برونست . .

فاســكو : (يكمل .) . . ولا الآخرون يعرفون أين يختبيء ، واين اتجه ، (بعد فترة) مسكينة مارغريت : كانت تتحدث عنه مع الريح ! . .

الملازم باربيريس: (لنفسه بتعلثم) لابدّ من القبض على هذا الرجل وشنقه . . هذه هي الأوامر (بعد فترة) جاسوس الميرادور ! . .

فاســكو : آه ! . . فهمت . (للرقيب كاكو) اقترب . (للملازم والــرقيب ، بهمس ، وبعـــد ان يلتفت حوله شمالا ويمينا .)لكما الحق أن تشكّا : انه رهيب ! (بصوت اكثر انخفاضا كذلك .) الميرادور كافأه . . مسبقاً . . مارغريت اخبرتني . . (بعد فترة) افتحا عيونكما جيدا . . والا ، ضعتما . .

الملازم باربيريس : هل تقدر أن تخبرنا باوصافه ؟ (بعد فترة ، تقريبا

لنفسه) لانعرف هنا غير اسمه : فاسكو ،حلاق من نابلس ...

فاسكو : (يقفز) فاسكو ؟ مستحيل ! (منقطع النفس) لأن فاسكو هو . . هو . . (يضرب صدره بيده لكي يشير الى انه هو بالفعل ، لكنه في اللحظة الاخيرة يستدرك :) ليس أنا ! (يستدير نحو الرقيب وبنبرة متوسلة :) اليس كذلك سيدى الرقيب ؟ . .

الملازم باربيريس : (يهز كتفيه باستخفاف .) . . .

الرقيب كاكو : ليس هذا وقت الهزل ، ياجواشيم . .

فاسكو : شكرا لمناداتى جواشيم ، سيدى الرقيب . . (بعد فترة) لا أعرف كيف هو . . فاسكو . . لم يره أحد .

الملازم باربيريس : (همسا وبتعلم .) لا نشك انه الآن ، في خطوطنا . . (يتجه نحو فاسكو .) قدم لنا ،لنقص المعلومات الدقيقة ، وصفاً غراميا له . من خلال كلمات مارغريت . .

فاسكو : الحب أعمى ، سيّدى الرقيب . . (يشير الى الملازم .) أخاف ان أغشّه . . (بعد فترة) مهلا ، أظنّ انني اذكر . . .

(يحاول ان يروغ لكى يبعد عنه الريبة) . .

فاســـكو : (يصعد على منصة .) انه طويل هكذا . . بالنسبة إليّ . . هناك إذن فَرْق . . . الماجور برونست يقول إنه قيد التدريب ، ومارغريت تقول إنه في كل مكان . .

الرقيب كاكو : كبير ؟ او صغير ؟ . .

فاســـكو : طويل . . سيدى الرقيب . . إنه نخلـــة . .

(يتجه الملازم باربيريس صوب النافذة ويتأمل . يلقى من وقت لآخر ، نظرة على فاسكو الذى يقف على المنصة وينظـــر بالتناوب الى الملازم باربيريس والرقيب كاكو . .)

فاسكو : (للرقيب كاكو)أنزل ؟ . . . أو أبقى ؟

يومئ الملازم باربيريس للرقيب كاكو ليقترب منه ثم يوشوشه ببضع كلمات . .)

الرقيب كاكو : (يجيب بصوت عالٍ ، إلى الملازم) حالا ؟عظيم. . كما تأمر سيدى الملازم . . .

(يخرج الملازم باربيريس. .)

المشهد الثالث

الرقيب كاكو ، فاسكو)

الرقيب كاكو : (يتجه نحو فاسكو بابتسامة عريضة ويمدّ له يده كي ينزل عن المنصة) هُوبّ ! .. اجلسْ ولا تفكر بشيء ! انت ابني ! أنت رقيبٌ وأنا رقيب آخر .. ونتحدث عن كل شيء : ما عدا الحرب ! .. (بعد فترة وبصوت خاص .) بيننا : الملازم باربيريس غير سيء ، لو كنت أنا محلّه لخنقتك (يضم يديه كانما ليخنق شخصا ما .) وكنتَ بصقتَ كل شيء .. لكن أنت ابني ! ، يكفي هذا . (يشير الى السيف على الطاولـــة) خُذْ ! .. أُعطيكَ سيف الملازم .. اليس لكأخٌ صغير ؟ اصعدْ إلى الطاولة وسِرْ فوق الوثائق ! (بحركةٍ من يده) بفْ ! ... (بعد فترة) سأجلس ونتحدث كصَديقين حميمين .(ينهض فجأة ثم لنفسه) لكن ، نسيتُ الخمر ...

(يتجه الرقيب كاكو نحو النافذة .. يضع إصبعيه في فمه ويصفر مادّا يده الثانية ..)

الرقيب كاكو : (ما تزال يده ممدودة . لا يرى أحدا يأتي) لم يأتِ

أحد . (يصفر من جديد . تمد له من الخارج عبر النافذة قنينة خمر . يعود الى قرب فاسكو . . يملأ أولا كأسه ويشرب جرعة طويلة .) أشرب قبلك لأنّ حلقومى أعمق (يضـــع كأسه على الطاولة ويملأ كأس فاسكو) والآن ، نخبك . .

فاســـكو : إن شاء الله . .

الرقيب كاكو : نخبنا المتبادل ! (يرفع فاسكو وكاكو كأسيهما .) تحبّ البسكويت ؟ (يخرج علبة من جيبه .) هذا ما أولع به (لنفسه) هو ومكافحة الجاسوسية . (باقتصاد) خذ قطعتين . (يشرب جرعة كبيرة.) لا شيء كالخمر يحرر الفكر . .

فاســـكو : أشعر بتحسن . (يضحك قليلا . يرنو فجأة الى الرقيب كاكو بعينين متضرعتين .) الحقيقة يارقيب كاكو ، أشعر بالخوف لوجودى هنا . .

الرقيب كاكو : (يحتضن فاسكو) جواشيم ! . .
(تبدو على وجه الرقيب كاكو ، اثناء الاحتضان ملامح الخبث)

الرقيب كاكو : خذ راحتك . . افترض هنا أنك في أرجوحة . (بعد فترة) افتحْ لى قلبك . .

(يشرب الرقيب جرعة كبيرة)

فاسكو : رويداً رويداً .. سيدى الرقيب ، بعد قليل، ستسكر ...

الرقيب كاكو : مَن المُخطئ إن لم يكن أنت ؟ انك تحزننى . أتّهمك بعدم الثقة . (يدق على صدره .) يالَلْمِسكين كاكو .. اسمع .. (يريد ان يصب خمرا ، لكن القنينة فارغة . لنفسه) القنينة فارغة .. وما نزال في الموضوع ذاته .

الرقيب كاكو : (يذهب الى النافذة ، يضع إصبعين في فمه ويصفر .. تمد له من الخارج قنينة خمر . يعود ويجلس قرب فاسكو ، ثم فجأة وبصوت غامض يقول :) . لا تعرف .. اين يوجدمخزن البارود ؟ (يفتح فاسكو فمه مرعوبا .) مكان .. حفظ البارود .. عندهم ؟ اهمس لى بكلمة . يشير الى ورقة تزحف على الطاولة) اشر بعلامة × على المخطط .

(ينظر ، لاهِثاً ، الى فاسكو)

فاسكو : كيف تستطيع أن تطرح عليّ سؤالا كهذا ! .. إننى أتصبّب عرقا ..

الرقيب كاكو : قل .. أما سمعتَ حديثا ... عن مخزن البارود ؟
الألسنة تنطلق في باحة المزارع ... أما رأيت ..
هنا ، هناك ، مغاورَ يحرسها حراس .. فنى داخلها
يطمرون براميل البارود التى تنسف كل شيء (يقوم
بحركة من يديه ليقلّد الانفجار) بُمّ ! ..

فاسكو : (يسد اذنيه كأنه لا يريد أن يسمع ، ثم ، بعد
فترة) رأيتُ مغاورَ ! ..

الرقيب كاكو : (كى يشجع فاسكو) بالتأكيد ، رأى مغاور ! .

فاسكو : ... كان الماء يجرى فيها ، وحده ، كالموسيق .

الرقيب كاكو : في الواقع هذه الأماكن رطبة . (لنفسه) ليس
عسكرياً ، هذا الأبله ! (يشرب جرعة كبيرة
ولنفسه .) يتسلّى المرء قدر المستطاع (يتأمل
ويقترب من فاسكو هامسا) أظنّ ان المدافع
بقَرات .. (بعد فترة بمنطق .) ألم تشاهد ...
مدافع ، في تلك الناحية ... وهى تسير في الحقول

فاسكو : نعم .. رأيتُ مدافع كثيرة ..

الرقيب كاكو : (يشرب ويفرك يديه ارتياحا .) وهو كذلك ..

فاسكو : كانت ، بهدوء ... تقضم العشب ..

الرقيب كاكو : انا الذى لم يعد يفهم شيئاً . . (يشرب ، ولنفسه) لن أخلص من هذه الورطة . (ينهض ، يخطو بضع خطوات ، يتظاهر بحركات يديه ، وهو يمر وراء فاسكو انه يريد أن يخنقه . . يعود للجلوس ويرفع كأسه .) نخبنا المتبادل ! . .

فاسكو : شكرا ، سيّدى الرقيب . .

الرقيب كاكو : (يصيح مغموماً .) فاسكو ! . . . حدثنى عن فاسكو (يتراخى ، وهمسا كما لو أنه يحدث نفسه.) في الواقع هذا سواء لدى ، الآن . . لم اعد أرى بوضوح .

فاسكو : (يصرح بدوره) لست أنا ! إنه هُو ! . (الخمر تمنحه الشجاعة) يكفينى هذا ، يا كاكو !

الرقيب كاكو : (بدأ السكر يتغلب عليه .) ها . . . ها . . . ها.. (يضحك ، ثم يتحدث عن فاسكو . فجأةً) يعجبنى . . انه ليس فتاة ، إنه فتى !

فاسكو : (مادّا قبضته .) هيا أحضر الملازم باريبريس. . . (فجأة يضع راسه بين يديه مندهشا من شجاعته، ويُحس من جديد بسيطرة الخوف عليه .) أعتذر ، سيدى الرقيب . .

الرقيب : كيف هو ، فاسكو ؟ . . تكلّم ! (متوسلا) فأصير رقيباً أول !

فاسكو : (يَستردّ شجاعته) اسأل مارغريت . . فهي التي تعرفه لا أنا. (واقفا ومهدّدا) مع ذلك، ياكاكو، لو أنه فتح هذا الباب . فجأةً . . . (يفك المقاطع) و ق ــ د ــ م نف . . سه (بنبرة سريعة) لكنت تَهرُبُ كالجرذون . .

الرقيب كاكو : (مقتنعا) على الأقلّ ، على الأقلّ . .

فاسكو : (يتنشق مرتين ليتشجع .) . . .

الرقيب كاكو : (تقريبا لنفسه .) ما هو هذا الرجل الذي تتحدث عنه التقارير والذي لم يره أحد ! . .

فاسكو : باستثناء مارغريت (بصوت منخفض ، مترددا) تعرف ، سيدي الرقيب.. انني أحب قليلاً مارغريت.

الرقيب كاكو : (يهز كتفيه غير مصدق) تظن أنها رأته ؟

فاسكو : إنه خطيبها ، سيدى الرقيب ! . .

الرقيب كاكو : أعرف النساء . (يضع اصبعه على صدغه ويرسم دائرة .) هذا يحدث هنا . . . (في أذن فاسكو.) حين لايحدث في مكان آخر . . (يضحك) ها . . ها . . ها . .

وسكو : يحتج (ليست لمارغريت !

الرقيب كاكو : لن تناقضني . . إنني جندي . لكن ما أقوله ، أقوله عن خبرة . .

فاسكو : ممكن . .

(يريد أن يصب خمراً في كأسه ، لكن القنينة فارغة . . ينهض، يذهب الى النافذة ، يقلّد الرقيب كاكو ، فيضع اصبعين في فمه ويصفر ، لكن صفيره بدا ضعيفا لأنه لم يعرف . يناولونه من النافذة أصغر قنينة خمر . ينظر إليها مندهشا . .)

الرقيب كاكو : كان يجب ان تصفر بشكل أشدّ . . (يشرب ويقرب منصته من منصة فاسكو) لم تسمع بقصّة الكولونيل وصاحبة الكانْتين ؟

فاسكو : لا . .

الرقيب كاكو : اذن ، أخبرك بها . كانت صاحبة كانتين تحب كولونيلاً . . . لم تره مطلقاً . .

فاسكو : (لنفسه ، يحلم فجأة ، بهمس) كولونيل . ى لم تره مطلقاً ! . . (بعد فترة للرقيب كاكو) وبعد ذلك ؟

الرقيب كاكو : هذا كل شيء . (بعد صمت.) كانت تحشو آذاننا بحبيبها الكولونيل برونزو الذي كان يحارب في النصف الآخر من الكرة . (بعد فترة.) صحيح أنه كان باسلا .

فاسكو : وبعد ذلك ؟

الرقيب كاكو : ماتت هَرِماً لأجله . دون أن تلمح شعرةً من شاربه ! ما أخبث برونزو !. . (بعد فترة لنفسه.) كان باسلا . (بعد صمت) والنساء ترفرفُ حول الشجاعة . . . وهذا يخلق الوجاهة والحظْوة! . .

فاسكو : خبرتك ، ياسيدي الرقيب ، تذهلني (بعد فترة) هل أنت واثقٌ أنَّ خطيبَ مارغريت اسمه فاسكو ؟

الرقيب كاكو : (مشيرا الى الوثائق على الطاولة جازماً) (هذا مُسجّل ! . .

فاسكو : (ينهض حالما : لنفسه) اذن ربما كنت انا حبيبها . . المجهول . في المركز واحد عبرت جيدا عن ذلك : « كم يتوجب عليَّ أن أحبّه . كي لا أعرفه . . »

الرقيب كاكو : (لايزال يخاطب نفسه) الحرب مهيج الغسّالات والجنود في الأسِرّة !

فاســـكو : (يخاطب نفسه .) مارغريت تحبّني .. (بعد فترة) لكن كيف يصير المرء شجاعا ؟ ايهـــا الخبيث برونزو ! ...

(يشرب الرقيب كاكو وفاسكو طويلا ، كلّ من من جهته ، ثم يفطن كل منهما لوجود الآخر .)

الرقيب كاكو : (فجأة) ماذا كنت تقول ؟

فاســـكو : ماذا قلت ، سيدى الرقيب ؟ ... (فجأة ، بوجه يحاول أن يجعله مخيفا يقول للرقيب كاكو) قِفْ ! .. لا تَتزحزحْ !

الرقيب كاكو : ينظر الى فاسكو باندهاش وينهض بتثاقل .) ؟...

فاســـكو : ستصير رقيبا أول ..

(يركض نحو النافذة ، يصفر بقوة مرتين . يمد يديه يناولونه من خلال النافذة قنينتى خمر .).

فاسكو : (يعطى قنينة للرقيب) لِيشربْ كلٌّ لحاله ، لأننى لا أريد أن أتأملَ . (يشربان .. بعد فترة .يقترب فاسكو من الرقيب ، ويقول همساً) هذه الرسالة

التي كنت احملها . . هي بالفعل للجنرال برتراند؟

الرقيب كاكو : بالطّبع ! . .

فاسكو : (همساً) اذن ، سيدى الرقيب ، استطيع ان اكملها لك) ببريق غريب في عينيه لكن أولا ، يجب أن اقرأها . .

الرقيب كاكو : لا أهمية لذلك الآن : الجنرال برتراند استسلم البارحة . لم نخبرك بهذا . (بعد فترة . شزَرَاً وباستخفاف) إنه ليس الكولونيل برونزو ! . .

فاسكو : لكن . . يا رقيب أول . . إذا استسلم الجنرال برتراند ، فهذا يعنى النهاية : أنتم منتصرون ! ماذا تريدون اكثر ؟ . . .

الرقيب كاكو : ليس عند الميرادور إلا جنرال واحد . . (بشفقة) هكذا ، يا جواشيم !

(صمت)

فاسكو : (يحتد فجأة .) هيّا أحضر لى باربيريس وجميع الضابط الذين رايتهم من النافذة . إنّ جيوبى مليئة بالرسائل الموجهة للجنرالات . . من الميرادور . .

(يضرب الأُرض بقدمه ويثب وثباً خفيفـــا ،)
لفترة ٍ ، كراقصة اسبانية .)

الرقيب كاكو : (ينهض نصف نهوض ، ثم يعود للجلوس ويقول مكشّراً :) كذّب !.. فتّشْتُك ، ليـس معك شيء ..

فاســكو : إنها هنا ... كلها .. كلها ..
(يمر بسّبابته على جبينه .)

الرقيب كاكو : (ينهض) صحيح ؟ . . انت مستعد للكلام ؟

فاســكو : (يقترب من الرقيب ، وبصوت منخفض ، كلمةً كلمةً ..) ماذا يسرهم ؟

الرقيب كاكو : كيـف ؟

فاســكو : ... يسرّهم .. أن يعرفوا ؟ أطْلِعنى على الحالة ، كما يقولون . ينبغى أن أهيّئ الأجوبة . ماذا يجرى هنا ، تماما ؟

الرقيب كاكو : (يرتاب فجأة) لن تسرق أخبارى شيئاً فشيئاً ، يا صغيرى .

فاســكو : لا تنزعج . (يشدّد على الكلمة) يارقيب أول !.

الرقيب كاكو : (يتردد) الحالة عندنا سيئة جدا . الجيش في هزيمة. (يضع اصبعه على فمه .)

فاسكو : الحالة سيئة جدا ، عندهم أيضا . (بعد فترة.تقريباً لنفسه) ما هو الشيء الذى يسير سيرا حسنا ؟

الرقيب كاكو : الحرب أشبه بشخصين يموتان ، يقول أحدهما للآخر : « مساء الخير . » بعد أن قال كل منهما لصاحبه : « صباح الخير . » . . . (بعد فترة) ما هو الشيء الذى يسير سيرا حسنا ؟ الحرب ياصغيرى ! (يشرب جرعة ، وبعد صمت .) لست اختصاصيا في الفلسفة ، لكنى عشت فترةً في صحبتك ، لم أعشْ ، منذ وقت طويل ، أحلى منها . شعرتُ أنّ لى قلباً . .

(ينشقُ كما لو أنه يريد أن يمنع دمعةً أن تسيل.)

فاسكو : لن تبكى ، سيّدى الرقيب ؟

الرقيب كاكو : (فجأة) ماذا ؟ لم تعد تناديني : سيدى الرقيب الأول . .

فاسكو : (بتوكيد) حينما تنال الرتبة .

الرقيب كاكو : حسَنٌ . اتفقنا . . (يجرع كأسا كبيرة ، فاسكو

أيضا ، ثم يقترب كلاهما من الآخر) أخبِرْهم ، قبلَ كل شيء ، عن طريقة إحكام الجهاز ١٢ ٠٠٠٠ لا أسمع غير هذه الكلمة في أفواه الضباط . (يخفض صوته اكثر فاكثر . .) ستبدأ ، بالجهاز ١٢ ٠٠٠٠ وستقول كل ما تعرفه (لنفسه) حظّ غير منتظر للقيادة العامةَ ! (لفاسكو .) المعلومات الصحيحة تكسبُ الحروب . مهمٌ جدا ، الجهاز ١٢ (بصوت منخفض) ستة وستة ! . .

فاسكو : مَنِ الآمِرُ ، هناك ؟

الرقيب كاكو : عندنا ؟

فاسكو : لا . . عندهم . .

الرقيب كاكو : كيف . لا تعرفه ! . . (بعد فترة) انه الكولونيل انريكو . . رأيته بنظارتي . (يرسم بيديه الابعاد الاربعة لإطار خيالي .) قرد صغير يدّخن دون انقطاع ويضرطُ النّار ! . .

فاسكو : اتفقنا بالنسبة للجهاز ١٢ . (لنفسه ، بصوتٍ منخفض مديرا رأسه .) كولونيل إنريكو . . يجب أن اتذكر هذا الاسم وأبتكر شيئاً ما . . كي أضعهم في داخله . .

الرقيب كاكو : أنهم يتحرّقون للحصول على مخطط الأنهار ومعرفة كمّية مائها ، سترى أنهم يجلبون المرض لانفسهم بهذه الأمور .

فاسكو : ماذا تقول ، يا رقيب أول ؟ النهر يراه الجميع !.

الرقيب كاكو : (برأفة) يا صغيرى (بعد فترة) في الصيف ، أحيانا ، تحترق وتجف ، وجيوش بدون ماء .. هذا معناه الوباء ... (بعد فترة) ها هو اقتراح خطير لكنه جميل . انه من عِنْدِي يأتي : حدثهم عن زوجات الجنرالات . إن لهن تأثيراً ضخماً...

(يدخل في هذه اللحظة الملازم باربيريس .)

المشهد الرابع

(الرقيب كاكو لم يكمل جملته . يتجه الملازم باربيريس ببطء نحو الطاولة وينظر ، بعين باردة ، الى قناني الخمر .)

(فاسكو ، الرقيب كاكو والملازم باربيريس)

الرقيب كاكو : كان الأمر صعبا ، سيدى الملازم ، لكن تم الأمر الجوهرى . سوف تحصل على المعلومات

الملازم باربيريس : (بابتسامة رضى .) اذهب واسترح . (فاصلاً بين الكلمة والثانية) رقيب أول ! . .

فاسكو : (يبتسم للرقيب كاكو ، بعد كلمات الملازم .).

الرقيب كاكو : (لفاسكو وهو يخرج) قذر !

(يخرج الرقيب كاكو . .)

الملازم باريبيريس: (ببطء) قررت أخيرا . . . أن تتكلم ؟

فاسكو : (لا يجيب ويبدو خائفاً من جديد .) . . .

الملازم باريبيريس: نعم ؟

فاسكو : (بثبات) : نعم .

الملازم باريبيريس: لن أكون ناكرا للجميل ، تأكّد . . على كل حال تستطيع أن تعتمد على سكوتى .

فاسكو : هذا لايهمنى أبداً (بعد فترة بصوت قوى .) لا أحبّ الكولونيل إنريكو . . (يبدو الملازم باريبيريس مندهشا ومهتما .) نعم . . أعرفه حقّ المعرفة . (يخفض عينيه وينظر الى الارضية) كنت أنظّف مشرب سجايره . .

الملازم باريبيريس: انظر الىّ . . .

فاسكو : (ينظر الى الملازم باريبيريس ، ثم يصرخ بعد صمت) أريد أن يعرف الجميع أنه أنا !

الملازم باريبيريس: آه ! . انتقام ؟ عال جداً . .

فاسـكو : أمضيت الشتاء كلّه في المركز ۱۲۰۰۰ معه.(بعد فترة .) أعرف المخططات عن ظهر قلب . .

الملازم باربيريس: صحيح ؟

فاسـكو : (بعد فترة) كما تريد . .

الملازم باربيريس: انتظرْ ، هذا مهمّ جدا . سأعود . .

(يخرج الملازم باربيريس بعجلة . .)

المشهد الخامس

(يتنزه فاسكو طولا وعرضا ، فريسة الرعب)

فاسـكو : (يتأمل ، بصوت عال .) الهرب الهرب . . الآن ما كان أحلى هـذا ، لو كنتُ عصفوراً ! . . (يتنزه) لماذا الكذب ؟ إنني مسرور من حالي . كم تكون مارغريت فخورة ، لو تراني !(يتامل) انني خطيبها بالتأكيد . (يذهب ويشرب جرعة) واحد ضد الكل : هذا هو الوضع . (يحلم) لو كان يراني الماجوربرونست (يربّت على كتفه .) « فاسكو الباسل ! . . . ستقهر العـدو . . . » (يضع بسرعة إصبعه على فمه .) اسكتْ ياجواشيم الأبله ! . . (يفرح تقريبا .) يتسلّى المرء حـين

يكونُ شجاعا . ويُحترم . (بفلسفة .) عليَّ أن اعترف : الخوف سوداوىّ . . . (يتلاشى .) ما كان ينبغي أن أترك بيتى ولا سوسّو ، قريتى . انا ضائع . . أحتقر الكولونيل برونزو . كان ، أولاً ، من البرونز ! (يشرب جرعــة) اذا كانــت المعلومات الصحيحة تكسب الحروب ، فينبغــى أيضا ان تخسرها المعلومات الكاذبة . (بعد فترة.) المسألة ، الآن ، هى أن نفسد خططهم ، لكــن بقول أىّ شيء ؟ (فجأة) لو أصلّى ؟ أيتهاالعذراء التى في السماء وأنا في هذه الغرفة . . . (يتوقف) هل أنا غبيّ ؟ العذراء ليست سيــدة حرب . . . (بصوت مؤثر .) إنها للحقول ، لفرشاتى ، لا للحرب ! (بعد صمت) أســمع خطوات . . . الأبواق . . سيأتون مع باربيريس (بحماســة) سأقلقهم ، سأشوّشهم ، سأقــول أىّ شيء . . . (لنفسه) لست جباناً ، يا سيد كورفان . . بــل انا جندى الميرادور . (بنعومة) وخطيبُ مارغريت . . سينتصر الكولونيل انريكو ، كولونيلى ! . . واذا لم أعد بعد الى سوسّو ، فستكون دائماً زهور في بلادى وبلاد مارغريت . (يتنهّد) . . الآن

أَلمسُ شعرَكِ ، يا مارغريت . . ولم أعد خائفاً . .

مارغريت . . . (بصوت خاضع لكن دون ضعف)
الخبيث فاسكو ! كان باسِلا .

المشهد السادس

(فاسكو ، الملازم باربيريس ، والكولونيلات)

الملازم باربيريس: (يتجه رأساً صوب فاسكو بعجلة) سيأتي بعض الضباط ليستمعوا اليك . . لا تخف شيئاً . كلمة اخرى . . . إذ أننا لا نعرف أبداً كيف تتقلب الأحوال . (يحدق في عيني فاسكو .) اذا كانت معلوماتك خاطئة او لاطائل وراءها . . فاني أنذرك . سوف نرسلك الى المركز واحد ، بعد ان نملأ جسدك بالرصاص ، مع التهاني : واضح ؟ . .

(يسمع وقع خطوات تقترب .)

الملازم باربيريس: (لفاسكو) قِفْ ! هاهم الكولونيلات !

(يدخل خمسة كولونيلات حاسري الرأس بازياء عسكرية جميلة ومتنوعة . يذهبون للجلوس حول الطاولة ، بصمت . يضع احدهم خريطة فوقها . يجلس الجميع معاً ، دون أن يتفوهوا بكلمة .)

فاســكو : (ينظر اليهم باعجاب وخوف) . . .

(صمت .)

كولونيل : (جالس في الوسط ، ينهض ، ينظر الى فاســكو ويدعوه بحركة من يده لينظر في الخريطة ويتكلّم .)

ستـــار

★★★

اللوحة السادسة

(ديكور اللوحة الأولى ذاته . الغربان التي ازداد عددها مصطفة في الأشجار . مارغريت جاثية عند جسم مغطّى بشرشف أبيض وحولها الكلب فيديل قيصر واقف ينظر الى ابنته . لا يلمح الا ظلهما ، رغم المصباح الذى يتدلّى في طرف ذراع العربة . حينما يرتفع الستار يظهر على المسرح جنديان ، يتنكبان سلاحهما . واذ يلمحان شبح قيصر يتوقفان بعين مستفسرة)

المشهد الأول

(الجندى الاول ، قيصر ، الجندى الثانى ، ما رغريت)

الجندى الأول : (يسدّد بندقيته .) من هناك ؟ حطاب ، أوجندى؟ تقدّم ! . .

(يظهر قيصر ، يمشى بتثاقل ، شاحب الملامح ينظر اليه الجنديان ، دون ان يتفوها بكلمة .)

قيصر : (بصوت فاجع) أليس عند كما معول ، رفش لدفن مسيحى ؟

الجندى الأول : لسنا حفّارين ، أيها الابله . (للجندى الثانى على سبيل المزاح) ثم ان المسيحى لا يحتاج إلا الى مكان في السماء .

قيصر : (مادّا قبضته) ابتعدا عنى ، ايها الجنديان المنهزمان

الجندى الأول : (يهز كتفيه وبنبرة فخر) أننا من فرقة الكولونيـــل إنريكو ؟

الجندى الثانى : (لقيصر) لا يعنى هذا شيئا بالنسبة إليك ايهـــا الأبلـــه ؟

الجندى الأول : (للجندى الثانى) جنديان مهزومان . نحن ؟

(يضحـــك)

(قيصر يعود الى قرب ابنته)

الجندى الأول : (ماشيا ، للجندى الثانى) قل ، يافريشون، الست مسرورا لكونك اول من سيعلن النصر ؟

الجندى الثانى : الأول ؟ هاى هاىْ ! . . الأول هو أنت .

الجندى الأول : لست مسروراً لأنى رئيسك ؟

الجندى الثانى : لم أقل ذلك . . . هذا لا يمنع أن تكون أنت أول من سيخبر القائد العام .

الجندى الأول : هذا صحيح . اسمع ، فريشون ، سأقول ما يفرحك : تكون أنت أول من يتكلم . .

الجندى الثانى : لا ؟

الجندى الأول : نعم . ستقول : « ها هو العريف آلدو » . . وأنا سآكل . .

الجندى الثانى : هذا شىء آخـــر . .

الجندى الأول : (يتابع فكرته) وساقول : « صاحب السـيادة . هذا هو اسم الميرادور . انتصر الكولونيل انريكو على العـدو ، بفضل حلاقٍ من سوسو يدعـى فاسكو . (لفريشون) بطل ، قلت لك ! . .

الجندى الثانى : (ما يزال يبدو غير مسرور لأنه لا يتكلم أولا) . .

الجندى الأول : أنت جندى بسيط . . لا بأس أن تكون بإمـــرة عريفٍ يعلن النصر . .

الجندى الثانى : هذا شىء آخر . .

الجندى الأول : لك أن تكون اول من يفكر . . . وأنا أتكلم . .

غـــراب : (على الشجرة) كَوْاكْ . . . كَوْاكْ . .

الجندي الثاني : (بعد صمت ، مشيرا الى الغراب بحركة من رأسه) الغراب .. هل يفكر أو يتكلم ؟ . . .

الجندي الأول : يفكر (بعد فترة) هيا ، يا فريشون يجب أن نبلغ سوسوّ قبل النهار . .

(يخرج الجنديان)

المشهد الثاني

(يبقى المسرح فارغا ، بضع لحظات ، يضيئه نور الصباح الشاحب)

رئيس الطبالين كرانز ، فريغوار ، قيصر ، ومارغريت

غراب : (يتحرك في الشجرة كما لو أنه يعلن حضور احدهم) كْواكْ . . . كْواكْ . . .

غراب آخر : كْواكْ . . .

رئيس الطبالين : (ينادى من الخارج) : آلدو ؟ . . . أين أنت يا آلدو ؟ . . .

(يدخل رئيس الطبالين كرانز . ضخم وسمين ويبدو منبهرا .)

رئيس الطبالين : (يلتفت حوله .) أخيرا . . مصباح . . (ينادى) غريغوار ! . . تعال يا غريغوار ،

(يدخل غريغوار . حَدَثٌ ويظهَر غبياً . يحمل على ظهره طبلا كبيرا ملفوفا بقطعة قماش . يضع الطبل على الارض .)

رئيس الطبالين : (لغريغوار) افْحَصْني .

الجندي غريغوار : (يحتج) سيد كرانز ، أنت . .

رئيس الطبالين : (مزهوّا ، وفرحا) . . . عظيم ، أعرف . لكن اقصد لباسي العسكري . أخشى أن يكون ممزقاً . هذا العليّق . آه . . يا لها من طريق ! . . (ينظر الجندي غريغوار إلى لباس رئيس الطبّالــــين ، مواجهة . يوقفه هذا قائلاً :) من هنا ، لا بأس .

الجندي غريغوار : (يأخذ المصباح ويفحص ظهر رئيس الطبالين) مأساة . .

رئيس الطبالين : (قلقــاً) أين ؟ . .

الجندي غريغوار : (يتابع فكرته) هناك نافذة صغيرة . .

رئيس الطبالين : (يزداد قلقه) لكن ، أين ؟

الجندي غريغوار : في المأساة . .

رئيس الطبالين : تكلم بشكل أوضح ، يابنيّ . . .

الجندي غريغوار : هذا واضح : أرى . . .

(لا يجرؤ أن يكمل)

رئيس الطبالين : أوه ! . . أقدّم نفسي هكذا لعَرْض النّـــصر ! رئيس طبّالين تاعس . (بعـــد فترة ، بصوت منخفض ، لنفسه) دون أن احسب حساب البرد. خاب سعيي . يرسلونني على عجـــل إلى سوسّو لتنظيم العرض وأقدّم نفسي ــ مكشوفاً (ينظر الى الطبل الذي وضعه غريغوار على الارض)لنُلاحِظْ هذا الطبل . (بعد ملاحظة قصيرة .) ماذا أصابه! (يرفع الجندي غريغوار يديه صوب السماء كانما ليقول انه غير مسئول عما حدث .) تستطيع أن تمدّ ذراعيك الى السماء ، يا غريغوار . . . مـــن اذن تدحرج منذ قليل ، مع هذا الصندوق التعس كحمار مع بَرْدَعته ؟ (يضيف لكي يُفَرّق.) اعذرني لهذا التعبير . .

الجندي غريغوار : سيّد كرانز ، التعثّر في هذا الليل الأسود، طبيعيّ.

رئيس الطبالين : نعم ، نعم ، نعم ، نعم . . . تحدث عن نفسك! . (بعد فترة) . . يجب التأكّد من هذا الطبل . .خذ المطرقة وجرب هذا الفِراش العتيق . (يشير الى الطّبل .)

الجندي غريغوار : (يأخذ المطرقة ويضرب على الطبل ثلاث ضربات ، يتوقف وينظر الى رئيس الطبالين لكي يعرف رأيه)
بُمّ . . . بُمّ . . . بُمّ . . .

رئيس الطبالين : (يصغي ، ثم يشير بيده للدق من جديد) . . .

الجندي غريغوار : (يعيد الدقّ .) بُمّ . . . بُمّ . . . بُمّ . . .

قيصر : (يظهر ويقول :) أفضّل الضربات الأولى .

رئيس الطبالين : (لم يفاجأ تقريبا بظهور قيصر ، يخاطب غريغوار) الحقّ مع هذا الناطور الخارج من الغابة . .

(يشير لغريغوار كي يكمل)

الجندي غريغوار : بُمّ . . . بُمّ . . . بُمّ . . .

قيصر : هناك انخفاض في نَبْض الضربات . (بعد فترة .) أنا عالم . . . .

رئيس الطبالين : تسمع ، ياغريغوار ؟

الجندي غريغوار : لستُ موسيقياً لأصلح طبلاً . ينبغي شدّ هذا الجلد الحيواني وتنظيفه من البثور .

رئيس الطبالين : جيّد ، هذا نراه فيما بعد . غطّ هذا الطبل .

(لقيصر) هذه الآلات ذات القواعد النغمية دقيقة جدا : قليلٌ من المطر يُفسدها . (وهو يهم بالذهاب (لقيصر) شكرا لمساعدتك اللطيفة والتي جاءت مصادفة . . . اذا جئتَ الى سوسّو يا عزيزى الناظور ، أدعوك الى طاولة الموسيقى بين المزمار الاول والصنوج : هذا مكانٌ مُنتقى . (بعد فترة) سنقيم وليمةً كبيرة : ديوك . دجاج — فراريج ، جبال من الثمار والغلال . . . سريعة التلف . دون أن اذكر الخمور !

قيصر : (مندهشا) هيّا إذن !

رئيس الطبالين : نُعيّد للكولونيل انريكو الذى يبدو انه اخترَق! . ماذا ؟ لا أعرف . الواقع هو انني مُسَخّرٌ لترتيب منصّة (يبتسم بتواضع ، ويضيف .) بذوقي الفني في التزين . . والآن الى الامام يا عزيزى غريغوار ، والان الى الامام يا عزيزى غريغوار ، لاستعراض النصر في سوسّو !

الجندى غريغوار : (يمر تحت حمالات الطبل ويحمله على ظهره .) . . .

رئيس الطبالين : (يسير وراء غريغوار ، يقول لقيصر مودّعا .)

لا اطفال عندى . الطبول أطفالى . . الطبول المسكينة ! . .

غـــراب : كْواكْ . . . كْواكْ . . .

غراب آخر : كْواكْ . . كْواكْ . . .

الجندى غريغوار : (يقف ، وهو على وشك الخروج لسماعه نعيق الغربان .) ما هذا ؟

رئيس الطبالين : (دون أن ينظر إلى الاشجار ، وبنبرة عدم اكتراث . لغريغوار .) دو ، رى مى ، فا ، صول . . واضح ! . . العصافير تغنى .

(يخرجان قيصر يذهب الى ابنته .)

المشهد الثالث

(الصباح باق حيث وضعه الجندى غريغوار . لا يرى قيصر ولا مارغريت . صمت طويل لا تسمع خلاله الا انتحابات مارغريت ، وفى الشجر ، رفيف اجنحة الغربان ، ثم رويدا رويدا ، يضىء قيصر ومارغريت ضوء معتدل . الاثنان جاثيان قرب الشرشف الابيض الذى يغطى جسم فاسكو . قربهما الكلب الصغير فيديل .)

قيصر ، مارغريـــت

قيصر : (بصوت بطىء ومنخفض .) تنتظرين مـــن ؟

تنتظرين ماذا ؟ لن يأتى أحد . منذ ليلين وأنت
هنا . ليلان طويلان مع الريح . . أنتِ وأبُوكِ
السّاهر معك ، الباكى معاكِ ، يا مارغريت .
الربيع والحقول الخضراء حولنا . . . ولا بلبل ،
يا مارغريت ! . .

مارغريت : (تُسمع وهى تبكى بهدوء .) . . .

قيصر : (لنفسه) هذه النبرة محزنة ! (لمارغريت بصوت موتّر ، بعد فترة) انهضى يا ابنتى ، ولنترك التعاسة . (لنفسه) ولا شمعة لموت مسيحى . . ولا ماء مقدس لبعث الجسد ! كُفّى عن البكاء يا ما رغريت كُفّى . . . اتركى خطيبك ينام . . ولنّمض ، يا ابنتى (بعد فترة ، بنبرة يأس) لن يأتى أحد . . .

مارغريت : . . . .

قيصر : (بصوت بطيء جدا) لنذهب الى سوسّو . فى سوسّو عيد كبير ، يـــا مارغريت . سمعتِ الطبل ، سنعبر قربَ بيته . . سننظر اليه كما لو أنه لنا . . « صباح الخير يا فاسكو . . »

مارغريت : (بصوت ضعيف.) «صباح الخير».

قيصر : (يمسح دموعه.) هذه النّبرة محزنة!

مارغريت : (بعد صمت.) إنه نائم، تماما في المكان الذى رأيتُه في حلمــى...

قيصر : مسكين فاسكو. الآن هو الذى يحلم..

مارغريت : انا التى تحلم.... دائما به!..

قيصر : يكفى، يامارغريت! مارغريت، يكفى! تفعلين هذا كلّه في سبيل... محيطٍ هوائىّ! لأن ذلك حلم، أليس كذلك؟ لن تغشّينى. ثمّ، من اراد الذهاب إلى الحرب وهو خطيب؟ هل أنتِ أو هو؟ (لنفسه) لا أحب العسكريين: حتّى عندما يموتون.. يموتون قبل موتهم، أو عندما يحين تماما. لقد مات، قبل.. كالعسكريين. (يغيّر نبرته وبصوت ملىء بالرأفة) حتّى أنه لم يكن يلبس الزى العسكرىّ حينما أخذوه.. بقبعته الصغيرة المعوجّة... لكِ الحق أن تبكى، يا مارغريت، لكِ الحق. (بعد فترة.) أين هذا المصباح، كى أراكِ، حينما تحلمين، يا ابنتى وعندما تعيشين!..

غـــراب : كوْاكْ . . . كوْاكْ . .

غراب آخر : كـْــواكْ . . .

قيصر : (عيناه مليئتان بالدّموع ، يجيب الغربان مشيراً الى ابنته) عذراً . . وصبراً . (فجأة ينهض وبصوت نبيّ :) لن نَـذْهبَ ، أيتـُها الغربان ، لن نَـذهب ، لا انا ولا ابنتى ، قبل أن نمنحه في الارض مكانا صغيرا لزهرة . . قبل ان نصلّى جميع الصلوات التى تـُخْزِى الشياطين . . باسم الآب والابن (لايصلـّب .) انظرى الىّ ايتها الغربان ، انظرى الىّ . . انى هذا المساء ، قرينُ ابنتى في الألم ! ولست أنت ، يـــاطيور الغياب والـــرّعْب ، من يشاركنا خبزنا ! (بعد فترة) إنها جامدةٌ كظلال الشر . . . ولا طفل كى يخيفها أو حمامة بيضاء كى تطردَها ! (يصرخ) أيها الجنود !. . أيها الجنود ! . . أيـّتها الغربان ! . .

(تنهض مارغريت وترتمى بين ذراعى والدها . .)

قيصر : يا ملاكى ، مارغريت ! تعالى ارتاحى ، يا ابنتى . . (يُجلس قيصر ابنته عند جذع شجرة ، قرب جثة فـــاسكو بعد بضع لحظات تنطفئْ لهبة المصباح

الصغيرة لانتهاء الزيت . ينام قيصر ومارغريت. الضوء يتغير . انه الفجر . يسمع طوال الوقت رفيف اجنحة في الشجر .. الغربـــان هى الـــتى تتحـــرك .)

المشهد الرابع

(فى صمت عميق يصل الملازم سبتمبر . حينما يظهر يرى حاملا بعض الاعنة . اعنة حصانه . يعلقها فى شجرة لا يرى الحصان ، بقدر ما يتقدم يزداد نعيق الغربان بشكل يعم .)

قيصر ، مارغريت ، والملازم سبتمبر .

الغربان : (معا) كْواكْ .. كْواكْ ... كْواكْ .. كْواكْ .. كْواكْ ..

(يتوقف الملازم سبتمبر . يستيقظ قيصرومارغريت)

قيصر : (ينهض، ينظر الى الملازم سبتمبر ويخطو نحوه بضع خطوات ، ثم بعد صمت وبصوت خاص اختفى منه ظاهرياً .) تبحث عن بيت فاسكو أيها الملازم ؟

الملازم سبتمبر : (لا يتحرك ، ينظر الى قيصر ، ويبدو غـــير متأثر .) . . .

قيصر : (بعد صمت ، بصوت غريب .) تبحث عن بيت فاسكو . . . ؟

(لايجيب الملازم سبتمبر)

مارغريت : (واقفة ، زائغة العينين ، بصوت من يمشي في نومه .) أبي سيقول لك ذلك . . . أنا اعرف اشياء أخرى . .

(صمت طويل . .)

قيصر : (يتقدّم نحو الملازم ، ثم بصوت سريع ،مغيّرا نبرته ، يروي :) أعادوه الى المركز واحد، وجسده ممتلئ بالرصاص . . ساعَدنا هانس ولاتور لنقله الى هنا بينما كان الماجور برونست ينهي « عملا دقيقاً . »

الملازم سبتمبر : (بهلوء) أعرف مسبقا . .

قيصر : ومن ذلك الحين ، لا تتكلم ابنتي . . لم تعد تقول شيئا يا ملازم . . كما لو أنها صارت (يشير الى التراب .) من التراب ، هي نفسها ! (بقسوة.) حلمتْ . ما كنت أصدّقها . . هذه الكاذبة ، مارغريت ! (يشير الى جثة فاسكو .) انظر الآن اذا كان الحلم ليس شيئاً ! . . .

(يتجه الملازم سبتمبر صوب فاسكو . يتبادل مع مارغريت حين يصل الى سويتها ، نظرة طويلة . ثم يجثو بركبة واحدة صامتا ، ويرفع الشرشف ليرى فاسكو . .حينذاك يرفع ببطء قبعته ويضعها على الارض . . بعد لحظات ينهض)

الملازم سبتمبر : (ببطء ومقابل مارغريت) لست وجه القدر . . أنتِ بذلك تعتبرينني مليئاً بالحقد .

مارغريت : (تنظر دون أن ترى .) . . .

الملازم سبتمبر : (يتجه نحو قيصر .) خذ ابنتك وامْضِ . . .

قيصر : (يشير الى الغربان ، ويهمس .) انظرْ ! . .

الملازم سبتمبر : لن أتركه . تأكّد . (بعد فترة) حتّى أنني مكلف بذلك . .

قيصر : ودّعيه يا ابنتي ولْنرحلْ . . الملازم يبقى معه .

قيصر (لا يزال واقفا ، يلتفت بهدوء إلى الملازم سبتمبر) لا تريد أن تصلّي معنا ؟

الملازم سبتمبر : (لا يجيـــب . .) . . .

قيصر : (يجثو هو أيضا .) باسم الآب . . . والإبن . (لايصلّب ، ثم فجأةً يقول لمارغريت مغيرا نبرته ، وبهمس .) هل أشبه الحوري يا مارغريت ؟ .

مارغريت : (برصانة .) باسم الآب . . . لا (تصلّب .)

قيصر : (برصانة). لِتَفْتَحِ الخادماتُ العجائزالّتي تقود الأرواح إلى الله ، بابَ القدس لهذا الطفل الميت ، كعصفورٍ يطرقُ بابَ فندقِ الهواء ! . .

(يدير الملازم سبتمبر ظهره شيئا فشيئا لقيصر ومارغريت . يبدو انه لا يريد بأى ثمن . حتّى أن يشارك بحضوره في صلاتهما)

مارغريت : باسم الإبن . (بحنان بالغ ، ناظرةً الى جثة فاسكو) ما الذى يجعله كسلانَ الى هذه الدرجة كي لا يبتسم . . .

قيصر : (باسما وباكيا) . فيديل قربه . مع براغيثه . (بعد فترة) أصْغِ يا سيد ، الى ابني . .

مارغريت : لن أقول لكَ شيئا أيها السيد ، الا أنني حلمت ، مثلَكَ ، حينما كتبتَ كتاب البحر . . .

الملازم سبتمبر : (مديرا ظهره) . . وكتابَ الرمال . مع أثر الدّم العاري ، من أجل النّصر !
(يسحب ، بحركة مفاجئة ، مسدسه ويطلق النار على الغربان . يسقط غراب عن الشجرة بضجة خرساء)

قيصر : (ينهض ، دون أن ينظر الملازم سبتمبر) من أجل النصر؟ . وماذا تعني هذه الكلمة عندما لايكون الإنسان شيئاً ! (يشير الى جثة فاسكو) عندما لا يملك ، في فمه ، قليلا من الخبز لأجل الذكرى!
(يخرج قيصر ومارغريت بخطوات بطيئة دون ان ينظرا الى الملازم سبتمبر)

الملازم سبتمبر : (حاسر الرأس ، ما يزال يمسك مسدّسه بيده ، وفوهته صوب الأرض . يخطو خطوة كما لو أنه يريد ان يلحق بقيصر ومارغريت ، ثم يقف وبصوت وحشي ، ومتشنج يصرخ) لا تَنْسيا ان تتوقّفا في سوسّو ، يا قيصر ، يا مارغريت

.. لا تنسيا .. النّصر لِسوسّو ! مارغريت ...
النصـــــر ! ..

(يلتفت ببطء ويلقى نظرة طويلة نحو فاسكو بينما
بينما يسقط الستار)

النهـــــاية

***

تنويع في اللوحة الثانية

يمكن اختصار نهاية اللوحة الثانية والاستغناء عن مشهد الأرامل ، الذى يصعب اخراجه . حينذاك يعتمد هذا التنويع في المشهدين السادس والسابع لأنها اللوحة الثانية .

المشهدان السادس والسابع

(الاشخاص انفسهم ومدام هيلبوم)

مدام هيلبوم : (تنادى) : جيروم ! .. جيروم ! .. (تلقى دلوها في البئر .) أسحب دلوا من الرصاص ... كل شيء ثقيل ، في الأسفل ، في جذور الماء .

الفلاح الأول : ماذا سترين اليوم ، في الماء البارد ، يامدامهيلبوم؟ رأساً كذلك أو عسلا ، كما في الفصل الأخير ، حينما كان الأولاد هنا ؟

الفلاح الثانى : (بهمس ، لقيصر) عند كل النساء بذرة جنون ، فكيف بالعجائز ! ..

قيصر : سأساعدك ياجدّة ، (يسحب الدلو معها .) صحيح أنه ثقيل . .

الفلاح الأول : لستَ معتادا على التعب .

قيصر : حينما أحشو كلباً ، يا سيد ، أقوم بعمل جبّار . (يضع الدلو على حافة البئر) دلوك يا مدام هيلبوم خارج البئر .

مدام هيلبوم : (تنظر في الدلو وتصرخ) آه ! . .

(ينحني الجميع فوق الدلو وينظرون .)

الفلاح الأول : ليس هناك أيّ شيء .

مدام هيلبوم : (ناظرةً في الماء ، ببطء كما لو أنها تخاطب نفسها.) سيف . . مقص . . و . . فتاة .

الفلاح الأول : انظرْ يا أب روندو فنظرك أحسن من نظــرى . انا لا أرى الا الماء النقيّ كما يقولون .

الفلاح الثانى : ليس هناك أيّ شيء .

قيصر : اما أنا فأرى كلّ ما تراه وحتّى أكثر . تكلّمــى يا ساحرة ، أرجوك ، ولاتجرحى قلبي لا ننى رأيت وجه ابنتى في الماء .

الفلاح الأول : (مشوّشاً من كلمات قيصر .) يبدو عن قرب ، شيءُ ما يتحرك .

الفلاح الثانى : (منحنياً فوق الدلو) أكيد . . ريحٌ قليلةٌ باقية في الدلو . .

مدام هيلبوم : (عيناها في الدلو) سأمضى الى القاع . هناك حيث موت الصور وحياتها . . لكى أعرف .(للحضور) أعيرونى عيونكم لكى أغوصَ في ماء الصور . . أضعتُ قبقاباً وأنا الآن أعـــرج بساقٍ واحدة في الدلو . . لا تضحكوا على تعاستى لكنّ المســـوا الماء . الآن : إنه يحرق . . هذا فألٌ . . لانى ألمح ضوءاً في البعيد كدرهم يفكر . . ضوءاً صغيرا لسرّ مقدس ، ضائعاً في غابة لا حدّ لها . . قرب كلاب ميتة . . منذ زمن طويل . . (تنظر الى قيصر)وعلى حائط مهجور ملائكة جائعون ، يأكلون وروداً . . . هذا كلّه علامة الحداد . . . وها هو الوجه الأول الذى يعود . . ووجهٌ ثان يطرده . . وفي هذا الدلو المحرق خطواتُ راقصة تأتى وتروح . . ومن يقدر ان يجيد الرقص في الماء ، إلا روح فتاة ؟ (تنظر الى مارغريت) . . الماء يختبىء الآن . . لم يبق شيء غير قطيرات باردة ! (تنادى) جيروم . . ؟ جيروم ؟ . . .

(تخطو مدام هيلبوم بضع خطوات كما لو أنهـا تخرج ، لكنها تبقى في مؤخرة المسرح) . .

الفلاح الأول : الأم هيلبوم تنسج الكلام دائماً . . .

الفلاح الثانى : مسكينة ، إنها تهذى . .

الفلاح الأول : وماذا يعنى هذا كلّه ؟ (بعد فترة ، ناظـراً الى الفلاح الثانى) من حسن الحظ أن هناك فرقاً بين العجوز والكهل ، وإلاّ . . .

الفلاح الثانى : (يكمل الجملة ، ضاحكا) . . . كنّا ، في هذه السن ، أغبياء كذلك . .

قيصر : (يهمس لماغريت) رأيتكِ في الدّلو ، يا ابنتى . .

الفلاح الأول : (لقيصر وماغريت) هيّا ، هيّا لاتُفكرا في هذا . . تعالا لنأكل ، ولنْطرد هذه الافكار السيئة .

الفلاح الثانى : وسيعزف على الكمان ، يا آنسة ، السيد ترابّـو الذى يبلغ الثمانين .

قيصر : (آليّا لنفسه) هذه الآلة تحرك العواطف (لنفسه أيضا ، يهمس) لا بّد من العثور على فاسـكو . . كان مقصّه في الدلو مع مهاميز الملازم . . يالهـا من خُـرْدَة .

مدام هيلبوم : (تتقدّم فجأة من مؤخرة المسرح حيث كانت تقف ، تشير الى البئر باصبع وتصرخ بصوت فاجع) ويحترق ماءُ هذه البئر كالقَش . . . وستَصير الفتيات أرامل حتّى في الحلم . . .

(ينظر قيصر ومارغريت والفلاحان الى مدام هيلبوم واجمين)

قيصر : (بعد فترة) هيا نأكل شيئاً . . لوجه الله !

ستـــار

★★★

السّيد بوبل

مسرحية في ثلاثة فصول

تأليف : جورج شحاده

ترجمة : ادونيس

العنوان الأصلي للمسرحية

GEORGES SCHEHADÉ

MONSIEUR BOB'LE

trois actes

nrf

GALLIMARD

2e édition

إلى غابرييل بونور

شخصيات المسرحية

مثلت هذه المسرحية للمرة الأولى على مسرح « لاهوشيت » في باريس (فرقة جورج فيتالى) فى ٢٠ كانون الثاني ١٩٥١ . اخرجها جورج فيتالى . صممت الزّيان (الديكور) والملابس دورا مار . وضع الموسيقى موريس أوهانا .

هنرى بويل	Henri Bob'le
آرنولد . خادم السيد بويل	Arnold
المتروبوليتا نيقولا	Le Me'tropolite Nicolas
خوسيه ماركو	José Marco
فريدريك	Fréderic
آرثر معلم باولا سكالا	Arthur
ميشيل تلميذ السيد بويل	Michel
كوريا امرأة شابة	Corée
جوان بن أخى السيد بويل	Juan
فيسيل فتاة يافعة	Ficelle
كونستان فتى يافع	Constant
الأم الكسندرين	Mére Alexandrine
دكتور بي بيروني رئيس الأطباء	Docteur Pie-Piromi

الكسندر .. ممرض	Alexandre
سوبيز . ممرض	Soubise
القبطان كراول	La Commandant Crawl
كوبى مزارع لا يظهر على المسرح	Copi
البيطار	Le Maréchal Ferrant
جوليو موسـيقار لا يظهر على المسرح	Julio
جـول موسـيقار لا يظهر على المسرح	Jules
فيفين . غسالة	Fifine
لوقا (طلبة لاهوت)	Modeste-luc
نيفون (طلبة لاهوت)	Niphon
بيترول (طلبة لاهوت)	Pétrole
الساعي	Le Facteur
الصغير بليز ابن المزارع كوبى	Le Petit Blaise
اكسيلسيور كلب السيد بويل	Excelsior

الفصل الأول

(باولا سكالا)

المشهد الأول

(ارنولد ، ثم فيفين)

تبدو في داخل البهو حقائب يستدل منها على ان هناك سفراً عاجلا . آرنولد ، الخادم في غرفة السيد بوبل ، يهيّء حقائب سيّده. الصباح يتلألأ في الخارج .

آرنولد : (متوقفاً أمام تقويم) : ٢٣ أيلول ! تماماً في اعتدال الخريف . . . حين تنتحب الرياح غداً ، ويميل البحر الى السّواد . السيد بوبل يسافر في الاعتدال . هذا لا يدهشني . يجب ان أستعجل . الاحذية أولا ، سأرتّب الأحذية . (يرتب الأحذية) الآن ، دور الأخفاف . عجيب : عشرون زوجاً ! لابد من تعبئتها كلها . . . اعرف جيدا السيد

بوبل . انه يعبد قدميه . يسمّيهما « أطفال المروج » . (يرتّب الأخفاف ، متذمّراً) ٢٣ أيلول : حين يميل البحر الى السّواد ، ويصل المدّ الى أقصاه ، وتكثُر المغاور الفسيحة في المحيط . . في الاعتدال تماماً ! (يفتح علبة) هذا منُبّه الصباح . (يحركه ليرنّ) جيّد ، منتظم ، ياله من آلة دقيقة ! والآن دور الملابس .

(في هذه اللحظة تظهر فيفين من باب نصف مفتوح ، تحمل كدسة ملابس بيد ووردة باليد الأخرى .) .

فيفين : أستطيع أن أدخل ؟

آرنولد : آه ، فيفين . كنت أنتظرك . تجلبين ملابس السيد بوبل ؟ .

فيفين : نعم ، يا سيد آرنولد .

آرنولد : أحسنتِ . ضعيها على هذا الكرسي . (يلتفت فيلمح فيفين تشمّ الوردة) كيف حالك ، يافيفين ؟

فيفين : أنا يا سيد آرنولد ، في . . .

آرنولـــد : ناوليني الملابس ، هذا اولا ، ثم الأسود .. ذلك الآخر . لا بأس هكذا .

فيفين : (بتردد) : سيد آرنولد ، جلبت هـــذه (مشيرةً الى الوردة) للسيد بوبل .

آرنولـــد : هذا لطفٌ منكِ . ضعيها في الإناء. سأخبره بذلك .

فيفين : أوه .. كلا . احبّ ان أضعها في حقيبـــة السيد بوبـــل .

آرنولـــد : وردة في الحقيبة ؟ فكرى ... ستبقّع الملابس كلها .

فيفين : ....

آرنولـــد : ماذا تقولين ؟ هل أغضبتك ؟ أتُحبّين اذن السيد بوبل الى هذا الحد ؟

فيفين : ألتَمِس منك ، يا سيد آرنولد ، محـــلاً صغيراً في هذه الحقيبة . خذها ، ضعها بين جوارب السيد بوبـــل .

آرنولـــد : (واضعاً الوردة في الحقيبة) : والآن ، هل سررت ؟

فيفين : انا الآن سعيدة جدا . . اذن ، سيسافر اليوم؟

آرنولـــد : نعم . في الاعتدال تماما .

فيفين : ما هو الاعتدال ؟

آرنولـــد : انه مخيف يافيفين ، انه الريح التي تريـــد أن تشرب البحر . انه زمن العواصف .

فيفين : آه ، يا آلهي . . .

آرنولـــد : هكـــذا . . .

فيفين : اذن ، يسافـــر السيد بوبل على المـــاء . . . وستَنْقضّ الصّاعقة ؟

آرنولـــد : نعم ، على باخرة . . . (بنبرة غامضة) إس إسْ ، الحبيبة ، الف طنّ !

فيفين : . . .

آرنولـــد : الطّن مئة كيلو ، يافيفين .

فيفين : ثقيل جدا على الماء . . يا للسيد بوبل المسكين. لا يجوز ان نسمح له .

آرنولـــد : (لنفسه) : لا يدهشني عمله هذا . .

فيفين : لكن من المحـــزن ان يهجر الانسان قريتـــه واصدقاءه .

آرنولـــد : «باولا سكالا» ليست قرية يا فيفين، بل مدينة.

فيفين : آه ، كنت أظن . . .

آرنولـــد : خطأ ! السيد بوبل يهجر مدينة .

فيفين : كيف نقدر ان نميز بين مدينة وقرية ، يا سيد آرنولـــد ؟

آرنولـــد : ببساطة . اسمعي ، يا فيفين . حين نرى خرافاً في الشوارع او شيوخا ، نكون في قرية . . .

فيفين : نعم . . شيوخاً . . والمدينة ؟

آرنولـــد : شيء آخر . الناس في المدينة يسكنون بيوتـــاً ليست لهم . . وفيها كذلك سيارات كثيرة .

فيفين : لكن في «باولا سكالا» خراف وسيارات. . .

آرنولـــد : صحيح ، فهي مدينة صغيرة . .

فيفين : هل السيد بوبل يغادر «باولا سكالا» ، المدينة الصغيرة ، لفترة طويلة او إلى الأبد ؟

آرنولـــد : لفترة طويلة ، يافيفين !

فيفين : لمـــاذا يسافر ؟

آرنولـد : هذه مسألة معقدة . . ولا يجوز أن أصرّح بها (بشكل سرى) انها مسالة مالية !

فيفين : آه . .

آرنولـد : عيّن مديرا لإحـدى الجزر .

فيفين : جميل . .

آرنولـد : لا يجوز ان نخلط بين الأشياء ، يافيفين . . انه مدير . .

فيفين : جزيرة . .

آرنولـد : (بنبرة عاطفية) : يسافر من اجـل نماذج وعيّنات .

فيفين : سيجنى ثروة ؟

آرنولـد : (لنفسه) : هذا لا يدهشنى . .

فيفين : انه صديق الفقراء . . .

آرنولـد : هذا سرّ . . احفظى لسانك ، يافيفـين . (يستأنف عمله) فيفين ، ناولينى هـذه القمصان . . (فيفين تناوله شيئا فشيئاً ملابس يرتّبها .) آه ، نسيت . افتحى الخزانة . .

فيفين : فتحتها . .

آرنولـــد : ألا ترين فيها شيئاً ؟

فيفين : نعم ، لباساً جميلا مُرَقشاً بالذّهب .

آرنولـــد : انه اللباس الرسمي للكابتن بوبل ، اللبـــاس التذكاريّ في زمن المناوشات . كان يقاتـــل بالمسدّس . ناوليني اياه . سيحمله معه عـــلى متن الحبيبة (بنبرة غامضة) إسْ . . . إسْ .

فيفين : (تمسح دَمعة) : إسْ . . . إسْ ، الى اللقاء ياسيد آرنولد . . إنني حزينة جداً

(تخرج فيفين)

آرنولـــد : (متحدّثا مع نفسه) : مسكينة فيفين . . . ليست « باولا سكالا » إلاّ قرية . لكن اية قرية هي . . حين يفكرون فيها قليلا يافيفـــين ، حين يتأملون بين خطوة واخرى مثلي . . مع هذا ، لكل شيء هنا مظهر عادى : الناس ، البيوت ، الزقاق الذى يعلوهُ صدر الحصان . الفصول ترسم في السماء غيوما كبيرة ، وهناك المطر ، وهناك الريح . وحول النبع ، حيث تجيء العصافير لتشرب ، يبعثر الماء شـــعر

الأطفال ، ويتوقف وراء حجر . . ومـــا ألطف الأمسيات ! الفلاحون ، والسنكريون والمعجبون بالينابيع ، هنا وفي كل مكان ، يسكنون الأكواخ ، والشمس تدل على سعادتهم . كل شيء ، بين الفجر والليـل ، ــباستثناء هَنْوَسةالاشجارالكبيرة ــ ضجرٌ ، وكل شيء سعادة . . لكن حضور السيد بوبل هو ما يميز « باولا سكالا » عن غيرها من المناطق والمدن الأخرى ، رغم غلالها وأعشاشـها . تتذكرين ، يا فيفين ، حين جاء الى هنا ، منذ وقت طويل . . قال : سأقيم في « باولا سكالا » حبًا للصلاة والفكاهة . . » وكانت تلك بداية حياة بسيطة ورائعة. هذا منذ وقت بعيد . . كنت ما أزال طفلاً في غابة، أحرس التفاح . . اجتذبته خدمتي فقال ضاحكاً : « أستخدمك يا آرنولد ، لأنك مغطى بالثمار . . وسوف تسهر على ماء بيتي وشمسه . . » ثم استقدم المونسينيور نيقولا : « ان كانت « باولا سكالا » لا تملك كاتدرائية، فسيكون لها رئيس أساقفة » . هكذا قال . اتذكرّ وصول

يقولا . كان لون الصباح أزرقَ حاداً وكان ثمّةَ ذبابٌ ، والصّدى يجيء من التّلال بخشوعٍ عظيم ... « جئت ، أنا الرئيس الاسقفي ، إلى « باولا سكالا » تلبية لنداء السيد بوبل . أصغوا إلىّ أيهّا الناس الطيبــون : الصلاة صعود مُشبِـعٌ ، سفَر أناني : الأحرى أن تمزجوا ايديكم لكي تأخذوا وتعطوا ، فنحـن في الريف . » ثم لمَس لحيتــه . ورَجــانا ان ننسحب... « باولا سكالا » أو بلد السيدبوبل..

(يطبق الحقيبة ويقف ناهضاً) انتهيت !

السيد بوبــل : (ينادى من الخارج) : آرنولــد ؟

(يدخـــل)

المشهد الثاني

(آرنولد ، السيد بويل)

آرنولــد : سيد بوبل ؟ كل شيء جاهز .

السيد بويل : أعرف ، ياآرنولد ، صديقى .

آرنولــد : لاتقل ذلك . انا خادمك يا سيد بويل .

(يخرج آرنولد ليخفى انفعاله)

السيد بوبـــل : (يقترب من الحقائب ويلاحظها بشدة.) : عائلتي !
(يجلس على كرسي ويضع رأسه بين يديه)
« باولا سكالا » ! (ينهض ويتجه نحو مشكاة فيها تمثال للعذراء) تُحزنني أشياء الأرض ، أيتها العذراء أنتِ من نراها في جميع أبهاء السّماء . . ومن تجعلها ذبابةٌ تغضّ طرفَها حين كنتِ تسافرين في عربة إلى مصر ، كانت النجوم تحرسك بروحها . سأسافـــر أنا بلوري . سأركب البحرَ وأنا في منتصف عمري تماماً . ساعديني ، يامريم . — أسطورتك تاريخ قرية . . تذكرى بساتـــين الجليل . . كنتِ فتاةً صغيرة ، وكـــان العندليب ينام متَقلقلاً بين الأوراق . .

آرنولـــد : (يدخل حاملا حذاء السيد بوبل) : هذا حذاؤك ياسيد بوبل .

السيد بوبـــل : (يلتفت قليلاً ويقول لآرنولد) : ضعه . . (يكمل صلاته) ألقى نورك عليّ . .

آرنولـــد : (ينسحب بشيء من الاعجاب) : يقصـــد العندليب . .

السيد بوبـــل : لاأقصد العندليب ، بل أقصدك يامريم ، في بساتين الجليل .. كانوا يضربونـــك ويوبّخونكِ .. كنتِ تذهبين الى النبـع بحثاً عن الماء الملىء بالصّورَ .. صرتِ أمالإله بعد أن كنتِ خادمتَه . . .

آرنولـــد : (يدخل) : جاء مزيّنك ، ياسيد بوبل .

السيد بوبـــل : ما هذه اللغة ، يا آرنولد

آرنولـــد : انه الحـــلاّق . .

السيد بوبـــل : تعبير أفضل ! لينتظر . (يخاطب مـــن جديد العذراء) سأنتظركِ الحياة كلّها .في أسفل السلّم ، يامريم ، وستأخذينى ذات يوم إلى ملكوت الله . . .ثم إلى غرفتكِ . (يلتفت ويعرف ان آرنولد حاضر) — (سمعتَ كلّ شىء ؟

آرنولـــد : . . .

السيد بوبـــل : (مازحا) : أصبحتَ تسترقُ السّمع ؟

آرنولـــد : (باسما) : سيد بوبل .

السيد بوبل : ياعزيزى آرنولد (يجلس) اجلس .

آرنولــد : (يظل واقــفا) . . .

السيد بوبــل : اجلس ، ياسيد آرنولد . (يجلس آرنولد متضايقاً) اقترب . (يقرّب آرنولد كرسيّه إلى كرسى السيد بوبل ، تفصل بينهمـــا طاولة) أتعرف لعبة الورق ؟

آرنولــد : كلا . وهى لعبة غبيّة .

السيد بوبــل : مخطئ . انها غالبا لعبة ذكية . اقول هـــذا لأننى لم أفكر مطلقاً ان العب معك بالور ق. والآن ، اسافر . .

(ينظر الى تمثال العذراء ، ويكتشف آرنولد نظرته)

آرنولــد : قل شيئاً آخــر . . .

السيد بوبــل : سمعتَ صلاةً لا يجوز تكرارها .

آرنولــد : انسَ ذلك . .

السيد بوبــل : عندى شيء مهمٌ جدًا أقوله لك ، يا آرنولد. هل تعرف « التريما نْدور » ؟

آرنولــد : (برصانة) : نعم . انه كتاب السيد بوبل ،

الدفتر الرمادىّ الصغير . . المتروبوليت نيقولا وصفه بانه أجمل الكتب . .

السيد بوبـــل : العزيز نيقولا . . حسنا . هذا افضل . قبل ان اذهب واترك كل شيء ، سأستودعـــك « التريماندور » .

(يناوله « التريماندور »)

آرنولـــد : تستودعني كتـــاب الحكمـــة ؛ فكَرك . « التريماندور » كتـــابُ علـــمٍ للأشخاص المتفوقين . المحبة والاحترام اللذان اكنهمـــا لك ، يا سيد بوبل ، لا يعوّضان عن المعرفة.

السيد بوبـــل : الحقيقة عِلمٌ طفولىّ . إنها في متناول الجميع. الحقيقة يا آرنولد ، قبّعة . إنها قُبّة الرأس . (ينهض ويضع على رأسه قبعته بأبهة) . « من يلبس قبّعةً لا بد أن يكون أكثَر صواباً من الآخرين لانه يرتكبُ سلَفاً ، خطيئةً ضـــدّ القمر والشمس . . » يقول « التريماندور » .

آرنولـــد : صحيح ، يا سيد . (يتصفح ويقرأ) « ليس الخيال فضيلةً . لكنّه بالأحرى تَكثير للأشياء البسيطة . . مثلا : سلّم يعقوب . » (بعـــد

لحظة تفكير) صحيح جدا ، يا سيد يقــرأ:
« صلّوا بهمس ، كمــا لو أنكّم فَقَدْتم
الصّوت . . »

السيد بوبـــل : أكمل ، يا آرنولـــد .

آرنولـــد : « ليس النّوم راحةً ومرتعاً لجسمنا وحسب. بل النّومُ كمــالُ الحياة كذلك ، لأنهممتلىءٌ أحلاماً ، ولا عُمرَله . . » (يضع السيد بوبل رأسه بين يديه ويبدو غارقا في تأمّل عميق . آرنولد يقرأ وينظر إليه) . « احذرالذكريات كما تحذر من ساعةٍ واقفة . »

السيد بوبـــل : « التريماندور » ، يا آرنولد ، وديعــة بين يديك . انت صديقى مثل المتروبوليت نيقولا. (بدهاء) لكنه يعرف لعبة الورق . . اعتن به عناية كبيرة ، لاتشوّه فكرى ، (مشدّداًعلى كل كلمة) واذا حدث شيء في «باولا سكالا» اثناء غيابى وكان عليك ان تقدّم نصيحةً ما، فارجع الى « التريماندور » .

آرنولـــد : كتاب الحكمة ، فكرك .

(آرنولد يستعد للخروج)

السيد بوبـــل	:	لحظة . . (ينهض ويناوله غلافا) هذاالغلاف
رنولـــد	:	نعم ، سيدى (يفتحه السيد بوبـــل) . . . يحوى مالا . .
السيد بوبـــل	:	من اجل الأبرياء . خُذْه يا آرنولد . .
آرنولـــد	:	حسن يا سيدى لا جل الفقراء . . تحرم نفسك كثيرا . لم تعد تملك شيئاً .
السيد بوبـــل	:	(محدثا نفسه) : من اجل الأبرياء . (كأنه في حلم . وبينما يتجه آرنولد صوب الباب) « الحزن عينٌ زرقاء : كعيون الجدّات . أعنى بلا شبّاب » يقول « التريماندور » .
آرنولـــد	:	(يحاول ان يفتح الباب : ثم يعدل ويلتفت نحو السيد بوبل) الحلاق مايزال ينتظر عند السـلم .
السيد بوبـــل	:	(بنبرة حزينة) : قل له ان يذهب . . ان يمضى ، أن يفعل مثلى (بهدوء مفاجئ) اعتذرْ له ، فالوقت أصبحَ ضيقاً أود ان أتحدّث مع ربيبى .
آرنولـــد	:	السيد ميشال خارج البيت .
السيد بوبـــل	:	وجوان ، ابن اختى هل هو هنا ؟

آرنولــد : لار بيبك ولا ابن اختك ياسيد بوبل . ذهبا الى شاطئ البحر .

السيد بوبــل : لكن البحر بعيــدٌ جدا . .

آرنولــد : قالا انهما يرغبان في رؤية أمواج البحــــر (بانفعال) هذا يتعلّق برحيلك كما أظن . يرافقها كونستان وكوريا .

السيد بوبــل : عجيب . . والآنســة فيســيل ؟

آرنولــد : لم يرغبوا في اصطحابها معهم ، لانها نحيلة جدا . قالوا ان ذهابها سيُرهقُها .

السيد بوبــل : ياللفكرة . فيسيل فتاة ساحرة ، لاوزنَ لها. انها فُقَاعة . (يتحدث مع نفسه) ذهبوا ليروا أمواج البحر . . ما أعظَم تأثّرى . .

(يخرج السيدبوبل يتبعه آرنولد)

المشهد الثالث

(آرثر ، البيطرى ، ثم ارنولد ، فريدريك ، الساعي ، كوبي ، والصغير بليز ، والام الكسندرين)

(يدخل آرثر والبيطرى يتحدثان)

آرثر : بُمّ . . بُمّ . .

البيطرى : كنت أدق . .

آرثــر : كنتَ تدقّ ؟ بُمّ . . بُمّ

البيــطرى : وفجأةً الحبر – السيد بوبل يسافر في باخرة – جعلنى أترك العمل . .

آرثــر : خسارة . . بُمّ . . بُمّ . . كنتَ تــدقّ الحديد . انا كنت أقرأ . .

البيــطرى : (باحــترام) : كنت تقرأ ؟

آرثــر : (بصوتٍ عال) . . كنت أمثّل القراءة . . – أمشى فى البرّية مع صوتى حين فاجأنى . .

(يدخل في هذه اللحظة آرنولد ، مستعجلاً)

البيــطرى : صباح الخير . آرنولد . .

آرنولــد : اجلسا ، أيها الســيدان .

(يخرج بسرعة قنينة حبر وريشـــة)

آرثــر : (بعد صمت قصــير) : رأيتَ ؟

البيــطرى : مــاذا ؟

آرثــر : (بغموض) : قنينــة الحبر .

البيــطرى : ماذا تعنى ؟

آرثـــر : هذا أمر خطير !

البيـــطرى : لمـــاذا ؟

آرثـــر : ألا تفهم ؟ السيد بوبل يريد أن يكتب .

البيـــطرى : طيب ؟

آرثـــر : الكتابة قبل السّفر تكون دائماً خطيرة .

(يسمع قرب الباب صوت رجـــل يتمتم ، يدخل فريديريك القهقرى وهو يتحدث مع نفسه .)

فريدريك : غريب ! الأشجار صُفْرٌ ، والسماء زرقاء ، وميزان الحرارة ثابت ، والطقس متحوّل . . ودرجة الرطوبة أربعون . . (يلمح البيطرى والمعلم .) عجباً ، أنتما هنا . كدت ان أمرّ وأخبركما لنجيء معاً . غريب ! (يجلـــس) انني ادخل الصفّ . . (بعد فترة) سيسافر السيد بوبل . هذا حدث ، اليس كذلك يـــا معلم ؟ . .

البيـــطرى : كنتَ في الصيدلية ؟

فريدريك : طردتُ كلّ شيء ، القنانى ، التقطير . .

آرثــر : هزّك هذا الخبر كالقمقم . . .

فريدريك : (بنبرة خطابية) : يسافر للتجارة ، وعيناه مصيبتان . غريب . . غريب !

آرثــر : أوه ، لهذا الهوَس . . .

فريدريك : شبح الرجل مسحور . . أليس كذلك ، يـا معلم ؟

البيــطرى : (ليقول شيئا ما) : جيّد .

فريدريك : انت هنا منذ وقت طويل ؟

البيــطرى : قبلك . ببضعة أمتار .

آرثــر : ننتظر السيد بوبــل .

فريدريك : تنتظرون السيد بوبل في بيت السيد بوبل ؟ غريب !

آرثــر : (منزعجا) : ننتظر السيد بوبل في بيته ، لا في كهف ، ما هو الغريب ؟

فريدريك : أنتَ ، ايها الشاب !

آرثــر : ؟ . . .

فريدريك : منذ وقت طويل اراقبك ، أنظّفك من بعيد.: أداعِبُ سجلّك الذّهنيّ . . .ألتفّ حولك..

آرثــر : اوه . .

فريدريك : غريب ! حواسّك أيها الشاب ملتهبـــة ، وخطوتك مضحكة . . تقرأ حِكما ، في الليل ، بحنجرة من نوع خاص . النّباتات المعرشــة تزعجك وخصوصا اللبلاب . رآك بعضهم مرةً تضرب بالعصا هذه النباتات المرهفَـة ضرباً مبرّحا . أنت مغطىّ بالتشنجات ! هل قلت حواسك ملتهبة ! من حسن الحــظ أن «باولا سكالا» ملائمة للصحة . وليس فيها إلاّ بضعة تيوس . وحين تدير الشموس الكبيرة ظهرها للظــل تحرسنا الكواكب الطيبة ! . ها . . ها . . ها . . أراقبك يا سيدى المعلّم ، ولم ينته الأمر . . .

آرثــر : أنا ملتهب ؟ أضرب الأزهار في الحدائق — ولم ينته الأمر ! .

فريدريك : تماماً ، لم ينته . . أصغ جيداً ، فهذا موجه إلى الأشخاص من نوعك : « يخطئْ — التلامذة حين يكتبون اسم استاذهم بحــرف كبير ودون خطأ في الكتابة » يقول الّريماندور

آرثـــر : هل تسمح أيها البيطار ما يقول لى ؟
فريدريك : ولم ينته الأمر . .
آرثـــر : تسمع ؟
فريدريك : ليس هذا كل شيء . . .
آرثـــر : تسمع كلامه ؟
البيـــطرى : آه أنا رأيي كرأيك !
فريدريك : « التريماندور » يدينكما . .
آرثـــر : (مرهقًا) : صحيح ؟
فريدريك : نعم . ياسيد . « التريماندور » !

(صمت قصـــير)

البيـــطرى : جـــيد . .

(يسمع في هذه اللحظة غناء : « ريرى ، بيريبى ، رى رى رى » ، غناء الساعى الذى يصل) .

الساعى : رسائل من الولايات المجتمعة ، من ألمانيا ، من الباراغوو . . .

(يظهر الساعى ، سكران قليلا) .

فريدريك : (بقسوة) : ماذا كنتَ تقول ، ياساعي الحقول ؟

الساعي : رسائل لباولا سكالا ، من المانيا ، من الولايات – المجتمعة ، من الباراغوو . .

فريدريك : باراغوو ؟

آرثر : (راغباً في أن يكون لطيفا مع الصيدلي) : هذا خطأ .

فريدريك : طبعاً . وماذا تقول هذه الرسالة الآتية من باراغوو ؟

الساعي : (بسذاجة) : جئتُ للوداع ، لا لتوزيع الرسائل .

فريدريك : اذن ، اخرس (يدخل المزارع كوبي – يمسك ابنه بيده) كوبّي !

البيطري : والصغير بليز !

فريدريك : الاب والابن ، دائماً معا . . .

آرثر : (الى فريدريك ، بسخرية) : هذا طبيعي.

كوبيّ : أحضرت ابني لرؤية السيد بوبل .

فريدريك : أفسحوا له مكاناً ، تعال ياكوبيّ الصغير . .

(تدخل الام الكسندرين ، امرأة ضخمة وتريد ان تظهر كامرأة ذات أهمية) .

الأم الكسندرين : غود مورننغ !

البيـــطرى : ماذا ؟ ماهذا ؟

الساعى : من تكلم هكذا ؟

كـــوبّى : ماذا قالت ؟

الأم الكسندرين : (بأبهّة) : قلت صباح الخير لكم جميعا . .

آرثـــر : (لجاره) : لاتلتفت اليها . هذه المرأة — طاعـــون .

الســـاعى : تحب كثيرا أن تلفتَ اليها الأنظار . .

الأم الكسندرين : (تجلس قرب فريدريك) : كيف حالك ، ياعزيزى ؟

فريدريك : أشكركِ ، ايتها الأم الكسندرين ، صحتى دقيقة ونظام حياتى دقيق كذلك . .

آرثـــر : (منزعجـــا) : أوه !

فريدريك : (بعد صمت قصير) : غريب ! انــت امرأة وتتكلمين الانكليزية ؟

الام الكسندرين : (بتواضع) : أتطــور . .

آرثــر : عجـيب !

فريدريك : ماذا تقول ، ايها المعلم ؟

آرثــر : لاشيء .

فريدريك : لماذا اذن توشوش باستمرار ، وتتكلم داخل لسانك ؟

آرثــر : أحسن لغتي ! (لنفسه) غريب !

البيــطرى : (بأبوة للمعلم) : لماذا لاتهدأ ، حقيقة ؟

آرثــر : أنا حيوى . وأحتقر الخمول .

الصغير كوبي : ألن أرى اذن السيد بوبل ؟

المــزارع : انتظــر يابليز . . .

الصغير كوبي : هل سـيأتي ؟

آرثــر : كلنا كما ترى ننتظر السيد بوبل . فهوآت . .

فريدريك : غريب ! ماأقوى الأطفال ! لهم من الزهر الشوك ومن الحروف ، القرن . إنهم عنيدون ولاذعون . ألاترى ذلك ، ايها المعلم ؟

آرثـــر : الأطفال . بالنسبة إليّ . أيها الصيدلي ليسوا الا تلامذة . وحلمي هو أي اجعلهـــم كهربائيّين سأوضح . .

(في هذه اللحظة تطلق الام الكسندرين تنهّدا كبيرا وتتظاهر بانه أغمى عليها . تتوقــف المحادثة وينظر اليها الجميع) . .

الام الكسندرين : أوه . . .

آرثـــر : ؟ . . .

فريدريك : ؟ . . .

البيـــطرى : ؟ . . .

المــزارع : ؟ . . . .

الســاعى : ؟ . . . .

الام الكسندرين : (مسرورة لأنها لفتت اليها الانظار) . — أختنق !

فريدريك : هاتوا ماء . . .

البيـــطرى : هواء . . .

المــزارع : سماء . . .

آرثــر : نحتاج الى تدليك .. يجب دعكهــا !

الســاعى : صحيح .. يجب فَرْكُهــا !

الأم الكسندرين : لا .. لا .. أصعد ، أتَنشّــط ..

الســاعى : عجّلــوا سُنُدّ لِكك .

الأم الكسندرين : أصعـــد !

فريدريك : (منحنيا فوق الكسندرين) : هل وصلتِ الى السطح ، يا ألكسندرين ؟

الأم الكسندرين : وصلت ..

فريدريك : الحمد لله ! لا تقلقوا .. (الى المعلم) كنــا نتحدث عن تربية الاطفال ، كما أظنّ ..

آرثــر : تمامــا ..

فريدريك : وكنت تقول إن من الواجب كَهْرَبَة الشباب؟

آرثــر : ليس تماماً ، كنت أدافع ..

الأم الكسندرين : (تطلق من جديد تنّهدا مربعا) : أوه .. ه ....ه....

البيــطرى : عــادت ! .

فريدريك : ؟ ..

السـاعى : توقـفى !

آرثـر : ؟ . . .

المـزارع : ؟ . .

الأم الكسندرين : (بعاطفية واطمئنان) : حتى يجئ الخريف أنْشَقّ نصفين . .

فريدريك : غريب ! حسناً قلتِ : نصفين ! فهذا يعنى بالضرورة من الفخذين !

آرثـر : لم يكن ينقص غير هذا . كيف لو سمعهـا أحـد . . .

السـاعى : (الى المعلم) : كان . . يجب تدليكها !

(يدخل آرنولد ويتوجّه صوب المكتبـة ، يبدو منهمكا ومستعجلا يتناول كتبا باحجام كبيرة ويتصفحها ، الجميع ينظرون اليه) .

آرنولـد : (بصوت منخفض وهو يتصفح الكتب) : ملخّص عام . . لمحة عامة . . أحكام عامة . . آه . . الوصايا . . البند المتعلّق بالموت ، يا الهى . .

(يأخذ الكتاب ويستعد للخروج)

فريدريك : (يوقف آرنولد) : ماذا يجرى ؟ وجهك أصفر ..

آرنولد : مشوّش الفكر !

(يوشوش الصيدلى)

فريدريك : في هذه اللحظة ؟

(آرنولد يخرج)

آرثر : ماذر جرى ؟

فريدريك : (بأبهّة) : السيد بوبل يكتب وصيته . يوصى

آرثر : يوصى ؟

الساعى : ماذا يفعل ؟

فريدريك : يوصى ..

الأم الكسندرين : (لم تفهم) : في عمره !

آرثر : بلا بذاءة ، يا أم الكسندرين ، لا يرضع ، بل يوصى . يكتب وصيته .

الساعى : يكتب وصيته ، يا الكسندرين .. ألم تفهمى !

آرثر : (مخاطبا البيطرى) : رأيت ! قنيّنة الحبر !

البيطرى : صحيح ..

آرثـــر : (مسرورا) : انا حيوى

فريدريك : (بأبهة) : السيد بوبل يفكـّر في الموت . .
(بقسوة . الى المعلم) . . وأنتَ حيوىّ

البيـــطرى : يكتب بيده اليمنى آخر رغباته . يُعطى !

فريدريك : وأنتَ حـــيوىّ !

آرثـــر : أخطأت خطيئة لاتغتفر . يجب أن نخشع .
هل تستطيعين . يا ألكسندرين . أن تخشعى

(قبول عام)

فريدريك : لنبدأ .

(صمت طويل)

الصغير بليز : (مخاطبا والده) : أريد ان ابول . . .

فريدريك : غريب ما أكثر النّشاز الذى يلازم قوانـــين
الطبيعة . . (يشير الى الساعى) أيها الساعى
(يخرج الساعى والصّغير بايز . يعودان
بسرعـــــة)

الأم الكسندرين : لِنخشـــع !

(صمت)

فريدريك : (بصوت منخفض جدا) : الموت . . —
ليصمت الناس الذين لهم ألسنة وآذان جافة
كالتين وليستمعوا إلىّ . . .

آرثــر : تغــير صوته العادىّ . . غريب . .

فريدريك : في الليل حين تكون الظلال عريضةً أكثر
منها طويلة ويكون في العتمةِ ماءٌ . . .

الســاعى : (مقاطعا) : في الليل . الظلال طويلة . . .

فريدريك : . . . وفي الشجر كلامٌ ، أفكّر فيه !

الكسندرين : لكن ، من هو ؟

آرثــر : الموت ، ياالكسندرين ؟

الكسندرين : كلام . .

فريدريك : أركض الى صيدليتى ، أغلق بابها علىّ ، —
ليكون تأملّى أكثر عمقاً ولكى أفاجئه ،
وأملأ الظلام ضحكا « ها ها ها ! ها ها !
تقدّم . تقدم . . تعالَ أيها الوجه الهرم . .
فلا أحد هنا يساعدنى . . . » وها هو فجأةً
يقرع الباب في خزانة السّموم . حينئذ أفتح
له البابَ ، فيقفز إلى الأرض وأسمع ورائى

أجراسه اللّبْدّية الصّغيرة وخطوات عصاه الكبيرة . . . ثيابه بيضاء ويحمل في يده . . .

ألكسندرين : (مقاطعة) : سـيفاً !

المزارع : منجلاً ، يا الكسندرين .

آرثـر : (لنفسه) : الموت ؟ ما من إنسان استطاع أن يراه ...

المـزارع : اخرجي ياالكسندرين هذا حديث ليس للنسـاء . .

الكسندرين : اوه أبداً . سأبقى .

فريدريك : (مكملا) : له رأس صبّى صغير . .ويطير حاملا مروحة !

الكسندرين : مـلاك !

فريدريك : يصيد العصافير وهى طائرة . .

آرثـر : يمتص الأعـين . .

السـاعى : (باصقا) : العذراء ذات الجرذان !

آرثـر : لكن العذراء ذات الجرذان . تعبد الزهور .

البيـطرى : كفى تشدقا . إنه أحيانا رائعٌ للعمال المرمين..

المزارع كوبي : وهو رائع لنا ، ايها البيطرى . .

آرثـــر : رائحته لا تطاق . . ما أحلى الموت لولا رائحته.

فريدريك : اخرسوا . انه شيء جميل جدا ونظيف. .

الكسندرين : من أجل العمال الطيبين . .

فريدريك : يبارك دائما عائلتهم التي تبقى . .

الكسندرين : (بصوت منخفض) : آمين . .

الســاعى : (ينهض فجأة وينفجر ضحكا) : ها ها ها ها ها . . ها ها ها ها . .

(يشير باصبعه الى الكسندرين) الكسندرين في تابوت . . . تصوروا ! ها ها ها ! .

الكسندرين : ماذا ؟

فريدريك : (مهددا) : ايها الساعى . .

المـــزارع : ســـكران .

الســاعى : (فجأة يصبح وقــورا هادئا ، يشـــير الى الكسندرين) : لا أضحك منك . . أضحك لانى خائف ! (يستأنف ضحكه بأعـــلى ما يقـــدر) . .

ها ها ها ها ها . . ها ها ها ها . . . ها ها ها
. . ها ها ها ها ها !

. . ألكسندرين تي . . . بشعرها الملفـــوف
كالكعكة ! . .

الكسندرين : ؟ . . .

فريدريك : احترم الكسندرين !

الكسندرين : حفار قبور !

آرتـــر : (لنفسه . شاعراً برغبته في الضحك) : هذا
مضحك . بالفعل . . . ها ها ها ها ها . . .
ها ها ها ها . . . . ها ها ها ها . .

(يضحك لكن برصانة اكثر من الساعى) . .

الســـاعى : الصيدلي في تابوت . . رغم الكينا . . . ها
ها ها ها . . ها ها ها ها . .

آرثــر : ها ها ها ها . . ها ها ها ها .

فريدريك : هل هو سكران ؟

البيـــطرى : يكفي هذا . يكفي (مشيرا الى الصغير بلير)
معنا هنا طفل صغير . .

الســاعى : (وقور وهادئ فجاة) : أصرخ، لأنني خائف !

آرثــر : (جاهدا الا يعود الى الضحك) . . يكــفى . انتهى . اسكتْ يا ساعى .

الكسندرين : (تنهض وتصفع المعلم) : أنت !

الســاعى : هُــوبْ

(يجلس مُتَضائلاً)

البيــطرى : طرق الحديد ، بُمّ ، بُمّ !

فريدريك : الكسندرين ، أنت فارسة !

آرثــر : في بيت السيد بوبل . .

(يخرج ، يتبعه الساعى)

فريدريك : كشفته منذ عهد طويل . . غريب ! غريب !

(صمت قصير)

البيــطرى : يجب أن نذهب .

المزارع كوبى : لنذهب . سأوضح الأمر لآرنولــد .

الكسندرين : (ممسكة بيد الصغير بلير) : الى الأمام أيها الطّبل الصغير !

(يخرج الجميع بالتتابع)

المشهد الرابع

(السيد بوبل ، ثم آرنولد)

السيد بوبل : قيل كلام كثير في هذه الغرفة . هنا ، — ، هناك . . . مـــاتزال عبارات تتجرجــر على الأرض يجب كَنْسُها . . (ينظر الى السقف . بتأثر مفاجئ) ألمح كلمة لطفل . . تحاول أن تطير . . سأفتح النافذة . . (— يدخل آرنولد) يجب ان تكنس هذه الغرفة يا آرنولد ، وتفتح النافذة من أجل الطفل . .

آرنولــد : أى طفل ؟ الصغير بليز ذهب . .

السيد بوبل : يجب أن تفتح النوافذ لكلمة الطفــل . .

ارنولــد : سأفتح النافذة ، يا سيد بوبل وسأكنــس كالعادة . . (بعد فترة) في البيت فنانون يريدون رؤيتك . . .

السيد بوبل : ؟ . . .

آرنولــد : موسيقيان

السيد بوبل : موسيقيون ؟

آرنولــد : كلا . يا سيد بوبل . (مشيرا باصبعيه)

أثنان . . واحد وواحد . جوليو وجول . . موسيقيـــان .

السيد بوبل : جوليو وجول ؟

آرنولـــد : لطيفان جدا . سبق ان جاءا عدة مرات . انهما اجنبيان يطوفان القرى . يرغبان في تحيتـــك .

السيد بوبل : (بغموض) : ليدخلا .

آرنولـــد : حالاً . سأناديهما . قال الكبير إنه سيذهب ليبحث عن صمغ البطم

السيد بوبل : ليدخلا

(يخرج)

المشهد الخامس

(السيد بوبل ، ارنولد ، جوليو ، وجول)

آرنولـــد : (فاتحا الباب) : تعالا !

(يدخل شابان يحمل أحدهما كماناً والآخر أكرديوناً ، يجلس كلّ منهما على كرسيّ دون أن يتفوها بكلمة ويعدّان آلتيهما . تلفت الأنغام انتباه السيد بوبل ، فيتوقف

على العتبة ، ثم يدخل . ينهض جوليو وجول ويحييانه بانحناءة من رأسيهما) .

السيد بوبل : (يرد التحية) : ايها الشابّان . . .

(يجلس قبالتهما . يقف آرنولد وراء السيد بوبل)

آرنولـــد : موســـيقى . . .

(يعزف جوليو وجول حوالى دقيقة ونصف الدقيقة . يتناول آرنولـــد خفية منديلا . ويأخذ بالبكاء . يبقى السيد بوبل دون تأثر . بعد أن تنتهى المعزوفة يخـــرج العازفان) .

جوليووجول : (معاً) آنى آفولتا

آرنولـــد : ؟ . . .

السيد بوبـــل : انهما برتغاليان . مجاوران لاسبانيا .

آرنولـــد : كانت حفلة فاتنة . . .

السيد بوبـــل : اتصال ساحر . . . جوليو وجول .

(يخرج السيد بوبل . يستأنف آرنولد عمله

المشهد السادس

(آرنولد ، ثم ميشال ، جوان ، كونستان ، كوريا ، وفيسيل)

آرنولـــد : الأخفاف . . لنر الأخفافَ من جديد . ربما يجب اختصارها . مستحيل! الشيء الوحيـــد الذى لا يجوز لى لمسُه . قال السيد بوبل : انها الهدوء والصفاء .

(يدخل ميشال . جوان ، كونستان ، كوريا وفيسيل . يتكلمون جميعهم في آن واحد ويحيطون بآرنولد الذى يتابع ترتيب الأخفاف جاثيا على ركبتيه)

ميشـــال : آرنولـــد ؟

جـــوان : أجِبْ ، يا آرنولـــد .

كـــوريا : لكن أين هو ؟ لا أراه .

جـــوان : ماذا تفعل يا آرنولـــد ؟

كـــوريا : (تلمحه أخيرا من وراء كتف ميشال ، جاثيا على ركبتيه (: آه إنه يصلّى !

آرنولـــد : كلاّ . كلاّ . . أرتّب الأخفاف.

ميشـــال : مسكين يا آرنولـــد

آرنولــد : (ناهضاً) : آه . . أنتم هنا السيد بوبل، كما تعرفون ، طلب أن يراكم .

ميشــال : طبعاً ، يا آرنولد ، أحسنت التعبير عنّا ؟...

آرنولــد : بالتأكيــد .

ميشــال : ؟ . . .

آرنولــد : تأثّر جــداً .

جــوان : أين عمى ؟

آرنولــد : (حزيناً) : في غرفته .

ميشــال : (بقلق مفاجىء) : يكتب ؟

آرنولــد : يكتب ، يا سيد ميشال ! (مطمئنــا) الكتابة ياسيد ميشال ليست فألاً ، بل بركة .. (يلمح فجأة فيسيل) الآنسة فيسيل هنا ؟

فيسـيل : طبعاً ! كنت معهم في سيارة الوكيل ادوارد.

آرنولــد : ماذا ؟ أوصلكم ! ألم يتعبه ذلك ؟

جــوان : كونستان هو الذى أوصل فيسيل لكى تمسك له قبّعته ، كانت الريح قويّة .

آرنولــد : (بنبرة توبيخ) : السيد كونستان . . .

كونستان : مسألة بسيطة ، يا آرنولد .

فيسيـــل : رأينا أمواجَ البحر .

آرنولـــد : أخبروني ، عجلوا .

كـــوريا : أوه . لم نر شيئا أبداً . كنا بعيدين جدا .

كونستان : رأينا البحر ، ياكوريا . حتى أن جوان سمعه.

جـــوان : وميشال كذلك . أليس صحيحا ، يا ميشال ؟

ميشـــال : إي أنَّ أذنيّ كانتا تدويان . . كنت كأنني أسمع الآف الاصوات الحزينة .

كـــوريا : وأنا كذلك . . لكن كنت أسمع الصمت .

جـــوان : الصمت يا عزيزتي كوريا شيء آخر غير الآف الاصوات الحزينة . . .

آرنولـــد : طيب . طيب . . هل ذهبتم إلى شاطىء البحر . نعم أم لا ؟

كـــوريا : لا .

جـــوان : نعم !

ميشـــال : انا من رأي كوريا . سأوضح لك يا آرنولد . رأينا البحر . . من بعيد . .

فيسيـــل : هذا كله بسبب المضخّـــة ..

آرنولـــد : سيارة الوكيل ادوارد؟ . . . لم تَسِرْ ؟ . . .

كـــوريا : سارَتْ ! وفي البداية طارت !

ميشـــال : لم يكن هناك من يستطيع اللحاق بنا غير العصافير .

فيسيـــل : كانت الريح تبلّل أنفـــي . .

آرنولـــد : وبعد ذلك ؟

كـــوريا : صارت السيارة أرجوحة . .

آرنولـــد : لم تعد تتقدم ؟

كـــوريا : لم تعد تتحرك .

فيسيـــل : حينذاك شتمَتْ كوريا ادوارد . .

كـــوريا : بقينا على الطريق . .

آرنولـــد : ولم تفعلوا شيئا ؟

كـــوريا : فعلنا ، يا آرنولد ! صرخت ، ناديت . . .

فيسيـــل : لم يكن هناك حتى صدىً . . .

كـــوريا : لم يكن هناك أحد . .

آرنولـــد : اذن ، كيف رأيتم البحر ؟

كـــوريا : من بعيد . . اذ تَسلّقْنا شجرة . أراد كونستان أن يعلّق قبعّته ليلفت النّظر .

آرنولـــد : ارني قبعتك ياسيد كونستان .

كونستان : في البهو . . سأجلبها .

آرنولد : لا داعي لذلك . . اتركوني في عملي ، أرجوكم . (يستأنف عمله متذمّرا) وعدتموني جميعاً بأن تذهبوا لرؤية أمواج البحر ، لا أن تتسلقوا الأشجار . .

ميشـــال : لا تغضب يا آرنولد . ليس هذا خطأنا .

فيســـيل : إنّه خطأ الســـيّارة !

آرنولـــد : تماماً في الاعتدال ! . . ولم يشاهدوا الموج !

كـــوريا : ها هو السيد بوبل !

آرنولـــد : بسبب المضحكَة . . .

المشهد السابع

(الاشخاص انفسهم ، والسيد بوبل)

السيد بوبل : (سعيداً) : أنتم كثيرون يا أبنائي . . (يلاحظ اكتئابهم) ما بكم ؟

كوريا : لاشيء . عائدون من النزهة ، يا سيد بوبل .

آرنولد : (متابعا فكرته المتساءلة) . . . بسبب المضحكة

السيد بوبل : ماذا تقول يا آرنولد ؟

آرنولد : أتحدث مع الحقائب .

(صمت قصير)

السيد بوبل : سأودعكم . . اقترب ، ميشال .

كوريا : سننتظرك ، يا سيد بوبل . في الباب ، مع الجميع . اقترب ، يا ميشال .

(تخرج كوريا وفيسيل وكونستان وآرنولد يستعد جوان للخروج) .

المشهد الثامن

(السيد بوبل ، جوان ، ميشال)

السيد بوبل : ابق معنا يا جوان .

جوان : كما تريد يا عمي .

السيد بوبل : (يقف في مواجهة ميشال . في حين يقف جوان وراءهما ببضع خطوات)

انظر إليّ يا ميشال . . لا تحنِ رأسك هكذا

.. تبكى ؟ لا شيء يدعو البكاء . فأنــا لا أهجركم الى الأبــد ..

ميشــال : ...

جــوان : صحيح ، ياعمّى .

السيد بوبــل : أعطنى يديك يا ميشال .. (يمسك يدى ميشال بكلتا يديه) ويديك ياجوان (لايمسك يدى جوان) انا لا أهجركم إلى الابد . .ياميشال.

ميشــال : ...

جــوان : هذا اكيد ، يا عمى ..

السيد بوبــل : لا تريد ان تقول لى شيئا .. لا تريــــد أن تكلّمنى ؟ الحق معك يا ميشال .. فَكّرِ فيّ.

ميشــال : ...

جــوان : كل يوم ، ياعمّى ..

السيد بوبــل : ليكن هكذا .. في النهار ، أو في الأحلام .. وداعاً . (يعانق ميشال) وانت كذلك ، ياجــوان .

(لا يعانق جــوان)

ميشـــال : ...

جـــوان : شكرا ، يا عمى

(يخرج ميشال وجوان . ينظر اليهما السيد بوبل طويلا وهما يخرجان)

المشهد التاسع

(السيد بوبل ، آرنولد ، اكسيلسيور)

(يدخل آرنولد ويشرع في نقل الحقائب . يضعها تباعا عند العتبة) .

السيد بوبل : آرنولد ، أحب أن أرى اكسيلسيور .

آرنولـــد : سأبحث عنـــه .

(يعود بعد لحظة جاراً كلب السيد بوبل)

آرنولـــد : (كأنه يقدمه) : اكسيلسيور !

(يخرج آرنولـــد)

السيد بوبل : (بعد صمت قصير) : اكسيلسيور ..هل تعرف الأوراق الميتة . والغيوم والرمـــل الأبيض الذى يسمّى غبارا ؟ تعال (يداعب رأسه) هذه التجاعيد الغبية الوديعة : —

وعيناك هاتان الفقاعتان من الحبر . . . تقدّم
اكسيلسيور . . (ينحنى ويحتضن اكسيلسيور
لك رائحة النّاسك ، والدانتيلا العتيقة ،
والكلب ، ياكلبي . . ألاتفهم ؟ سأسافر...
عُينت مديراً لجزيرة (مليئا بالمرارة) —
أسافر من أجل نماذج ! قريبا تصبح المنازل
في «باولا سكالا» كبيرة كبيتك، وأنا بعيد
. . . . في غبار الطريق . . .

آرنولد : (وهو يدخل) : أى في عربة جميلة .

السيد بوبل : (يستمر في مخاطبة كلبه) : ألم تفهم بعد؟
قلبي ينفطر . . .

آرنولد : (ينحنى على أذن سيده ، كأنه يخاف أن
يسمعه اكسيلسيور) : ينتظرونك ياسيد
بوبل .

السيد بوبل : وداعاً ، اكسيلسيور . لم اقدر ان أكلّمك.

(يخرج ، ووراءه آرنولد جاراً الكلب من
طوقه . .)

المشهد العاشر

(يبقى المسرح فارغا . فى الخارج ضجيج واصوات مختلطة لاشخاص يودعون مسافرا . محادثات غير مفهومة . تسمع بين وآخر هذه العبارات :)

صـوت : بقيت حقيبـة . . .

صوت آخر : (قوى) : زيحى من هنا يا الكسندرين . . تسدّين كل منفذ . . .

الكسندرين : (صارخة) : لم يأخذ معه الكلب . . .

صوت : أنزلوا الكلب . . .

فريديريك : غريب . . .

الحادى عشر

ميشال ، كوريا

(يدخل ميشال باكيا تتبعه كوريا)

كـوريا : ميشال . . . لماذا تبكى ، يا ميشال ؟ لست تحت نخلة في وحدة البرارى أنت في بيتك . . لم تُهْمَلْ .

ميشـال : اتركيني .

كـوريا : أتركك . لكن الدمع يغطى يديك . . . وفي صوتك ماء . لماذا هذه الحسرة ؟

ميشـال : لم تعد روحى معى .

كـوريا : هَدِّئْ من روعك ، يا ميشال . تقول كلماتٍ ثقيلةً عليك جدا . . السيد بوبل سافر وسيعود . . الأرضُ كرويّة ، ياميشال

ميشـال : كوريا . . . كوريا ، إنه أبى !

كـوريا : أرجوك ، استعد رباطة جأشِك . لستَ تحت نخلة ، في كوخٍ من الورق . . . انت في بيتك يا ميشال . لم يتغيّر شيء . . انظر حولك

ميشـال : ولىّ أمرى . . .

كـوريا : الحقيقة لا أعرف ماذا اقول لك . هل يجب علىّ أن أحضنك ، أن ألامسك مثل هذه المدالية التى أحملها في عنقى ؟ هل ينبغى ان أنفخ على عينيك كما يُنْفَخُ على الجرح ، لأشفيك ؟ أو أتركك وحدك تبكى . . .

ميشـال : (بهدوء) : اخرجى . . .

(تسمع في الشارع ضجة عالية : هتافات ، فرقعات سياط ، هدير عربات تنطلق، الخ..)

كـــوريا : ينطلقون !

(يركض ميشال الى النافذة تتبعه كوريا)

ميشـــال : وداعاً . . ليحرسك فَلاَّحُو الجنّة .. .يا أبي

كـــوريا : وداعـــاً . . .

ميشـــال : السيد بوبل !

ستـــار

★★★

الفصل الثاني

(عند المتروبرليت نيقولا)

المشهد الأول

(المتروبوليت نيقولا ، آرنولد)

(قاعة أسقفية شرقية . مكتبة . في — اقصى القاعة تتدلى على الجدار صورة فوتوغرافية كبيرة للسيد بوبل . وعلى احدى الطاولات شمعة مشتعلة أمام — أيقونة. عندما يرفع الستار يشاهد المتروبوليت نيقولا وآرنولد يلعبان الورق .)

آرنولـــد : الملك . . . (بحزن) إنّ مصير ملكي يقلقني

المتروبوليت نيقولا : أسرع في اللعب ، يا آرنولد . .

آرنولـــد : تنسى ، يا مونسينيور ، أنّني مبتدىء .

المتروبوليت نيقولا : أنت ، يا آرنولد ، مبتدئٌ فريد . لـــك ميلٌ وطريقة . .

آرنولـد : (حالما) : ألعب من اجل مثل أعلى . . .

المتروبوليت نيقولا : أسرع ، آرنولد، ارمِ هذه الورقة . .

آرنولـد : مونسينيور ، هذه ملكى . .

المتروبوليت نيقولا : لاتَهمْ به الى هذه الدرجة . ليس هذا الا الا تمريناً .

آرنولـد : انه السابع عشر ، بعد سفر السيد بوبل (يرمى ورقة) خذْ ! .

المتروبوليت نيقولا : عليّ أن افكّر . . يجب ان أوازنَ بين الدّليل وعكسه . .

آرنولـد : انا في انتظارك ، يامونسنيور .

المتروبوليت نيقولا : حسناً ، يا آرنولد . اسمح لى أوازنْ . . (بعد فترة قصيرة . آرنولد يغمض عينيه) تنام ؟ . .

آرنولـد : أطبقت عينيّ لاسليّهما . .

المتروبوليت نيقولا : لم ألعب بعد . .

(تمر فترة قصيرة . آرنولد يغمض عينيه ثانية)

المتروبوليت نيقولا : (كما لو أنه يتحدث بصوت منخفض) : ألاترى ؟ لم يعد لآرنولد عينان . .

آرنولـــد : (يفتح فجأة عينيه) : لاتقل هذا . تخيفني . يامونسنيور . .

المتروبوليت نيقولا : اذن ، انظر . .

آرنولـــد : الواقع انه من الافضل قبل كل شيء . . أن أرى .

المتروبوليت نيقولا : أخـــيرا . . .

آرنولـــد : (مكررا لنفسه) في لعبة الورق ، تلـــزم المهارة اولا . والصّبر ثانياً ، والالهام ثالثاً

المتروبوليت نيقولا : المهارة أولاً . (يخاطب آرنولد) هذه ـــ مبادئ رائعة ، ياآرنولد من علمك إياها ؟

آرنولـــد : السيد فريدريك . يعتقد أنه يجب أن نطّبق في لعبة الورق مبادئ التقطير ذاتها : المهارة أولاً ، الصبر ثانياً . . .

المتروبوليت نيقولا : حسناً ، ياآرنولد . أنت لاتسمح لي بالوقت الكافي لألعب .

ارنولـــد : الصبر .

المتروبوليت نيقولا : (آلياً) : الإلهام ، ثالثا . (يخاطب آرنولد) صحيح ، يا آرنولد .

(يرمي ورقـــة)

المتروبوليت نيقولا : انتهيت ؟ . . .

آرنولـــد : (يجمع الورق) : انتهيت . الملك يربـــح الملكة . غلبتك يامونسنيور !

المتروبوليت نيقولا : (ينهض ويمشي جيئةً وذهابا . ويتحـــدث همسا) : انه يدهشني !

آرنولـــد : ؟ . . .

المتروبوليت نيقولا : يدهشني أكثر فأكثر . .

آرنولـــد : ؟ . . .

المتروبوليت نيقولا : كيف نفسر كونه صار ماهراً في اللعب الى هذه الدرجة خلال فترة قصيرة ؟

آرنولـــد : من تعني يامونسنيور ؟

المتروبوليت نيقولا : لاتحاول أن تفهم ، يا آرنولد . أطفئ هـــذه الشمعة .

(آرنولد يطفئ الشمعة أمام الأيقونة التي تمثل قديسة ذات شعر أشقر) .

المتروبوليتنيقولا : أظن يا آرنولد أن الورق يحبّ . . .

آرنولـــد : نلعب من جديد ؟

المتروبوليتنيقولا : كلاّ .

آرنولـــد : سألعب بشكل أفضل ، يامونسينيور .

المتروبوليتنيقولا : لن نلعب من جديد ، يا سيد آرنولد ، لانك تلعب بمهارة . فهمت أخيراً ؟

آرنولـــد : هل صحيح ماتقوله ؟

المتروبوليتنيقولا : تربح دائماً ، يا عزيزى الطيّب ، لم يعد هذا تمريناً . بل أصبح عاراً !

آرنولـــد : (يتحدّث مـــع نفسه) : اذن ، استطيع ان العب مع السيد بوبل ؟

المتروبوليتنيقولا : السيد بوبل غائب . كيف يمكن ان تلعب معه؟

آرنولـــد : قبل سفره سألني : « هل تعرف لعبة الورق . يا آرنولد ؟ » انني العب من اجل مثالٍ أعلى .

المتروبوليتنيقولا : لم أستطيع أن أراه يوم رحيله بسبب الصّوم . .

آرنولـــد : كنتَ خائرَ القـــوى .

المتروبوليتنيقولا : كنت في نافذتي دون أن أغادر السّماء! (بعد

صمت قصير ، يربّت على كتف آرنولد)
إذن ، حين يعود يمكنك ان تلعب معه حتّى
الغلبة . . حان الوقت فرتب هذه الأوراق .
الآن يجيء المرشّحون للفضائل الآلهية .

(يذهب آرنولد الى الطاولة ليرتّب الورق ،
لكنه يؤجل ذلك ليساعد المتروبوليت بعد أن
رآه يستعد لارتداء ثيابه الرسمية)

المشهد الثاني

(المتروبوليت نيقولا ، ارنولد ، المرشحون : لوقا ، بيترول ،نيفون.)

(يُقرع الباب)

المتروبوليت نيقولا : افتح يا آرنولد الباب .

آرنولـــد : سيّدي المتروبوليت ، هؤلاء هم المرشّحون للفضائل الآلهية .

المتروبوليت نيقولا : هل يرتدون الثياب البنفسجيّة ؟

آرنولـــد : نعم .

المتروبوليت نيقولا : أدْخِلهم !

(يدخل لوقا وبيترول ونيفون . شعرهـــم

طويل ، ويرتدون ثيابا طويلة — بنفسجية اللون .)

آرنولـــد : (للمتروبوليت) سأتركُكم .

المتروبوليت نيقولا : على العكس . ستساعدنى ، فليس عنـــدى (آمرا) ثلاثة كراسى (آرنولد يضـــع ثلاثة كراسى وسط الغرفة) وكتابَ الأسئلة يا آرنولد .

آرنولـــد : (يناوله دفترا) : كتاب الأسئلة .

المتروبوليت نيقولا : جيّد نبدأ الآن . . .

(يجلس المتروبوليت ، ويجلس المرشحون قبالته)

المتروبوليت نيقولا : ستَـُدّون الملاحظات ، ياآرنولد .مستعد ؟

آرنولـــد : نعم ، مونسينيور نيقولا .

المتروبوليت نيقولا : نبدأ . .

(يتناول المتروبوليت نيقولا الصليب الذى يتدلىّ من عنقه في سلسلة ذهبية رائعة ، — ويضعه على شفتيه ، ويصفر فجأة بقـــو ة

شديدة . ينتفض لوقا وبيترّول ونيفـون، وينهضون .)

المتروبوليت نيقولا : (راضياً) : اكتب ، يا آرنولد : ردود فعل دينية فوريّة .

(يجلس لوقا وبيترّول ونيفون)

آرنولـد : كـتبت .

المتروبوليت نيقولا : (يتصفّح كتاب الأسئلة) كيف تقف في الكنيسة يانيفون ؟

نيفـون : أجثو في الكنيسة كما أجثو على ضفّة بحيرة..

المتروبوليت نيقولا : ممتاز . . (يخاطب بيترّول) أعطني تحديداً جيّداً لله .

بيـترّول : الله هو الكلمة الاكثر شيوعـاً .

المتروبوليت نيقولا : سجّل تحديدَ بيترّول ، يا آرنولد . وأنتَ يالوقا ، هل تعتبر أن النجوم شُعَلٌ — مسيحية ؟

لـوقا : حين تترامى في الماء . . .

المتروبوليت نيقولا : لماذا في الماء ، يالوقا ؟

لـوقا : لأنّ الماء فضّة الملائكـة .

المتروبوليت نيقولا : سجّل يا آرنولد .

آرنولـــد : لقد تعبوا ، يامونسينيور . انظر : نيفـــون يرتجف كالورقة .

المتروبوليت نيقولا : كيف ! ترتجف ، يا نيفون ؟

نيفـــون : احبـ ان أكون على سفَر . . في رأسي — صداع . . ومجاورة الله تملؤني حرارة . .

المتروبوليت نيقولا : (يتصفّح كتاب الاسئلة) : شروط أخرى

آرنولـــد : لاترتجف يا نيفون . .

المتروبوليت نيقولا : سأطرح عليك سؤالاً يابترول ، يتعلّق — أكثر مما يتعلق بآلاء الله . ماذا تفضّل يابترول أن تضحكَ أو أن تبكي ؟

بيترول : لاهذا ولاذاك . يجب على الإنسان أن يحترمَ وجهـــه !

المتروبوليت نيقولا : ممتاز ! اليس كذلك ، يا آرنولد ؟

آرنولـــد : ممتـــاز .

المتروبوليت نيقولا : شروط أخرى . . هل أنت شرهٌ ، يالوقا ؟

لوقـــا : حين أصلّي لا أضعُ زهوراً بين شفتي .

آرنولد : ممتاز .

المتروبوليت نيقولا : انتهينا ، آرنولد . (مخاطباً المرشحين) حسناً ، يا أبنائى . لقد سررت أجبتم بحسب القانون ويحسب العاطفة . ان قلبكم ثمرة طيبة .

آرنولد : كان ذلك رائعاً .

المتروبوليت نيقولا : يمكنكم اذن ان تذهبوا ، لوقا ، نيفون ، بترول ، سنتحدث عما تستحقونه .

آرنولد : (نافخاً على المرشحين) : غيبوا ، أيها المرشحون .

(يخرج لوقا ونيفون وبيترول . صمت قصير)

آرنولد : (متذكرا) : « أحب ان يكون الأطفال عنيدين بما يكفى لئلا يكونوا كثيرى الحركة » (التريماندور) .

المتروبوليت نيقولا : (حزيناً) : آه ، لو كان السيد بوبل هنا . ..

(المتروبوليت نيقولا يخلع ملابسه الرسمية بمساعدة آرنولد .)

المتروبوليت نيقولا : ارجو أن تناولنى فنجاناً من الماء الساخن . ثم ان تعطينى انطباعك عن المرشحين .

آرنولـــد : ها هو المـــاء الساخن . . . أما انطباعي عن المرشحين . . فأعترف يامونسينيور ، انهـــم فاضلون تماما ، كما ظهروا لي كانت كلماتهم جميلة . .

المتروبوليت نيقولا : اهمية الكلمات قليلة . الفكر هو . . .

آرنولـــد : الاطفال لا يفكّرون ، يا مونسينيور .

المتروبوليت نيقولا : هذا ما يخدعك ، يا آرنولد ، كثـــيراً . فالاطفـــال الصغار هـــم الذين يفكّرون ، لا الأشخاص الناضجون . فكر الطفل كالمطر ، يلامِسُ كل شيء. الطفل يا آرنولد ،عدَسة مكبّرة.حين ينظر إليّ طفل أشعر أنّ حجمي يزداد مائة مرة .

آرنولـــد : لكن هذا مخيف !

المتروبوليت نيقولا : طبعاً . من حسن الحظ أنّ لهم قلباً . . .

آرنولـــد : وأذنين صغيرتين . . .

(يتظاهر بأنه يشدّهما)

المتروبوليت نيقولا : ضع جانباً الملاحظات التي سجلتها . سنرسلها الى السيد بوبل ، ونرجوه ان يقرّر . موافق؟

آرنولـــد : خصوصاً أن الكلام والفكر شيئان مختلفان .

المشهد الثالث

(المتروبوليت نيقولا ، آرنولد ، كونستان ، فيسيل)

(يدخل كونستان وفيسيل متشابكي اليدين)

كونستان : سأكلّم المتروبوليت . .

فيســـيل : (لكونستان) : انا سأكلّم المونسينيور نيقولا

المتروبوليت نيقولا : (بنبرة توبيخ) تدخلان متشابكي اليدين ؟

كونستان : ستبقى يدانا متشابكتين طـــوال الحيـــاة ، يا مونسينيور نيقولا !

المتروبوليت نيقولا : فرقهما يا آرنولـــد . .

آرنولـــد : لستما هنا تحت شجرة ، بل في مقرّ — المونسينيور نيقولا .

كونســـتان : إنني سعيد !

آرنولـــد : هذه خفــّة ، ياسيد كونستان . (يخاطب فيسيل بصوت منخفض) اتركي يده ، — يا آنسة فيسيل ، حين تخرجين تستعيدينها .

فيسيل : لن أتركها بعد الآن . . (تضع يد كونستان

بين يديها الاثنتين) ما أوضح الأمر إنّها يد خطـــيبي . . .

متروبوليت نيقولا : (بدهشة وسعادة) : أنت أذن مخطوبة ، يا فيسيل ؟

فيسيل : نعم ، يا مونسينيور نيقولا .

آرنولـــد : وأنتَ ياسيد كونستان ؟

كونستان : طبعا ، يا آرنولد .

آرنولـــد : هذه إذن مفاجاة عامّة !

المترولوليت نيقولا : وأنا كنت أريد أن أفرّق بينهما ! هـــذا حدَثٌ مفرح . .

آرنولـــد : كيف حـــدثَ ذلك ؟

فيسيل : كنت أخـــيط . .

آرنولـــد : ؟ . . .

المتروبوليت نيقولا : ؟ . . .

فيسيل : تعرفان رشاقتي في الخياطة وصبري عـــلى الخيط الأبيض . .

آرنولـــد : أحببت الإبرة فوق كل شيء ، يا آنسة فيسيل

كونستان : هذا ميلٌ واستعداد .

المتروبوليت نيقولا : كنت تخيطين ، يافيسيل . . .

فيسيل : (مكملة) : قربَ شجرةِ تفاّح ذات — أوراق مستديرة . كنت أجلس تحتها كلّ صباح وحيدةً في السكون ، مع خيطيَ الأبيض ...

آرنولـــد : ممتعٌ جـــدا . .

فيسيل : وكان كونستان يسير قرب الحديقة . .

آرنولـــد : (بخبث) : كنت تسيرُ عمداً ، ياسيّـــد كونستان ؟

كونستان : كلاّ ، كلاّ يا آرنولد . كنتُ أتنزه ، كلّ صباحٍ ، في «باولا سكالا» . أمضي الى التلال حيثُ مستودَعُ الهواء . .

المتروبوليت نيقولا : الخلاصة كنتَ تمـــارس رياضة السّير على القدمين . .

كونستان : نعم ، يا مونسينيور نيقولا ، كنت أمشي .

آرنولـــد : إذن كيف بدأ زمن الخطوبة ؟

المتروبوليت نيقولا : لاتثرهما يا آرنولد . اتركهما يتكلمان . (يخاطب على التوالى فيسيل وكونستان)

كنت تخيطين يافيسيل ، وأنت ياكونستان
كنت تمشي . كلّنا آذانٌ تصغى . . .

كونستان : وكنتُ في عودتى من النزهة ، حين أصل إلى جوار الحديقة الصغيرة ، أتوقف في الظل وأرتاح . . .

المتروبوليت نيقولا : (بشيءٍ من الاستياء) : لم تكن تحملُ مظلّة؟

كونستان : كنت يا مونسينيور ، أتمدّد تحت أزهار الخروع ، قربَ الماء العذب . .

فيسيل : لكى ينظرّ الىّ من خلال السياج . .

آرنولد : لم تكن تناديها ياسيد كونستان؟ لم تكن تلوح لها؟

كونستان : وحتى لم أكن أصفر ، ياآرنولد . . كنت أرتاح . .

المتروبوليت نيقولا : تلك هى ، في الحقيقة ، المغامرةُ الجميلة .

كونستان : (مكملا) : هكذا كنتُ أبقى فترةً طويلة ، كل يوم . . . .

المتروبوليت نيقولا : لِتَنْظر إليها ؟

كونستان : كلاّ ، لأرتاح .

المتروبوليت نيقولا : لكن ألم تكن تلمح فيسيل ؟

كونستان : طبعا ، مونسينيور نيقولا ، ومع الاستمرار صار هذا يذكّرني بشيءٍ ما . كانت فيسيل ، وهي تحت شجرة التفاحً ، تذكرني باحدهم.

فيسيل : (قلقة) : لم أكن أعرف . .

كونستان :أخبرت جوان أوّلاً ..

آرنولد : (بحنان) : ابن اخي السيّد بوبل . .

كونستان : جاء جوان معي ، بعد ان اشترى عصاً لأنه كان يريد أن يسير جيّداً كما قال . . لا حظ أنّ فيسيل لاتشبه شيْئاً، لكنّها ساحرة في الخضرة برفقةِ عصافيرَ قرب اليد . . .

فيسيل : (سعيدة) : لم أكن أعرف . .

كونستان : لم تستطع ان أعرف بمن تذكّرني فيسيل في، هذه الحديقة . .

المتروبوليت نيقولا : شيء لايصدّق !

كونستان : نصحني جوان أن أرى ميشيل . .

آرنولد : (بحنان) : ربيب السيد بوبل . .

المتروبوليت نيقولا : (متحدثاً مع نفسه) : ميشيل حساس جداً.
(مخاطبا كونستان) وماذا قال ميشيل ؟

كونستان : اغتاظ ميشيل . لم يرد أن يسمع شيئا وشرح لى انه ليس من طبعه ان يراقب فتاة في حديقة، وأن ذلك في رأية مخالف للعادات .

المتروبوليت نيقولا : صحيح ، هذا ليس لائقاً تماماً .

آرنولـــد : الآنسة فيسيل لم تكن تعرف .

المتروبوليت نيقولا : اقتربى يافيسيل ، لدىّ بعض الملاحظات .

كونستان : ثم قبل ميشيل أن يرافقنا . قال : اجيء حباً بالطبيعة لافضولا .

آرنولـــد : (وقد ألهم فجأة) وهل عرف السيد ميشيل من تشبه فيسيل ؟

(كونستان يقوم بحركةٍ تأكيدية من رأسه)

المتروبوليت نيقولا : نعم ؟

كونستان : (بأبهة) : ولهذا أتزوج اليوم . .

فيسيل : لمـــاذا ؟

المتروبوليت نيقولا : لمـــاذا ؟

آرنولـــد : لماذا يا سيّد كونستان ؟

كونستان : قال ميشيل ، هناك وسيلة للمعرفة ، كتاب..

آرنولـــد : عرف ميشيل من الكتاب من كانت فيسـيل تشبه في الحديقة ؛

المتروبوليت نيقولا : وما هو هذا الكتاب .

كونستان : كتاب صور ، قديم ، فيه صور قديسـين ومناظر طبيعية وآلات بيانو وسفينة كبـيرة وأبواق ، الكتاب في بيتك ، يا مونسينيـور نيقـولا .

المتروبوليت نيقولا : في بيتى ؟

كونستان : نعم . . غالباً ما سمحتَ لجوان وميشيل وأنا بقراءته معاً (يتجه نحو المكتبة) ها هو . . .

المتروبوليت نيقولا : أسرع ، آرنولد ، ناولنى هذا الكتاب وإلا لن افهم شيئا . .

(المتروبوليت نيقولا ، آرنولد ، فيسيل ، كونستان يحيطون بالطاولة التى وضع عليها آرنولد الكتاب الذى يتصفحه المتروبوليت .)

كونستان : لا الصفحة الاولى ولا الثانية .. اقلب ، آرنولد ، اقلب ... هذه هى ..

فيسيل : (صارخة) : هذه أنا ، يا إلهى !

آرنولـــد : الآنسة فيسيل !

المتروبوليت نيقولا : هذه فيسيل ، طفلتنا !

آرنولـــد : يا ألله ، كم تشبهها . .

المتروبوليت نيقولا : (محدّقا بدقة في فيسيل) : الوجه نفسه .. اليدان نفسهما .. الخدّان ورديان ..

آرنولـــد : العينان زرقاوان في الموّق . . .

كونستان : (بانتصار) : كلّكم رأيتم ! إنها جالسة تحت شجرة تفّاح ، في حديقة ..

آرنولـــد : شيء جميـــل !

المتروبوليت نيقولا : آرنولد ، هذه صورة قديمة جدا . .

آرنولـــد : هذا أنت ، يا آنسة فيسيل ، منذ مائة سنة !

فيسيل : لم أكن أعرف !

المتروبوليت نيقولا : رؤية ميشيل صحيحة . انها حقا تشبه فيسيل ،

العـــذراء التي تحمـــل بين ذراعيها طفلاً .
والمرسومة في هذا الكتاب . .

آرنولـــد : (للمتروبوليت) : رسم قديم جدا ؟

المتروبوليت نيقولا : نقل بارع إن من رسم هذه العذراء في الحديقة يا آرنولد كان ، بكلّ تأكيد إنساناً خيّراً يرى في الطبيعة الراحة والسعادة . الأشخاص واقفون . التفاح مدوّر ، والهواء نقّي منذ مائة سنة . . (صمت) الآن أفهم لماذا يتزوج كونستان من فيسيل . لأنها جميلة ! وها هو الدليل . . .

كونستان : ليس هذا هو السبب ، يامونسينيور نيقولا . . اتزوج من فيسيل بسبب الطفل . . (مشيرا باصبعه الى الطفل في الصورة) هذا إذ لو أنّ لفيسيل طفلا ، لكانت تشبه في كل شيء عذراء هذا الكتاب . . الجميلة ، ولها طفل.

فيسيل : (تؤرجح ذراعيها) : سأحمله هكذا . . لن يكبر . .

(صمت . . .)

كونستان : (للمتروبوليت) : لاتعارض؟ ألستُ رجلا يتعذّر الصفح عنه ؟

المتروبوليت نيقولا : لم أقل شيئا بعد ، ياولدى . . لكن كيف خطرت لك هذه الافكار ، ياكونستان — وأنت بعد فتى بسيط ؟

فيسيل : لاأعرف ، يا مونسينيور نيقولا . . .

المتروبوليت نيقولا : اذهب ، اذهب الآن . . سنرى فيما بعد . . أعدُكما بأن اكون عادلا . لاتتحدث عن هذا الموضوع لأحد في الوقت الحاضر . (فيسيل وكونستان يتوجهان نحو الباب . يخاطب آرنولد) قل لهما ان يشبكا يديهما . .

: (يسرع آرنولد ويشبك يديهما . يخرجان)

المتروبوليت نيقولا : (هامساً ، بطيبة ، بينما ينظر اليهما وهما يخرجان) : كونستان وفيسيل . . .

المشهد الرابع

(المتروبوليت نيقولا ، وآرنولد)

(المتروبوليت نقولا يتنزه جيئة وذهابا ، يبدو

شديد الاهتمام بتصريحات كونستان، الاهتمام نفسه، يبدو على آرنولد .)

المتروبوليتنيقولا : يجب ان نكتب حالا للسيد بوبل .

آرنولد : هذا رأيي . .

المتروبوليتنيقولا : وهذا اليوم هو يوم البريد . مناسبة جيدة . (يستشهد بآرنولد) هل يمكن ان تكون الصورة سبباً للحب ؟

آرنولد : . . . .

المتروبوليتنيقولا : وهذا يحدث في غياب السيد بوبل .

آرنولد : . . . .

المتروبوليتنيقولا : بقدر ماأفكر ، يا آرنولد ، تُفلت مني هذه المسألة . . كونستان في وضعٍ لا يُصدّق وفينسيل لا تفهم من الأمر شيئاً ! لكن . .

آرنولد : هذه قصة حب بسيطة جدّاً .

المتروبوليتنيقولا : أفضل ، يا آرنولد ! كأنّ ذلك حلمٌ يتحقق عملياً . فليس في هذا الأمرما يستوجب اللوم. غير أنه يدلّ على نوعٍ من توكيد الذات ،

فيما يتعلق بالتفاصيل وهذا مخيف ويدهشني ظهوره عند كونستان . . (بعد تأمل طويل) لا بدّ أن يكون ميشيل قد نصح كونستان .

آرنولـــد : السيد ميشيل لا يتكلّم .

المتروبوليتنيقولا : ميشيل لا يتكـّم ، لكنه يفكـّر . . ميشـــيل جعل كونستان يفكر ! أكـّرر يا آرنولد أن ميشيل هو وراء هذه المسألة . (بعد صمت) هل يمكن أن تكون الصورة سبباً للحـــب ؟ (لحظة) لا بدّ قبل كل شيء من إفهامهمـــا الأزواجَ في « باولا سكالا » حين يكون السيد بوبل غائباً . أين هى الأصـــول إذن ؟ . . . آرنولد ، سيبقى الخاتمان في الخزانة . . .

(المتروبوليت نيقولا يجلس براحة على كرسى واسع ويضع على ركبتيه كتاب التصويـــر القديم الذى يتركه مغلقاً ، ويحدّق فيه)

آرنولـــد : (هامسا) : تتأمل ، سيدى المتروبوليت ؟

المتروبوليتنيقولا : أدور حول نفسي . .

آرنولـــد : هل تسمح لى بالذهاب ؟

المتروبوليت نيقولا : اذهب يا آرنولد ، وأسرع .. سنستقبل بعد قليلٍ خوسيه ماركو يجب أن تكون حاضراً.

آرنولد : سأهيئ لاكسيلسيور حمّامه، وأسبق الآخرين إلى هنا ..

(يهمّ آرنولد بالخروج)

المتروبوليت نيقولا : (فجأة) : ستهيّئ حمّام اكسيلسيور ؟

آرنولد : نعم ، مونسينيور نيقولا ..

المتروبوليت نيقولا : لماذا لا تقول ذلك ؟

آرنولد : ؟ ...

المتروبوليت نيقولا : اليوم ، سنغسل إكسيلسيور ، سويّةً ..

آرنولد : ؟ ...

المتروبوليت نيقولا : أسرع ، لاوقت لدينا لكي نضيّعه ... (متحدّثا مع نفسه) وسأنظّفه من البراغيث

آرنولد : مونسينيور !

(المتروبوليت نيقولا يمسك بذراع آرنولد ويتوجه نحو الباب) .

المتروبوليت نيقولا : الكلب صديقٌ أمين ...

(يخرجان)

المتروبوليت نيقولا : (يعود راكضاً ويفكّ قلنسوته التي نسيها) : التواضع ... التّواضع ...

يخرج

المشهد الخامس

(ميشيل)

ميشيل : (داخلا) : سيّدي المتروبوليت ؟ أين أنت ؟ (يمشي بهدوء في الغرفة) لا يوجد أحد ! (يتجه باسماً نحو الطاولة التي ما يزال ورق اللعب فوقها) ورق لعب ؟ (يأخذ ورقة الملك ! (ساخراً) إنني قلق على مصير ملكي .... (يمشي من جديد) أكيدٌ لا يوجد أحد ... لا أرى شيئاً ! ...

(يتوقف امام صورة السيد بوبل الفوتوغرافية) السيد بوبل ... هنري بوبل ! من زمن طويل غبتَ عن «باولا سكالا» ، يا أبي ...انه الخريف مرّة أخرى ، السّماء مليئةٌ باشجار الورد ... ما أفقرَ العيد بدونك !

(في هذه اللحظة تدخل كوريا دون ضجة)

المشهد السادس

(ميشيل ، كوريا)

ميشيل : (يلتفت فجأةً ويلمح كوريا) : أنتِ حافية، كوريا ؟

كوريا : تتكلم وحدك ، يا ميشيل ؟

ميشيل : لم أكن أقول شيئاً . .

كوريا : لا يوجد أحد هنا . . آرنولد والمونسينيور — نيقولا يغسلان اكسيلسيور . .

(يقترب ميشيل من الأيقونة التي تشتعل امامها شمعة)

كوريا : (مشيرةً الى الأيقونة) : هذه القديسة جميلة

ميشيل : صحيح .

كوريا : عيناها تبتسمان . .

ميشيل : لا ، عيناها تنظران . فمها هو الذى يبتسم . .

كوريا : صحيح . .

ميشيل : أحبّ شعرها الذهبي . .

كــوريا : لهب الشمعة هو الذى يعطيه هذا اللون . . إذا اطفأناها يصبح لونه أسود . (تطفئ الشمعة ، ثم تخاطب ميشيل) انظرْ . . .

ميشــيل : ما يزال شعرُها كالذّهب . . .

كوريــا : (بدهشة) : صحيح ، ياميشيل . . (صمت قصير) عيناها الآن تبتسمان . . ما أجمــل هذه المرأة .

ميشــيل : ليست امرأة . .

كــوريا : أعرف ياميشيل أنها قدّيسة ، امرأة كاملة. . . لكنّها امرأة . . إنها مثلى . .

ميشــيل : طبعاً ، كوريا .

كــوريا : أنا سعيدة لكونى هنا وحيدة معك ، ياميشيل

ميشــيل : . . .

كــوريا : لاتجيبنى ؟

ميشــيل : شكرا ، كوريا .

كــوريا : الناس كلهم في « باولا سكالا » يتكلمون ، إلا أنت لاتتفوه بشيء أبدا ، اين تكــون ، كلّ مرة ؟

ميشـيل : . . .

كـوريا : ميشيل ، فيم تفكر ؟

ميشـيل : لاأفكّر في شيءٍ .

كـوريا : لكن فيم تفكّر ، حين تفكّر بشكلٍ عامٍ ؟

ميشـيل : لاأعرف . . وأنتِ ؟

كـوريا : الأمر يختلف معى . . أنا أفكّر قليلاً جدا حتى لاأهرم . . لستُ جِدّية . .

ميشـيل : . . . .

كـوريا : . . .ولست كذلك ، عميقة . . (تشير إلى صورة القديسة) لستُ امرأةً كاملة . . فانا لاأفكّر ابداً ، يا ميشيل .

ميشـيل : تريدين أن تضحكى . .

كـوريا : أبداً ، وليس هناك مايدعو للضحك. . بعد لحظة تأمل (لكن الحق معك . . هذا لم يخطر لى . الأمر يضحك (تضحك) اتركني أضحك . . .

(تضحك وفجأةً تأخذ في البكاء)

ميشـيل : مابك ؟

كـوريا : . . . .

ميشـيل : تبكين بالفعل ؟

كـوريا : (ضاحكة باكية) : ماذا تظن ؟ هل أضحك أم أبكي ؟ احذر . . . أنا ، أظنّ أنني ابكي . . .

(تضحـك)

ميشـيل : ماذا جرى ، كوريا ؟ هدّئي روعك .

كـوريا : (ضاحكة) : تبدو في هيئة عجيبة ، يامشيل . . عيناك غير جميلتين ، عن قرب . . (بفضول وطفولة) إحداهما اكثر يقظة من الأخرى ، لاأعرف . . (تنظر اليه مرة ثانية ، وتبكي . . .) أضحك وأبكي — لأني . . . أحبّك ، ياميشيل !

ميشـيل : . . . .

كـوريا : (تلتصق بميشيل ، هامسة) : منذ وقت طويل ، ياميشيل . . . منذ سفر السيد بوبل.

ميشـــيل : (يبتعد فجأةً وينظر الى صورة السيد بوبل الفوتوغرافية) : سنة . . .

كـــوريا : من سنة أحبك . . ربما لم يكن من الواجب ان أخبرك . . سنة . . هذه فترة قليلة ، قصيرة.

ميشـــيل : سافر من سنة . .

كـــوريا : لم اكن أبالى ، في الايام الأولى . . كنـــت أغنيّ ، كنت سعيدةً ، كنت شبهَ بعيـــدةٍ عنك . . ثم دخلتَ في أحلامى ، كما أنتَ ، كما أراك . . (تتراجع قليلا لكى تراه بشكلٍ افضل) ربما أكثر نحولاً . . ومنذ ذلك الوقت صار الأمر رهيباً . .

ميشـــيل : للصديق دائماً مكانهُ في أحلام أصدقائهِ ، فلا أعرف سبباً لآلامك .

كـــوريا : نتحدث قرب هذه القديسة . . تعال الى هنا، ستفهمنى . . . ماذا تفعل في اللّيل ؟

ميشـــيل : أنام . .

كـــوريا : أنا احلم بك . . حين يخلع الليل زرقته على «باولا سكالا»، وتظلم الشوارع وعتباتُ البيوت

حين لا يعود للصدى ستاره الأليف ، وتنتهى
ضوضاء الاصطبلات ، حين أصبح وحيدةً
في الليل على سريرى ، مع شَعرى احلمبك ،
يا ميشيل . . « في النوم قُبّراتٌ كثيرة »
يقول التريماندور . وليس في نومى مناظر
طبيعية . . فلا أحلم بالحدائق ولا بالفضاء
الجميل ، ولا يجلس الملائكة على طرف
سريرى كما يجلسون على أسرة الأطفال .إن
أحلامى بارعةٌ وعملية ، أحلم بك ، ياميشيل
هكذا ، في الليلة الماضية ، كنّا معا ، تمسك
بيدى لكى تجعلنى أدور بسرعة حول جذع
شجرة . . . وفجأةً توقّفتَ ، وكانشَعْرى
يغمر فَمك وأذنيك . . .

ميشيل : أنا ؟ . .

كوريا : نعم أنت يا ميشيل . . في الحلم . . ولم لا ؟

ميشيل : معك الحق أن تَتسلّى في الحلُم . .

كوريا : (هامسة) : في ذلك المساء نفسه ، مررتَ
تحت نافذتى ، وكان اكسيلسيور يرافقك . .
ويجب أن أعترف أننى ناديتُك بسذاجة . .

لأنني كنتُ عاريـــة ، جميلة كالفريقة . .
خجلتَ من اكسيلسيور فأبعدتَه لكي تلوّحلى.

ميشـــيل : أنا ؟ . . أنا ؟

كـــوريا : نعم أنت يا ميشيل ، في الحلم . . .

ميشـــيل : كيف تجروين حتى في الحلم ! . .

كـــوريا : سامحنى ، كنت اعرف انني سازعجـــك ، فانت نقىّ جداً ، مستقيم جدا . . فلاتُستبدلُ بسهولةٍ كما يُستبدل الماء في الكأس . . . أنتَ بلاشبيهٍ ، ياميشيل . . أجنّ فرحاً حين تفتح لى ذراعيك . . حتىّ في الحلم ! . « ســـعادة القلب ملعقة صغيرة ، شيءٌ أبدىّ » آه . .إن التريماندور مخطىء في هذا القول . . . لكننى فكّرت فيه الآن .. ربما تحبّ شخصا آخر . . ولهذا لا تجيب . هل تحب امرأة أخرى . .لا أرى في« باولا سكالا » امرأةً جديرةً بك . من يمكن ان تحبّ ؟ . .

ميشـــيل : . . . .

كـــوريا : ميشيل ، من تحبّ ؟

ميشــيل : أحبّ ابى . .

كــوريا : كلّ انسان يحب أباه ، لماذا تقول هذا ؟

ميشــيل : ليس كل إنسان يحبّ اباه، كلّ انسان يفكّر في أبيه ، ويغتبط حين يراه لكن ما من أحدٍ يحبّ اياه كما أحبّ أبى . .

كــوريا : الحق معك ولست أنا من يقول لك العكس ، السيد بوبل وليّك الذى رباك .
الذكريات في الخريف ، حين تتساقط — الأوراق ، تكون حيةً جدا . يجب أنتفكرّ فيه . . تحب السيد بوبل . . . اذن هذا كل شيء . . .

ميشــيل : أحب ابى ، ولا أحبّ أحدا أو شيئاً غيره . . .

كــوريا : لكن كيف لهذه العاطفة أن تبعدك عنى ؟

ميشــيل : قلبى ممتلىء . .

(صمت)

كــوريا : اذن انت لاتحبّنى لانك تحب السيد بوبل ؟

ميشــيل : . . . .

كــوريا : آه . . أفهم الآن سبب ضياعك في بــلدٍ

خيالىّ لايتكلم فيه الناس ... أنتَ مجنون ياميشيل . .

ميشـــيل : (بعذوبة) : أنتِ لاتفهمـــين . .

المشهد السابع

(المتروبوليت نيقولا ، آرنولد ، ميشيل ، كونستان ، كوريا ، فريدريك ، ارثر ، جوان ، فيسيل ، الكسندرين ثم خوسيه ماركو)

(يدخل المتروبوليت نيقولا ووراءه آرنولد)

المتروبوليت نيقولا : أسرع ، آرنولد . بعد قليل يصل السيد — خوسيه ماركو ،

كــوريا : (محيية) : سيدى المتروبوليت . .

ميشـــيل : (محييًا) :مونسينيور نيقولا .

المتروبوليت نيقولا : صباح الخير . جئتما باكراً ، أحسنتما .

المتروبوليت نيقولا : (مخاطباً ميشيل) آرنولد في حالة فرح منذ هذا الصباح . .

(يصل تباعا فريدريك ، آرثر ، جوان ، وتصل فيسيل وكونستان متشابكى اليدين .)

فريدريك : (محييًا) : سيدى المتروبوليت .

آرثـــر : (محييًا) : سيدى المتروبوليت .

جـــوان : مونسينيور .

فيسيل وكونستان : (معا) : مونسينيور نيقولا . .

المتروبوليت نيقولا : (ناهضا) : اليوم يا أبنائى نستقبل — السيد خوسيه ماركو الذى يجىء من مكان بعيد حاملا الينا سلام السيد بوبل . فلنفرح . — سنقرأ الرسالة (يناول كونستان غلافاً) هل تريد أن تقرأ ، ياكونستان ؟

كونستان : (يفتح الغلاف بتأثر شديد) : « استقبلـــوا المتدرج خوسيه ماركو . سيحدثكـــم عنى . هنرى بوبل »

فريدريك : عظيم .

المتروبوليت نيقولا : لا ، ليس بهذه اللهجة تقرأ هذه الرسالة . . (يخاطب كونستان) هذا سرٌ يا عزيـــزى آرنولد . . . أرجو أن تعيد قراءة الرسالة .

آرنولـــد : نعم ، مونسينيور نيقولا . .

(يعيد المتروبوليت الرسالة الى الغلاف ويعطيه لآرنولد الذى يفتحه ويقرأ) .

« استقبلوا المتدرّج خوسيه ماركو. سيحدثكم عنيّ . السيد بوبل . »

المتروبوليت نيقولا : (مخاطبا الصيدلى) : حَسَنٌ هكذا ؟

فريدريك : تماماً . .

المتروبوليت نيقولا : تداولوا الرسالة . (مخاطباً الجميع) يمكنكم الاطّلاع عليها .

(تنتقل الرسالة من يد الى يد)

آرنولد خُذِ الرسالة . . . (يخاطب الصيدلى) هل يكفى هذا يافريدريك ؟

فريدريك : نعم ، في رأيى . .

المتروبوليت نيقولا : لم يبق لنا غير الانتظار . . (يخاطب الجميع) يمكنكم ان تتحدّثوا . .

آرثـر : (لفريدريك) : هل يصل السيد خوسيه ماركو إلى « باولا سكالا » اليوم ؟

فريدريك : نعم ، ايها المعلّم .

آرثـر : يجيء من البلد الذى يسكن فيه السيد بوبل ؟

فريدريك : نعم ايها المعلم ، من الجزيرة ، لكن اهدأْ .

آرثـــر : انني متلّهفٌ جدا لسماع أخبار السيد بوبل . .

فريدريك : نحن جميعا متلهفون ، أيها المعلم . . (ينهض فريدريك فجأةً) أسمع وقع خطوات . . .

(ينهض الجميع وينظرون)

آرثـــر : (مرتبكا) : انا حرّكت قدمي . .

المتروبوليت نيقولا : (يلمح انزعاج ميشيل) : ميشيل ، تعـال قربي ، سننتظر سويا بشكلٍ أفضل .

آرثـــر : هل يعرف بيت المونسينيور نيقولا ؟

فريدريك : كلا ، سيجئُ برفقة الكسندرين .

آرثـــر : ألكسندرين ! لمـاذا ؟

فريدريك : ظن المتروبوليت ، وهو على حق ، ان السيد خوسيه ماركو سيتكلّم بلغـة اجنبية وأنّ لالكسندرين معارفَ تُتيح لهـا . .

آرثـــر : (مقاطعا) : لاتفهم شيئاً . .

فريدريك : هدوءاً ، أيها المعلم . .

آرنولـــد : هذا يوم عظيم !

ميشـيل : من المنتظر أن يكونا قد وصلا . .

آرثــر : لكن من يدرى ، يا سيد ميشيل . . مع سيارة الوكيل ادوار . .

كــوريا : سيارة مضحكة . .

فريدريك : (فجأة) : اســمع خطوات .

آرثــر : لم أحرّك قدمى .

(تسمع خطوات تقترب ، يضطرب الجميع)

المتروبوليت نيقولا : (بسرعة) : فريدريك ، ستتولى التعريف. (يفتح الباب ، يدخل السيد خوسية ماركو تتبعه الأم الكسندرين يلبس قبعة كبيرة — سوداء ، ومعطفا طويلا أسود . طويل جدا عيناه متوهجتان ، وحركاته غريبة ، يتقدم فريدريك امامه ويتهيأ للكلام ، لكن خوسيه ماركو يزيحه ويجئ الى وسط الحاضرين) .

خوسيه ماركو : أعرفكم جميعا . . .(يتقدم نحو كونستان ويشير اليه) جوان !

كونستان : كلاّ . . كونستان .

خوسيه ماركو : (متجها صوب كوريا) : فيسيل !

كــوريا : كلا . . كوريا .

خوسيه ماركو : (متجها صوب جوان) : ميشيل !

جـوان : جوان . .

خوسيه ماركو : (يسرع في اتجاه المتروبوليت ، وينحني لتحيته) : سيدى المتروبوليت ، المونسينيور نيقولا . .

المتروبوليت نيقولا : (ينهضه) : سمني نيقولا ، أنا اخوك . . (فريدريك يتقدم ويقدم نفسه لخوسيه ماركو) فريدريك ، صيدلي « باولا سكالا » . .

خوسيه ماركو : (منحنيا) : وسيم . .

آرثـر : (يتقدم بدوره ويقدم نفسه) : معلم . . .

خوسيه ماركو : (منحنيا) : خادم . .

فريدريك : (يتحدث مع نفسه عائداً الى مكانه) : غريب غريب ، ما اكثر امتداده . . .

كـوريا : (هامسة) : يذكرني بالنار . .

المتروبوليت نيقولا : أنت هنا ، خوسيه ماركو . . .

خوسيه ماركو : (مقاطعا) : اريد ان اشرب . . . (يسرع آرنولد ويحضر ابريق ماء وكأساً)

فريدريك : (هامساً) : يشتعل . . .

خوسيه ماركو : (بعد أن شرب بضوضاء كثيرة) : أستطيع أن أشرب نبعاً لى .

المتروبوليت نيقولا : خوسيه ، انت في « باولا سكالا » في بيتك . الأشخاص الحاضرون هنا هم اصدقاؤك واصدقاء السيد بوبل . . . أسمعنا أخباره .

آرنولد : (مشيرا الى مقعد) : اجلس ، ياسيد ماركو

خوسية ماركو : (يمدّ ذراعيه كأنما يريد ان يصلى ، تبدو في يده ، باقة زهر كان يخبئها تحت معطفه) ليطلُق الله لسانى . سأتكلّم . .

فيسيل : زهور !

آرثر : باقة زهور !

خوسيه ماركو : (بلطف) : تحية الكسندرين . . . (آرنولد يأخذ الزهور من خوسيه ماركو ويضعها على كرسى) السيد بوبل ! (بدأ من هذه اللحظة يجمد الحضور كالتماثيل ، ويستمرون في وضع واحد طيلة الكلام .) عرفتُه (حركة غريبة) هناك . . . قال لى مامعناه تعال ياسيد لرويّتى ، إنّ زيك المضحك

يدلّ على أنّ حياتكَ فريدة .. لستَ — حفّارا ، ولا فلاّحا .. سأعلّمك أن تكسب قوتكَ .. هل هذا واضح ؟ « لاواضحَ غيرُ الماء » ، يقول الترعماندور . فأجبتُ لاأعرف الترعماندور ، ياسيدى ، ولن أجيء لرؤيتك : الحرية هي رؤيتي « حينذاك كتب لى السيد بوبل « بما أنك لاتريد أن تعمل ، فانعم بسعادتك ياخوسيه ماركو ، أظنّ أنكّ شجرة . » وذهبت لرؤيته ...

كان ذلك في الربيع الأوراق خضراء والمطر يسقط غزيراً .. كان يطلّ من نافذته (يقترب خوسيه ماركو من النافذة) أذكر أنه كان يتكلم وحيداً (فترة) مثلى.. أذكرُ جيّدا .. (يفتح نافذة الغرفة ويصف الجزيرة كأنه يراها) هاهى الجزيرة :— الاشجار هنا تلبس المخمل ، فهى دافئةٌ كالبشر ، والسّماء زرقاء ... اذا اخذتم اصبعا وحرّكتموه بهدوء كشيء لاحياة فيه ، تستطيعون أن تدوروا دورة البحر .تستطيعون أن تداعبوا براحتكم رمال هذه البلدان ..

السهل يتموجّ بالأحصنة الهندية . وفي شجرة النخيل تنام الببّغاءاتُ كالزبرجد . . .)
(ضاحكا) من الغريب ان كلّ ما يضحك يكون على طرف اللسان . . هناك ، تمتدّ الغابات. وفي هذه الغابات حيث تتقصف عظام الخيزران في نشوة الكفاح ، يُسمَع مرضُ الريح . . .
وفي الاعلى ، في اقليم الهواء غير المسكون ، جبالٌ زرقاء من الحبّ لاتُفيد أحداً . .
حين يهبط أحدكم في هذه الجزيرة ، مع ملاحٍ شيخ ، تحسبه الشّمسّ أميرَ مملكة ، فلا تجرؤ أن تمسه ولا أن تُشبّه ، وعلى ضفاف الشّلالات المشهورة في كتب — الجغرافيا القديمة ، ثمارٌ تحمل خصائص الحياة تتأرجحُ ويتأرجح معها عبيرها . . الحياة هنا ، باختصار ، تكون حلماً لولا المعادن التى في أحشاء الأرض والتى تنضج بالقـّوة . .
الظل الآن رماديّ ، واللّيل الشامل في طريقه الينا ، مع الكلاب . . . هناك الماء الـذى يجرى والماء الذى لايجرى ، والقصب المبلّلُ

بالصّراخ . . ذلك بعيدٌ ، بعيدٌ جدا . .
والعيون لاتقدر أن ترى . . .

آنذاك رآني . « ماذا تفعل هنا ، أيهـــا الفارس ؟ . . . من أنت ؟ » انا ، خوسيه ماركو ، مولودٌ في نفسي ! . . تمطر في الخارج ، وانا ورقةٌ كبيرة مبلّلة . . آوني في بيتك ، لم أعد أريد ان أجوب الغابات . . اسمح لي بالجلوس على كرسيك . . علّمني أن أعمل ، أعطني مطرقة ، ياسيّد بوبل . . . — قال : « إخلعْ قبعتك ، أريدُ أن أرى جبهتك ، واصمت طيلةَ ساعة . . . » ساعة . . . » ثم أغاثني برأفته ، أعطاني — حصـــانــاً وزورقـــاً ، وعيّنني حامـــلاً للبريد . طوال النهار ، أجدّف واركض لأوصل الأوامر ، وتثقّفت . . . كنـــت أسودَ ، فصرتُ ورديـــاً ، شابـــاً ورديـــا طويلاً ، متدرّجاً . . المجد له علّمني — واجبات الحياة وفضول العيش . . . (يتوجه مباشرةً الى الحضور) السيد بوبل . . انتم لاتعرفون أيّ رجلٍ هو ! . .

(في هذه اللحظة يتحررّ الحاضرون كلهم من وضعهم ، ويتحركّون بغبطةٍ عامّة لاتوصف) .

جوان : عمّي . .

المتروبوليت نيقولا : صديقي . .

آرنولد : السيد بوبل . .

(المتروبوليت وآرنولد يتعانقان)

ميشيل : وليّي . .

الكسندرين : الهواء ! الهواء !

آرثر : السيد بوبل !

فريدريك : إنه هو !

خوسيه ماركو : (رافعاً اصبعه كما لو أنه يريد أن يهدّئ هذه العاصفة) أريد أن أشرب . . . .

(يسرع آرنولد ويقدم له كأساً وابريق ماء ، يشرب بكثرة ، وينظر اليه الجميع بفضول.)

آرنولد : (لخوسيه ماركو) : لم تخبرنا شيئاً، ياسيد ، عن صحة السيد بوبل . .

خوسيه ماركو : (مشيرا إلى آرنولد ، مخاطبا المتروبوليت): من هذا ؟

المتروبوليت نيقولا : آرنولد . . أكيدٌ أن السيد بوبل حدثك عنه.

خوسيه ماركو : آرنولد ؟ أنت آرنولد ؟ ابتعدْ ، احب أن أراك من بعيد . . غريب ، لم اكن أتصوره هكذا ، انه رجل بسيط جدا .

آرنولد : سيد خوسيه ، انا خادم السيد بوبل ، كيف حاله ؟

خوسيه ماركو : سيدك لا يشكو شيئاً . .

الكسندرين : (هامسة لفريدريك) : اسأله ان كان مشغول البال . .

فريدريك : ليس الآن . بعد ان ينتهي من آرنولد .

آرنولد : شكرا ، سيد خوسيه ، هل أستطيع ان اعرف من يَعْتني به ، من يخدمه . .

خوسيه ماركو : لا أحد .

آرنولد : ؟ . . . .

خوسيه ماركو : أعني أنه لا يحتاج إلى شيء . .

آرنولد : ا . . .

خوسيه ماركو : الإنسان يحتاج إلى اصدقاء حين يكون بلاعمل . . السيد بوبل يعمل . انه يحفر الأرض . .

الكسندرين : (لفريدريك) : لم يمسك السيد بوبل في حياته فأساً . .

آرثــر : (لألكسندرين بجفاف) : له أفكاره . . هذا يكفي . .

خوسيه ماركو : قلب الجزيرة كلّها . . الاشجار ، العصافير نفسها غيرت مكانها ، اكتشف معادن .

آرنولــد : شكراً سيدى . هذه مهمة شاقة . . كان الله في عونه . .

جــوان : كم يربح عمّى ؟

خوسيه ماركو : سيصير عمكَ ذات يوم ، غنياً جدا . . .

آرنولــد : ماذا يفيد ذلك ؟ الثمار هنا والماء في فيض ، والانسان يقــدر ان يعيش من الهــواء ،إذا استيقظَ باكراً . .

الكسندرين : أنا أحبّ الذهب . .

فريدريك : امــرأة !

آرثــر : أنا كذلك أحب الذهب

فريدريك : انسان كذلك !

آرثـــر : (ينهض ويجلس قبالة الصيدلى تماما) : لكن من أنت اذن ، تماما ايها الصيدلى ؟

فريدريك : انا في المقام الأول حيوانٌ محترم ، ياسيدى المعلم . . (يتحدث مع نفسه) غريب . . . — غريب . . يوجد نوعان من الأحياء (يرسم حركتين في الهواء) هؤلاء . . . وأولئك ! لن أزيد ، وهذا سرّ !

خوسيه ماركو : (منحنيا على أذن المتروبوليت نيقولا) : هل يتكلمُ دائما هكذا ؟ مدهش !

المتروبوليت نيقولا : انت مؤلم ، يافريدريك . .

خوسيه ماركو : كالنصائح الطيّبة ، سيدى المتروبوليت . .

الكسندرين : (لخوسيه ماركو ، فجأة) : أعطنى نصيحة

خوسيه ماركو : حــول اى شيء؟

الكسندرين : حــول لا شيء . .

خوسيه ماركو : . . .

فريدريك : أظن ان الأم الكسندرين تطلب نصيحةً عامة ، حول كل شيء وحول لا شيء . .

الكسندرين : (لخوسيه ماركو) : أودّ بشكل خاصّ ان احتفظ بها كذكرى منك . .

آرثـــر : مجنونة بائسة !

خوسيه ماركو : (للمتروبوليت) : انا متدرّج ، هل ينبغي أن أجيب ؟

المترو بوليت نيقولا : حتما

خوسيه ماركو : لم يطرح أحد عليّ في حياتي كلّهــا سؤالا كهذا . . .

آرثـــر : الكسندرين . . إننا معك نضيّع وقتاً ثميناً جداً .

خوسيه ماركو : (بأبّهة) : « لا يجوز أن نلمس باصبعنا مــا نقدر أن ننظر اليه ، باستثناء الطّعام . » هذه هي النصيحة . .

الكسندرين : هل تعطينني اياها ؟

خوسيه ماركو : أقدمهــا لك .

الكسندرين : شكراً ، سيدي يسوع . .

آرثـــر : ليس اسمه يسوع ، يا الكسندرين ، بل خوسيه السيد خوسيه ماركو . انتبهي .

فريدريك : (يكرر بشكلٍ غير مفهوم نصيحة خوســيه

ماركو ، ثم) : غريب ! غريب ! بل انـه عجيب اكثر مما هو غريب !

فيسـيل : مونسينيور نيقولا ، هل اقدر ان اتحدث مـع خوسيه ؟

المتروبوليت نيقولا : بالطبع يا بنتى . .

فيسـيل : سيد ماركـو . . .

خوسيه ماركو : (للمتروبوليت) : من يوجه الىّ الكلام ؟

المتروبوليت نيقولا : فيسيل ، فتاة . .

خوسيه ماركو : (هامساً للمتروبوليت) : لماذا تُسمىّ بهـذا الاسم ؟

المتروبوليت نيقولا : اسم عملىّ جـدا . .

خوسيه ماركو : (هامساً) : نعم . .

فيسـيل : هل السيد بوبل مايزال يتذكرنى ؟

خوسيه ماركو : ذكّرينى بوجهك . . (يتناول ذقنها ويحدّق فيها طويلا) نعم . . حدثنى عنك ، ذات مساء في حديقة لم يكن فيها أحـد . . .

فيسـيل : هذا يسعدنى جـدا . .

فريدريك : احب بدورى ، يا عزيزى ماركو ، ان أحصل منك على بعض المعلومات . . من متدّرج الى متدّرج . . .

خوسيه ماركو : لك عندى اعظم احترام .

فريدريك : شـــكراً . . .

خوسيه ماركو : من متدّرج الى متدرج . . ماذا تريد بالضبط

فريدريك : لمحـــة عامـــة .

خوسيه ماركو : عن اى شيء ؟

فريدريك : تتعلق بحياة السيد بوبل . أخبرنا عن يوم من ايامـــه في الجزيـــرة . احـــب ان ارافقـــه بفكرى واعرف ماذا يفعل في وقته العادى . .

المتروبوليت نيقولا : فكرة ممتازة . .

آرثـــر : نودّ جميعاً ان نرافقه بأفكارنا .

خوسيه ماركو : انتظروا . . انتظروا . . تطلبون منى نوعاً ما أن أعرض عليكم فيلماً ؟

الكسندرين : (بفرح بالغ) : سينما !

آرثـــر : اخجلى يا الكسندرين . . .

خوسيه ماركو : طيبّ ، طيب . . لكن ابعدوا كراسيكم، فانا بحاجة إلى مجال . . . (ينهض ويبدأ بالتنقل على أطراف قدميه بتأرجح خفيف) أبحث عن الايقاع . (يتوقف ليبدأ قصته) بصورة عامة . .

آرثر : (معا) : بصورة عامة . . .

خوسيه ماركو : يستيقظ السيد بوبل مع الشمس ! إن كانت السماء تمطر . . .

آرثر والكسندرين : إن كانت السماء تمطر ؟

خوسيه ماركو : لا ينتظرها . . يرتدي ثيابه ويصلّي ، الابتهال الى الله هو تنفّسُ الحكيم . . . (يقلد بذراعيه نوعاً من الرياضة) تمرينُ الصباح . ثم يتناول فطوره ، طبعاً يأكل . الماء والملح صديقان أمينان . بعد ذلك يتنزّه في الحديقة ويعلن أفكاره ، غير أنني لستُ على ثقة تامّة من أنّه يتكلم . . .

فريدريك : كيف ذلك ، يا صديقي ؟

خوسيه ماركو : تتنقّل عيناه من شيء الى آخر . . (فريدريك

يوافق بحركة من يده) يتأمل الوردة وصخب البحر . . فهو لا يُتعِبُ فكره . .

فريدريك : ياله من هدوء !

خوسيه ماركو : في الساعة الثامنة نمضي على جوادين لزيـارة أماكن العمل . وفي الطريق نجتاز مضائـق وسهولاً . . .وبينما نسير أنادى أحياناً الصدى . . . أوهِي . . أوهِي . . . فنسمع : أو ــ هى . . . أو ــ هِي . . . ويبتسم السيد بوبل لانه يحب الجبل الذى يتكلم : فهو يقـول ان الجبل هو موطن القوى والرأفة الكبيرة، وهو صورة العوالم . .

(هنا يستأنف خوسيه ماركو سيره على اطراف قدميه ، يتنقّل كشخص يخاف ان يسمعـه احـد .)

فريدريك : (هامسا) : غريب ! غريب ! كيف يتنقّل

خوسيه ماركو : لا تهتمّوا لذلك ، فهذه عادة تعود الى زمـن الكمائن ، حين كنت أشرد في الغابة .

الكسندرين : سيّد يسوع !

خوسيه ماركو : ولا نصل ، السيد بوبل وانا الى المعسكر إلاّ في وقتٍ متأخر ، حين تكون الشمس عاليـــةً. هناك نعمل ، نعذّب الارض حيث المناجم.. حيث يملأ الفضاء الرّجالُ والجبال . . .

فريدريك : الثروات !

خوسيه ماركو : الثروات المنذورة لعبادة الليل ، التى لا تراها عينُ الأطفال والأحصنة ولاتراها النباتـــات الكريمةُ في السماء . . لكن تراها الحيوانـــات الزّاحفـــة ، الأفاعى المجنونة ، ورَوْثُـــ السلاحف (ينحنى ويحــك أرضية البيت) الحديد ! الرّصاص ! الذّهب ! (ساخرا) الثّروات . . كلها هناك ! صحيحٌ انهـــا ممزوجة باصول الينابيع ، لكنها محرومة من الشمس . . (صارخاً) اذهبوا . . الفؤوس والمعاول والمطارق جميعها في مادّة هـــذا العفَن !

آرنولـــد : (ناظرا الى صورة القديسة ، هامساً) : هذه مهنة قاسية ، ليكن الله في عونه . .

المتروبوليت نيقولا : (رافعاً ذراعيه الى السماء) : ضدّ الرصاص والذّهب والحديد والعفن . .

خوسيه ماركو : نعم ، يامونسينيور . . . وحين يهبط الليل نعود من حيث جئنا ، والنجوم حمراء وديعة ، والظلّ أليف . . السيد بوبل لا يتكلّم ، يبدو على حصانه كرجل من الصّلصال ، بعينين بيضاوين . لا أفهم ماذا يجرى في داخله ، لماذا هذا التعب بعد العمل الذى انتهى ، العمل الضرورى الذى يُوهن العظام ويصنع الشيوخ . . (باشمئزاز شديد) أرافقه الى بيته يكون الليل أصبحَ شديد السواد ، وتكونُ النجوم قد مالتْ ، والشجرة بلا ريح يتركني دون أن يتفوّه بكلمة ، ويدخلُ إلى غرفته لكي ينام .

(خوسيه ماركو ينهض ويدخل غرفة نوم المتروبوليت نيقولا) .

فريدريك : هذا هو المنفى . . هذه صورة المنفى ، إنه وحيد ، هناك . . . .

(يحدّق الاشخاص الحضور بفضول في الغرفة

التي دخل اليها خوسيه ماركو . فجأة تسمع ضجة كبيرة فيها .)

آرثر : ما هذا ؟

المتروبوليت نيقولا : اصطدام بشيء ما . . .

آرنولد : الشمعدان الفضيّ ، سأدخل وأرى

(يدخل آرنولد إلى الغرفة ، يخرج منها بعد لحظات بتأثر شديد) ليس في الغرفة ، والنافذة مفتوحة . . .

فريدريك : يجب أن نبحث في الحديقة ، الذكريات أفقدته رشده . .

آرثر : المهمة دقيقة . سأجيء معك ، أيها الصيدلي . .

الكسندرين : طبعا ، اذهبا !

(في هذه اللحظة يدخل البيطري والمزارع)

المشهد الثامن

(المتروبوليت نيقولا ، آرنولد ، ميشيل ، كوريا ، فريدريك آرثر جوان ، فيسيل ، الكسندرين ، المزارع كوبي البيطري ، ثم ساعي البريد)

فريدريك : ها هما كوبي والبيطري . . .

كوبى والبيطرى : (معاً)، (بشيء من الذهول) : مونسينيور.

كـــوبى : صادفنا الآن في الطريق شخصاً غريبا . . .

الكسندرين : السّيد يسوع !

كـــوبى : رجلا ضخماً أســـود !

البيـــطرى : سألنا أين توجد الينابيع . . .

كـــوبى : وغاب . . .

فريدريك : انه خوسيه ماركو ، حامل البريد . .

كـــوبى : ؟ . . . .

البيـــطرى : ؟ . . .

المتروبوليت نيقولا : لاتندهشا ، ايها المزارع وايها البيطرى فهناك اشخاص من هذا النوع ، نسميهم مسافرين .. (بحركة من يده) وداعاً ، خوسيه ماركو !

(صمت)

المتروبوليت نيقولا : الجميع هنا ؟ لايجوز أن نضيّع لحظة . .

فريدريك : (هامساً لجوان) : أغلق النافذة ، وليبـــق سراً بيننا .

المتروبوليت نيقولا : (بأبهة) : سنكتب الى السيد بوبل . اليـــوم يوم البريد .

(يبدأ آرنولد بترتيب الكراسى والطاولات)

فريدريك : الكسندرين، ساعدى آرنولد . .

المتروبوليت نيقولا : اجلسوا كما تريدون ، هذا مهمّ جدايا أبنائى..

كونستان : أنا مع فيسيل . .

فيسيل : تعال . . .

(تجلس فيسيل وكونستان الى طاولة واحدة . يشغل المتروبوليت نيقولا مكتبا عاليا . — يكتب بريشة إوزة جميلة . جـــوان يكتب واقفاً مستندا الى طرف الخزانة الخ . . .)

جـــوان : الوقوف أكثر كآبةً . .

البيـــطرى : آرنولد ، لاأقدر أن اكتب . يدى ترتجف. اشتغلت كثيرا . اكتب عنى .

كـــوبى : وأنا ، مونسينيور ، لم أعد أرى . النعاس يثقل عينى ، هذا الصباح ، قبل الضوء ، زرعت حقلى .

المتروبوليت نيقولا : ارتاحا ، ايها المزارع وانت ايها البيطرى ، سنكتب باسمكما .

(في هذه اللحظة تسمع طرقات خفيفة على الباب . آرنولد يذهب ليفتح الباب .)

آرنولـــد : (للمتروبوليت نيقولا) : يسأل ساعى — البريد ان كان يستطيع ان يدخل . .

المتروبوليت نيقولا : مايزال الوقت باكراً جدا .

فريدريك : (لآرنولد) : ليدخل ان شاء الله، لكن ليبق في الظل ، البريد ليس جاهزا . . .

المتروبوليت نيقولا : صحيح ليختبئ وراء الخزانة . .

(يدخل ساعى البريد حاملا حقيبته الجلدية ، ويقف في زاوية منعزلة من الغرفة . الجميع يكتبون باوضاع مختلفة ، باستثناء فريدريك، الواقف وسط الجميع ، يحمل مسطرة بيده ، كانه قائد اوركسترا .)

(صمت)

جـــوان : (بصوت عال ، وهو يكتب) : نحن ياعمى

جميعا في بيت المونسينيور نيقولا . . — صورتك الفوتوغرافية بيننا . . .

(صمت)

البيطـــرى : انظر ، ايها المزارع ، يغضون ابصارهم ، ويحركّون شفاههم . . .

المزارع كوبى : يكتبون ، مجتهدون جدا . .

(صمت)

جـــوان : (وهو يكتب) : كان خوسيه ماركو يلبس معطفا اسود وقبعة من المخمل . . . كان — عطشـــان جدا ، اظن ياعمىّ أن ذلـــك رمـــز . . .

(صمت)

المتروبوليت نيقولا : (وهو يكتب) : ليست الفضائل الإلهية في متناول الناس جميعا ، واخشى أن اكـــون اخطأت فيما يتعلّق بلوقا ونيفون وبترول . نورنى ، ياصديقى القديم . . .

(صمت)

البيـــطرى : (مخاطبا كوريا) : انت ، لاتكتبين ؟

كـــوريا : (بجفاف) : كلا ، مصابة بصداع .

(صمت)

آرنولـــد : (وهو يكتب) : أرانا السيد ماركـــو – جزيرتَك من خلال النافذة . . .

(صمت)

فريدريك : كان يهطل مطـــرٌ عظيم ! (صمت) (فريدريك يتجه خفية نحو النافذة ، يفتحها بخفيةٍ شديدة) ها هى الجزيرة ! (بعـــد فترة) غريب ! غريب !

آرثــــر : آرنولد ، أريد أن أتصفّح التريماندور .

فريدريك : عجباً ولماذا أيها المعلم ؟

آرثــــر : أريد أن اعيد قراءة أحد فصوله . . .

(آرنولد يناوله التريماندور)

(صمت)

آرثــــر : شكـــرا .

الكسندرين : (منادية بصوت منخفض) : سيد فريدريك . . إننى ذاهبة . لاتنس حاشيتى .

(تتجه الكسندرين نحو الباب)

فريدريك : (لآرثر) : قل للسيد بوبل « غودمورننغ » من قبل الكسندرين . .

آرثــر : ! . . .

فريدريك : (لإلكسندرين وهي تخرج) : غريب ! غريب ! أنتِ امرأة ، ياالكسندرين وأفكاركِ مع ذلك ، متلاحمة . . .

(صمت)

آرنولــد : (وهو يكتب) : بقي البيت هو هو ، منذ سفرك . . الشمس كل يوم ، تدخل إلى — غرفتك . . . وفي ابريقك ماء . . .

(صمت)

آرثــر : (وهو يكتب) : لو كنتَ هنا ، ياسيد بوبل ، لما أزعجني الى هذا الحد فريدريك والآخرون . . .

(صمت)

فيسيل : (وهي تكتب) : كنت أخيط تحت شجرة تفاح . . . وحيدة تماماً في السكون مع خيطي الأبيض . وكان كونستان يمرّ قرب الحديقة.

(صمت)

آرثــر : (وهو يكتب) : اكتب اليك بجوار —

التريماندور ، كتاب الحكمة — ، أفكارك
.. أنتَ وحدك تمنحنى الهدوء . .

(صمت)

كونستان : (وهو يكتب) : لم يَثِق بعد المونسينيور نيقولا أنني أحبّ فيسيل بسببِ صورة . .

آرنولـــد : (وهو يكتب) : إنه الخريف في « باولا — سكالا » . . . نلبس الجوارب ، لكن الطقس مايزال جميلاً . . . وضوء القمر ، هـــذا المساء ، في مطبخنا . . .

(صمت)

المتروبوليت نيقولا : (وهو يكتب) : هل يمكن ان تكون — صورة سبباً للحبّ ؟ ليس لديّ اية خبرة. . . أرشدني ياصديقي . . .

(صمت)

ميشـــيل : (وهو يكتب) : عد ياأبي الى« باولا سكا لا » من اجل آرنولد، ومن اجل الكسيلسيور !

ستـــار

الفصل الثالث

(موت السيد بوبل)

المشهد الأول

(السيد بوبل الكسندر ، سوييز ، ساعة الحائط)

(غرفة معتمة تضاء تدريجيا . السيد بوبل يتمدد على السرير في منتصف خشبة المسرح، وقد رفع رأسه بالوسائد . الى جواره طاولة مليئة بالأدوية . يشرف عليه ممرضان يرتديان الأبيض . ساعة حائط كبيرة تمكن رؤيتها بوضوح ترسل دقاتها حيث يشير نص المسرحية الى ذلك .)

السـاعة : تيكْ تاكَ ، تيك تاك ، تك تاك ، . . الخ

سـويز : كاد أن يموت أمس . . .

السـاعة : تِيكْ تاك ، تك تاك ، تك تاك، الخ. . .

سـويز : كاد أمس أن يترك الحياة وطرقاتِ الأرض .

الساعة : تِكْ تاك ، تِكْ تاك ، تك تاك الخ . . .

الكسندر : حسناً . . لماذا لا يموت مادام يجب أن ينام ؟
منذ ثلاث ليالٍ نسهر عليه ، أود أن أذهب..

سويرز : أتساءل ماذا تقدران تفعل خيرا من جلوسك
هادئا في هذه الغرفة قرب هذا المجهول الذى
يموت والذى لا يضايقك . . (بعد فترة) وأنت
تتلقى أجرك عن ذلك

الكسندر : لا أتلقى أجراً لكيلا أنام . .

سويرز : هذه مهنتك . أنت الحارس هذا المساء،
يا الكسندر . .

الكسندر : لست حارساً ولا ممرضاً . قبلت المجيء الى هنا
لكى احصل على قليل من المال . . وكنت
أظن أنّ هذا سيكون تسليةً لى ، لكن موت
الآخرين رتيبٌ جدا ، أريد اخيرا اناذهب.
وانا في نهاية المطاف لا أعرف هذا الرجل
سواء عاش أو مات . . .

سويرز : انا كذلك لا أعرفه أكثر مما تعرفه . انه يدعى
السيد بوبل . كان عائداً الى بلاده في المحيط ،

حين أصيب فجأةً بمرض خطير في القلب ، فأنزل من السفينة هنا .

الســـاعة : تِلكْ تاك ، تِلكْ تاك ، تك تاك ، الخ . . .

الكسندر : تعتقد ؟ لم أتأمّله بعد . . (يقترب ويتأمـــل السيد بوبل بدقّة) عمره يتجاوز الخمسين . . الصدغان أشيبان . . . قوس الحاجب مجعـــد من التشنّجات . . . وله رأس فارس اوفلاّح ، فلاّح على الأرجح . .

(يسمع صوت صفارة ثلاث مرات مـــن بعيد . . .)

ســـوبيرْ : سفينة أخرى تسافر .

الكسندر : الثانية ، في هذا الليّل . .

الســـاعة : تِلكْ تاك ،تك تاك ،تك تاك . . . الخ . . .

الكسندر : (متمطّيا) : اريد أن أنام . . تنام أنت بعد ذلك . .

(الكسندر يغرق في كرسي ويغض عينيه)

ســـوبيرْ : طابت ليلتك ، الكسندر . .

الكسندر : طابت ليلتك ، ايها الممرض الحارس .

(تمر فترة)

سـويز : (بعد أن يتأكد من أن الكسندر نائم) : ممرض مساعد ، هذا .. هذا السكير ! في مستشفى أبيض (يهدده بيده) أنت بلا شرف ، ياالكسندر . . . من العار ان يُجمعَ بين الموت وأشخاص كهؤلاء .. (ينظر الى جهـة السيد بوبل .) لاأعرفه غير أنّ لباسه جميل لابدّ أن يكون له زوجة وأطفال .. وقـد يكون غنيا . . .

السـاعة : تكْ تاك ، تك تاك ، تك تاك ، الخ . . .

المشهد الثاني

السيد بوبل ، الكسندر ، سوبيز ، رئيس الاطباء ، الساعة (يدخل رئيس الاطباء ، شارباه صغيران ازرقان ، ويلبس قبعة بيضاء يحمل في يده سوطا يحركه بشدة .)

رئيس الأطباء : (يتحدث لنفسه) : حضوري ضروري. . (يطوف الغرفة دون ان ينظر إلى المريض يقف أمام سوبيز)

سـوبيز : مساء الخير سيدى رئيس الأطباء .

رئيس الأطباء : مساء الخير . أين المساعد ؟

سـوبيز : يرتاح . .

رئيس الاطباء : أيقظه . . ماذا تنتظر ؟

سـوبيز : (يهزّ الكسندر) : الكسندر . . .الكسندر...

(ينهض الكسندر ويظل واقفا ، مقطـب الحاجبين)

رئيس الأطباء : جيد . اكتمل العدد الآن . هل هناك مايُشار اليه ؟

سـوبيز : كلا . . لاشيء .

رئيس الأطباء : (لألكسندر) : وأنت ؟

الكسـندر : لاشيء . .

رئيس الأطباء : هل أكل ؟ هل شرب ؟

سـوبيز : كلا ، سـيدى .

رئيس الأطباء : هل بكى ؟ الرجل الذى يموت يمكـن أن يبكـى . . .

سـوبيز : لاأظـن . .

رئيس الأطباء : لستما هنا ، كما تبدوان ، في خدمة العلم . .
لاشيء لديكما تنقلانه الىّ ؟

ســـويز : نعم . . لقد تكلم . . أعني أنه هذى قليلا..

رئيس الأطباء : آه . . ومتى حدث ذلك ؟

ســـويز : منذ ساعة تقريبا . .

رئيس الأطباء : الموضوع ؟

ســـويز : لم أفهم .

رئيس الأطباء : أسالك عن موضوع هذيانه ، ان كنت تريد إفادتي .

ســـويز : لم اعد أعرف . . كان يكرر كلمة باستمرار الكلمة ذاتها دائما .

رئيس الأطباء : اذن ، لم يتكلم . . تعلّم ان تفهم . ان نتكلم يعني أن نلفظ جملةً على الأقل . .
(بعد فترة) لنجلس .

الســـاعة : تكْ تاك ، تك تاك ، تك تاك ، الخ . . .

رئيس الأطباء : تســـمعان ؟

الســـاعة : تكْ تاك ، تك تاك ، تك تاك ، الخ . . .

رئيس الأطباء : ما أسرع هذه النبضات . .

الســـاعة : تكْ تاك ، تكْ تاك ، تكْ تاك . . . الخ . . .

رئيس الأطباء : أقول لكما إن نبضه مضطرب جداً .

الكسندر : (متردداً) : هذه دقات الساعة . .

رئيس الأطباء : أوقفها . . أوقفها حالاً . . لايجوز أن تشوه تشخيصي للمرض .

(سوبيز يوقف الساعة بكثير من الحيطة)

رئيس الأطباء : الآن ترتب الأمر . (يخرج وهو يقول للممرضين) عالجاه بدواء الكافور .

المشهد الثالث

(السيد بويل ، الكسندر ، سو بيز)

الكسندر : من هو ؟

سوبيز : بهدوء ، يا الكسندر . انه الطبيب بى – بيرونى الاختصاصى ، العالم الكبير .

الكسندر : من قال ذلك ؟

سوبيز : لكنه عصبى جداً . .

الكسندر : إنه كغيره من الناس ، محدود الفهم .

سوبيز : طبعا ، كان تصرفه فيما يتعلق بالساعة فظاً ، لكنه لم يلاحظ الأثاث ، يجب أن نسامحه .

الكسندر : ثم انه يهتز من رأسه إلى قدميه ، رهيب

ســـوبيز : قلت لك إنه عصبيّ جدا .

الكسندر : ولماذا يحمل سوطا في يده ؟

ســـوبيز : يحب ركوب الخيــل .

الكسندر : من يمنعه ؟

ســـوبيز : لايمتطى الانسان حصانا في مرفأ ، يا الكسندر.

الكسندر : ربما . . (يتحدث لنفسه) إنه يُنَفّر بشاربه الأزرق واهتزازه .

(يضع الكسندر على الطاولة صرة صغيرة من الطعام ويفتحها)

ســـوبيز : تأكل ؟

الكسندر : نعــم .

ســـوبيز : لكن ألا تريد ان تشرب ؟

الكسندر : كلا لا أريد ان اشرب بالمال الذى يعطيني اياه المستشفى . سأشترى قبّعة . . منذ وقت طويل أشتهى ان يكون لى قبعة .

ســـوبيز : ألم تملك قبعة في حياتك ، يا ألكسندر ؟

الكسندر : كلا ؟

سويز : حتى حين كنت صغيراً ؟

الكسندر : لا أتذكر انى كنت صغيراً .

سويز : اذن . تريد قبّعة ؟ (يلمح صدفة قبعة السيّد بوبل الموضوعة على كرسى قرب السرير) يمكنك أن تأخذ هذه .. بعد قليل من الوقت . .

الكسندر : آخذ كل شيء من الآخرين إلا القبعة . .

(سويز يأخذ قبعة السيد بوبل وينظر اليها عن كثب ، ثم يناولها إلى الكسندر)

سويز : جرّبها .

(الكسندر يلبس القبعة ويسير في الغرفة وهو يأكل)

سويز : أظنّ أن عليّ أن أنام . .

(يجلس على كرسى ويغمض عينيه)

السيد بوبل : (بصوتٍ ضعيف جدا :) ثمة أشباح في غرفتى . .

(الكسندر يتوقف فجأةً ويسرع نحو سويز ويوقظه) . .

الكسندر : سوبيز .. سوبيز .. انه ينادى ..

(ينهض سوبيز وينحنى ، وينحنى كذلك الكسندر وهو يلبس القبعة ، فوق سرير — السيد بوبل) .

سوبيز : (بهدوء) : هل طلبت شيئا ، ياسيدى ؟

الكسندر : (هامسا) : سيرانى لابسا قبعته ..

(يخلع القبعة) ..

سوبيز : نحن هنا لنخدمك ..

السيد بوبل : (بتعب) : ألمح أشباحا ... (بعد فترة بصوت عادى) أشباحا ؟ آرنولد، افتح الباب لكى تدخل .. (سوبيز والكسندر ينظران بفضول الى الباب) «باولا سكالا..» ربيع عزيز على الموسيقى ... والابواب — لاتنطبق جيدا .

سوبيز : (لألكسندر) الطبيب حالا ...

الكسندر : أين هو ؟

سوبيز : في آخر المحش ... لاتخطئ .. الطبيب بى — بيرونى ، الاختصاصى

الكسندر : الذى جاء الى هنا ؟

سوبيز : نعم .. اسرع .. وأخبره أن الحالةخطيرة.

(يخرج الكسندر راكضا)

المشهد الرابع

(السيد بوبل ، سو بيز)

السيد بوبل : « باولاسكالا» .. « باولا سكالا » ...

سوبيز : الكلمة ذاتها دائما ...

السيد بوبل : اسمع ...

سوبيز : نعم ، سيدى. .

السيد بوبل : اسمع ، يا آرنولد . في ساعات الليل .. حين ينبح اكسيلسيور ، يدخل الى بيتنا غريب : ابنى ...

سوبيز : لك ابن ؟ كم عمره ؟

السيد بوبل : انه ابنى .. الحصان الكبير الضامر الذىيشبه القصبة .. والذى تقدر عينه ان تحمحم ...

سوبيز : أوه .. مهلاً .. مهلاً .. انه يهذى .

السيد بوبل : حينذاك أخرج معه .. لكى احبّ الربيع في

إطاره . . آه ما اجمل هذا الفصل ! تـــرى
ذلك يا آرنولد . . انا وابنى . . نسير في مرجٍ
خصيب وقاحل . . مرج من الحيوانات . .
اكثر عذوبة من ثمرتين متلاصقتين أنا وابنى !

سـوبيز : شيء محزن . . (ينظر في اتجاه الباب) أسرع ، ياالكسندر ، يجب أن نحول دون إنهاكه ، ياسيد ، ياسيد أنت في غرفة لاأفي مرج . . . لا تتعب كثيرا قلبك ،هدّىء من روعك . .

السيد بوبـل : يشبه الربيعُ آنذاكَ زجاجيّةً كشجرةِ التفاح بألوان كثيرة كعيون الغزالات . . . الأخضر . . المنعقد . . الحبيب . . . ينقل هيئتـه الى النهار والليل والقمر نفسه اكثر جمالا مـن البيوت المسكونة ! . . عيون الحياة تتفتح في أعماق الارض . . وبين الاوراق تتبعـثر العصافير الآن ، والوردة تتأوّه بين أشواكها . . كل شيء مجنون وعارٍ ، الزّهرةُ والماء.. ليتذكّرْ هذا كله ذلك الذى يعبر السهل ! الأخضر . . الأخضر .حتّى البهجة . ورشْح البحيرات . . .

سـوبيز : معه حق . . الربيع جميل إلى هذا الحد . . .

السد بوبـل : مثل ورقة . . أطير مثلَ ورقة . . تَرَأفوا . .

سـوبيز : يكفى ، يكفى ، ياسيد . . رأسك يموت قبلك . .

السيد بوبل : أناديكِ ، يامريم . . انا الطاهر مع جناحيك جسماً لجسم . . أنت جميلة كالأشياء التى رأيتها . . أولا ، لم يكن ابنُكِ في المشاهد الطبيعية ، ولم تكن قدمك الفضية في الأسرّة . . أحسدكِ يامريم ، السماء تغمرك بالحزن . . . وثمة غربانٌ لامست عينيكِ الزرقاوين . . تقلقيني ، تشغلين بالى ، أيتها الفتاة ! الأغصان مجنونةٌ بكِ . . .

المشهد الخامس

(السيد بوبل ، سوبيز ، الكسندر ، رئيس الاطباء ، المرضون .)

(يدخل رئيس الاطباء مسرعا يتبعه الكسندر وممرضون يحملون اجهزة طبية معقدة ، ولا معة .)

رئيس الأطباء : حضورى ضرورى . . .

سـوبيز : أوه . . نعم ، سيدى .

رئيس الأطباء : الحالة سيئة ؟

سـوبيز : كلا ، سيدى

رئيس الأطباء : ما الأمر ؟ (يلتفت ويخاطب المرضين الذين حضروا معه) . تراجعوا . . تراجعوا ، واسكتوا خصوصاً ! (إلى سوبير) ماذا ؟

سـوبير : الحالة سيئة ، يادكتور .. مضطرب إلى أقصى حد .. يتكلم ، يتكلم . .ينادى اشباحا . . . يرسم بيده أزهاراً ،وأشكالا غريبة . يَنضَحُ صوراً ، والقلب يتقصّف أوكذلك يادكتور أن دماغه انتهى . .

رئيس الأطباء : غريب جدا . (يمسك يد السيدبوبل ليفحص نبضه ، يضع رأسه على صدره ، ثم يخاطب الممرضين الذين حضروا معه .) يمكنكم ان تنصرفوا . انا سأبقى . .

(يخرج الممرضـون)

رئيس الأطباء : أحسنت باستدعائى . .

سـويز : كان حضورك ضروريا . .

رئيس الأطباء : لنستأنف الحديث . ماذا حصل ؟

سـويز : الآتى : كان المريض يرتاح ، هادئ الوجه وكنتُ على وشك ان أنام حين سمعتـه ـ

ينادى . . ظننت انه يطلبنا ، فقد كان صوته عاديا جدا وكانت حركته اليفة . . . اليس كذلك يا الكسندر ؟

الكسندر : نعم ، كان في حاله جيده . . .

سويز : حينئذ ياسيدى ، أخذ يهذى ، يدحرج — الجمل ، ويتعتع الكلمات . . . ، صار يلعب مع الشمس . . .

رئيس الأطباء : (يتحدث مع نفسه) : غيبوبة ، غيبوبة . . (الى سويز) لاتجوز المبالغة ، حالة هذيان لا غير . . .

سويز : ليس تماماً كأنما كان في ذلك شيء من القصد. كان ذلك جنوناً وحزنا . . وفي الوقت نفسه كان صحيحا إلى حد . . . كلا لاأعرف.. لم يقل غير الحماقات . . .

رئيس الأطباء : سنرى . (يجلس على كرسى قرب رأس السيد بوبل ، يخاطب سويز) اجلس . . (يلمح الكسندر) اذهب ونم اذا شئت ، ايها المساعد . .

الكسندر : أحب ان أصغى . .

رئيس الأطباء : حسنا . . اجلس . .

(صمت طويل)

رئيس الأطباء : (بغيظ) : لم يعد الآن يتفوّه بكلمة ؟

سـويز : (همسا) لاأسمع الا تنفسه . .

رئيس الأطباء : انا لاأسمع شيئا . . سماعتى ليست معى . . كيف يتنفس ؟

سـويز : (همساً) : صفيراً . الأفضل ان تتأكد . .

رئيس الأطباء : (همسا) : سكوت . . . (ثم بصوت عال، بعد فترة) لا أهمية لذلك . . لانستطيع ان نساعده ابدا . . .

الكسـندر : الن يشفى ؟

رئيس الأطباء : كلا . . هذا حكمى !

(صمت طويل)

رئيس الأطباء : (ناهضا) : لكن ، أخيرا ، لماذا لايتكلم ؟ تقدّم الليل . وهذه ساعة الجنون والهلوسة . (يأخذ سويز الى النافذة) تأمل الكواكب، سويز . . .

سـويز : صحيح ، وقت متأخر ، والطقس حار ..

رئيس الأطباء : (الى سويز) : يجب ان يتكلم .. تدبر الامر .. هذه مهنتك . ربما أكوّن فكرة عن مرضه اذا سمعته : فرصته الأخيرة ! .

سـويز : كيف أفعل ؟

رئيس الأطباء : لاأعرف .. لابد أن تدبر لى الامر . هذا هذا شغلك . .

سـويز : (يقترب من السيد بوبل) : ياسيد ، — ياسيد ... كنت تتحدث عن الربيع .. هل تذكر .. فصل الازهار والمياه ..

(رئيس الاطباء والكسندر ينظران إلى سويز باهتمام كبير ..)

السيد بوبل : —...

سـويز : عصفور يغنى .. آخر يبنى عشه بالقش ..

السيد بوبل : ...

رئيس الأطباء : ماذا تثرثر ؟ .. اسكت ايها الممرض ..

سـويز : تحدثت عن الربيع . هذا ضرورى لانه كان موضوع هذيانه ..

رئيس الأطباء : الربيع ؟ غير ممكن . . ان انسانا في مثل حالته يختار فصلا آخر . . ليس الربيع فصل الموتى ، يا سويز . .

ســـويز : مع ذلك لم يردّد غير هذه الكلمة . .

(صمت)

رئيس الأطباء : لا أفهم شيئا . .

الكسندر : (الى سويز) : هذا هو الصيف ، وسيموت فيه . فلماذا يتحدث عن الربيع ؟

رئيس الأطباء : طبعا ، سويز . .

ســـويز : ليس للهذيان أية علاقة بالعقل . .

رئيس الأطباء : ومـــن أخبرك بهذا ياسيد ؟ أرجوك ، احتراما لمهنتي ، الا تتفوّه بهذه الحماقات لا تكابر . . الهذيان طفل العقل ، لكنه طفل وحشي ، ولدٌ عفريت . . لم يدخل المدرسة ، لم يشبع ، مُوسَعٌ ضرباً ! لهذا يبدو لك غريبا ، ياسَيد سويز . .

(يمشي جيئةً وذهاباً بعصبية زائدة) يجب أن يتكلم . . الوقت يستوجب العجلة . أريد

هذياناً .. إنه تجربة ، تجربة غنية جداً تستهويني .. (يتحدث مع نفسه) تتمكّن من أن تدخل إلى علبة القلب ، وتنظر .. تُخيّط بالكلمات عرفا مَشْقُوقاً .. تراقب جريان الدم .. اوه .. يجب أن اسافر في رأسه .

(يخاطب سويبز والكسندر) هيّا ، ساعداني . قلدّا صوت الحجل . اثْغُوَا ثم اثْغَوَا .. تحدثا عن المال .. لم لا ؟ اعتبر نفسيكما طائرتين ، زَأْزِئا ... ارميا ، ارميا الطعم . ذكرى ، وشوشة ، استعادة بسيطة .. كلها يمكن أن تنتزعه من الصمت ، وآنذاك تعرفان كيف يشفى مَرْضى المستقبل . (يمسك بذراعي سويبز والكسندر ويسير بهما امام سرير السيد بوبل) قفا هنا .. وابْدءا التمارين (يبتعد ويبدو في حالة من الإلهام) انني أنتظر ...

المشهد السادس

(السيد بويل ، رئيس الاطباء ، القبطان كراول ، الكسندر ، سوبيز ، النوتيان .)

(تسمع اصوات طبل وبوق تقترب من الغرفة)

رئيس الأطباء : ماذا يجرى ؟

(يقرع الباب فجأة . يفتح سوبيز . يبدو شخص يلبس بزّة بحرية رائعة ووراءه نوتيان يعزفان على الطبل والبوق . يتوقفان عن العزف منذ أن ينفتح الباب ويحيطان بالقبطان وهو يدخل .

القبطان طويل ، قوى ، بعارضين طويلين ابيضين ، وقبعة مقرّنة ، يتأبط منظارا .

يذهل رئيس الأطباء وسوبيز والكسندر من هذا المنظر) .

القبطان كراول : (مقدّما نفسه ، بينما يبقى النوتيان في الخارج) القبطان كراول ، قائد الرحلات البحرية الطويلة . .

رئيس الأطباء : بى - بيرونى ، الاختصاصى .

القبطان : ماذا ؟

رئيس الأطباء : انا الطبيب . أظن أنك آت للاستفسار عن صحة السيد بوبل . . .

القبطان كراول : المسافر معى ، تماماً . . كيف حاله ؟

رئيس الأطباء : لاتُعرف بعد ، حالته غير معقولة . لا يموت ولا يشفى.

القبطان كراول : هكذا ، لم تتحسن صحته !

رئيس الأطباء : لا أقدر أن أقول شيئا . . لم يعد هذا مرضاً ياسيدى ، بل مغامرة ! القلب قوىّ ، لكن فجأةً يتوقف عن الخفقان . . وعقله جيد ، بارع ، وفجأة يفقد رشده . . .

حينذاك يصرخ ، يهتاج ، ينادى أشباحاً . . أظنّ أنه سيموت قريبا . . .

القبطان كراول : هكذا . . .

رئيس الأطباء : ان توقعاتى لاتكذّبنى أبداً . أبحر . لا تنتظر أيها البحار . .

القبطان كراول : (بقوة) : انا القبطان كراول . .

رئيس الأطباء : أبحر ، ايها القبطان ، فهو سيموت حتماً لاتنتظره . أتحمل المسئولية كاملة . . فكّر بسفينتك وركابها الذين يضربون أرضيتها بأرجلهم . . انطلق واغتنم الريّح ! .

القبطان كروال : هكذا ؟ . .

رئيس الأطباء : وهل هناك من شيء أكثر طبيعيــة ؟

القبطان كراول : ؟ . . .

رئيس الآطباء : لا تلحّ ، ياسيدى ، اذهب . ان خطوات الموت في هذه الغرفة . . ليتك تقدر أن ترى . . لو أن أرضية البيت من الرمل ، لو أن الهواء ينسحبُ فجأةً . . لأريتُكَ إياه . . هنا ، أو هناك بين الممرضين ، او نائماً عند قدميك . . .

القبطان كراول : هذه لغةٌ لا أحبّها . .

رئيس الأطباء : فليكن . . اذن ماذا تريد أيها البحار ؟

القبطان كراول : المسافر . . آتٍ لآخذه . .

رئيس الأطباء : (مخاطبا الممرضين) : سمعتما ؟ جاء ليأخذه . يريد أن يحمل تفاهة التفاهات !

سويز : ليس إلاّ طاحونةَ كلام ، ياسيدى .. نستطيع أن نشهد على ذلك .

الكسندر : لم يعد يعرف الفصول ولا مميزاتها الخاصة ...

القبطان كراول : السيد بوبل لم يعد يعرف الفصول ؟ .. (بضحكة كبيرة) تمزح . (يشير بأصابعه انها أربعة !

سويز : (يقترب من كراول ويوشوشه) : حالته خطرة جدا ، ياسيدى ..

القبطان كراول : ابتعد عنى ، يا خادم المرضى ، (يفتح الباب فجأة وينادى البحارين) ايها البحاران .. ادخلا إلى هذه الغرفة واحملا هذا الرجل انقلاه ، وفي اسوأ الاحتمالات سيموت السيد بوبل على سفينتى وسيُلقى في البحر !

رئيس الأطباء : (مغلقا الباب) : اخرجا ، اخرجا .. اذهبا انتما وهذه الزعانف ، ايها البحاران ! (مخاطبا كراول) هذا الرجل يموت ، انه في صراع من آلاف الأحداث . لاتلمس ثيابه ولا تجاعيده ، لا تزعجه ..

القبطان كراول : لابأس . . لكن في المرفأ سفينة هي ملكي وأحشاؤها ممتلئة أنفاساً. إنها لاتستطيع انتنتظر . .

رئيس الأطباء : لستمعتادا على القطران والصوارى . . مع ذلك أكرر عدّ من حيث جئت ، أخرج أيها القبطان!

القبطان كراول : لو كان الأمر يتعلق بى وحدى ، ياسيدى ، لكنت الآن في عرض البحر ، دون أن اشغل فكرى بهذا الرجل . . لكن البحارة ولآلات والمسافرين لايريدون ان يتحركوا بدونه . . ثق بما أقول ان استطعت .

رئيس الاطباء : ؟ . . .

القبطان كراول : حين استقل سفينتى ، كان مسافراً كبقية المسافرين ، رجلاً في الخمسين من عمره ، صدغاه شائخان جدّاً ، ومعه عصا فضية — لايكاد ان يلامسها ، لكى يشير الى عدم اكتراثه بثروات الأرض . كان يلبس قبعته على طريقة نبلاء المكسيك ، لكن يجب ان أعترف ان بريق عينيه كان طبيعياً جدا . لم يكن يكلّم احدا ، ولا يطلب شيئا وكانت على شفتيه دائما ابتسامة صغيرة يدّخرها للأجوبة . وغالبا ما كان يُرى في الليل يمشى وحده مع ظله ، فقد كان يحب الريح التى —

كما يعبرّ — « تغسل الكلام من أكاذيبه » .
وأعتقد أنه كان يبتكر أمثالا . « واحـــد
وواحد لايساويان اثنين أبداً ، إلا اذا كان
ثمّة اتفاقٌ على ذلك . » أو مثلا : « نُطْقِ
الكلمات جيّداً ملزمٌ للفكر . »

رئيس الأطباء : أمثالا ؟ ما أكثرها !

القبطان كراول : يختلف الأمر في عرض البحر ياسيد ، عنه في الشارع . للكلمات في البحر معنى — متميزّ .. وباختصار ، سرعان ما أصبح سيد الرحلة . لاتسأل عن السبب هل لانه أثار شعورنا بعطفه ، ام لأنه كان يحسن الكلام ؟ ... أبناءُ الدنيا مدهشون . . كانوا يستشيرونه عن الماس وحالات الروح ويرجونه ان يحدد وضع السفينة على الخريطة. صار رأيه أكثر أهمية من السّفر . وفي— الليل حين يكون البحر هائجاً وسفيهاً كالجريمة وحين تضيع النّجوم في الضباب ، كـــان يخبر البحارة أن في البحر من الماء أكثر مما فيه من القوة ، وان الريح ابنةٌ لشجرةٍ —

الزيتون ، وأشياء من هذا القبيل كان يؤلّف حوله حلقةً من العيون والآذان كصفّ – الاطفال ، يناقش فيها قلب الانسان وبساطة الكلاب . كان الضباط يشاركون في هذه الاعياد اللغوية ، وتحولت سفينتي إلى نوع من اخويّة إلهيّة ، وشيطانية إلى ناد ! لم استمتع في حياتي ابدا كهذا الاستمتاع . كان بعلن : « يا ضبّاط البحر ..يا ضباط البحيرات ، احذروا ، لامن النّظّارة التي تاخذ عيونكم بعيدا ، ولا من خبرتكم – الضئيلة في مجابهة الأعاصير ، بل من ميْل قبّعتكم ومن عقدتها ، ذلك أن السّفر يبنى الشباب ويهدم القبّعات » ها . .ها . ها . . ها . .

رئيس الاطباء : عجباً ! هذا قريب من الصحة .

القبطان كراول : وفجأة ، سقط مريضاً . كنا آنذاك في – عرض البحر ، في الجهة الثانية من البلدان التي تبدو فيها الشمس كالعين الغريبة . من ذلك الوقت لم يترك السيد بوبل سريره .

التمس العزلة والتّسامح . ماذا يهمّ ان ننام ساعة او سنة او الحياة كلها ، إن كان نومنا هادئاً . وقد كلّف آنجيل ، المهندس في السفينة ، بالسّهر عليه ، من خلال النافذة.

رئيس الأطباء : هذا هو الصواب في الواقع : فالقلب مضخّة

القبطان كراول : ومرت الأيام هكذا في القلق والهدوء .) يتحدث مع نفسه) مسكين ! أتذكر — (مشيرا إلى قبعة السيد بوبل) هذه القبعة ككلب أسود على طرف سريرك . وذلك المساء ، حين حملت اليك على نقالة صنعت من مجدافين ، كانت تواكبها السفينة كلّها. كان آنجيل يحمل مصباحا وينشر المعلومات . كان يكرّر انه كان للحب مكانٌ في صدر الانسان ، أي للايمان الصادق والشرف .. . وانه لايجوز ان نتخلى عن السيد بوبل ، بل علينا ان ننتظره ونشفيه . . وان مــن يخطر له ان يتخلى عنه ، سيبتلعه الشيطان ، وتهجر الدموع عينيه إلى الابد . . اللعين آنجيل. . . كل يتمتم جملا . . .

(في هذه اللحظة تسمع صفارة الباخرة ، ثلاث مرات .)

القبطان كراول : سمعتم ؟ .. إنها الاشارة .. تظنون أن سفنا كثيرة الى الحد تدخل إلى مرفئكم — وتخرج ؟ عودوا الى رشدكم .. هذا هو آنجيل ، المهندس آنجيل ، يخبر السيد بوبل اننا لن نتخلى عنه . المسافرون يتناوبون منذ ليالٍ لكي يطلقوا هذه الاشـــارة !

(يسمع من جديد صفير الباخرة .)

الكسندر : أعرف آنجيل جيدا .. سكّير .. يشرب. . باستمرار .

رئيس الأطباء : أيها المرض ، لَمْلِمْ لسانك ..

القبطان كراول : (لالكسندر) : ضابط كامل ، ياسيد ، رغم ذلك ..

الكسندر : آنجيل ؟ يتسكّع في الحانات حتّى الفجر ، ويرقص !

رئيس الأطباء : الاوقيانوس يرقص كذلك ، أيها المرض . لِنَنْسَ ذلك .

الكسندر : (بصوت منخفض ، باسماً) : آنجيل . . .
(يتراجع الى موخرة الغرفة ، محركا رأسه بغرابة ، كما لو ان اسم آنجيل يثير في نفسه ذكريات مفرحة .)

القبطان كراول : وهكذا ترسو سفينتي في المرفأ ، دون حراك من المستحيل تحريك مروحتها اولمس سلسلة المرساة . اصدر أمرا يبقى دون تنفيذ !

رئيس الأطباء : هذا عصيان ، عمل غير قانونى . ايــن سلطتك ايها القبطان ؟ . . . لباسك ذهبي . .

القبطان كراول : سلطتي ؟ جئت الى هنا بالضبط لكى أمارسها غداً ، عند الفجر ، سيسافر السيد بوبل !

رئيس الأطباء : مستحيل . . . اين اذن ضميرى المهنى ؟ وأهليتي في رعاية المرضى ؟ هل فقدت — صوابك ؟ المريض لايسافر أبدا (بسخرية) إلا الى ملكوت الأشباح !

القبطان كراول : هذا لم يعد مقبولا ، ابتعد من هنا ايها — الصعلوك ! تأخرت سفينتي يومين والشركات

البحرية لاتسامح ، غدا يستأنف السيد بوبل سفره . .

رئيس الأطباء : ومهنتى كطبيب ؟

القبطان كراول : ومهنتى كبحار ؟ . .

رئيس الأطباء : انهما تلتحمان ، ياسيد . . وانت فوق هذا كبير جداً الى حد فقدت معه القدرة على التمييز . (يشير الى اوسمة كراول) ما هذا ، اذن ؟ معدن ! الفلّين أكثر ملاءمة. اليس كذلك ، أيها البحار ؟ (مشيرا الى المنظار الذى يتأبطه كراول) وهذا المنظار ؟ آه . . أفهم لماذا لاتدرك الأشياء : انت — دائما بعيد ! يجب الاقتراب من الأشيـــاء للافادة منها . تذكّر أن الثمار تقطف باليد وأنت كذلك فاقدٌ حسّ اللياقة : تجيء وتجلب معك الطبول ! لو أنك دخلت إلى هذه الغرفة راكبا حصانا ، وكتاب الصلاة في يدك ، لكانت دهشتى أقل . . .

القبطان كراول : إذا كنت قد سرت في هذه المدينة المظلمة بشعاراتى كلها ، ترافقنى آلات موسيقية

فانني بهذا قبل كل شيء ، امجّد الكرة الارضية ، ياسيد ، لأنني بحّار !

انت لاتطاول بفهمك عظمة هذه المهنة ، ولا أُلحّ .. قلت ما يجب أن اقوله . إلى الغد (مشيرا إلى السوط الذى يحمله رئيس الاطباء) ايها المرضان أعطياه مروحة لكى يميّز بين البرغش والفراشات ... ها ! .. ها ! .. ها ! .. ما اوسع فضاء البحر ! ..

(يخرج وهو يضحك بشدة . تسمع اصوات الطبل والبوق وهما يبتعدان .)

رئيس الأطباء : موسيقى في الممشى ؟ ... اوركسترا كاملة ! مجرم ! فاجر !

سويز : فقد حسّ اللياقة ..

رئيس الأطباء : طردته ! (بعد فترة) رجال البحر ليسوا مثلنا نحن الآخرين ، الممرّضين.

لهم عينٌ مدورّة كعين الشبّوط لا يرون شيئا ، وهذا طبيعى لأنهم دائما أمام اتساع البحار ! يظنّ البعض أنهم شاعريون .. وهذا ليس من رأيى : إنهم كامدون أولا

مبالون .. الكواكب ، بالنسبة اليهم ، أدواتٌ مفيدة ، والريح نقطة ارتكاز .. ويتحدثون عن البحر حديثهم عن صديقة جميلة : فَهلاّ عرفوه على الأقل ؟ ... البحر عميقٌ ، في الأسفل ... وليس على السطح حيث تعوم آلاتُهم .

صدّقاني أن البحّارة مساكين يأكلون قلوبهَم في الوحدة ! (رئيس الاطباء على وشك الخروج) ... « انا القبطــان كراول ... »

سـويبر : يادكتور ...

رئيس الأطباء : ماذا بقى ؟

سـويبز : هل نستمر في إعطاء الدواء للمريض ؟

رئيس الأطباء : كلا ، اترك للطبيعة أن تفعل فعلها .. (بعد فترة) ستقتله !

المشهد السابع

(السيد يويل ، سوييز ، الكسندر)

سـويبز : لا أفهم شيئا مما حدث ..

الكسندر : أنا ، خطرَ لى شيء . . (مشيرا إلى السيد بوبل) هذا رجل ليس كالآخرين . .

سويز : لماذا ؟

الكسندر : لماذا تسألنى عن السبب بعد كلّ ما سمعته الآن ؟ (يهز كتفيه) نم ، ياسويز ، فالليل مصنوعٌ للنوم . .

(يتمدد سويز في المقعد ويتهيأ للنوم . يراقبه الكسندر وبعد أن يراه نائما يقترب من السيد بوبل وينظر إليه طويلا . يأخذ القبعة ينفضها باصبعه ويضعها في مكانها ، ثم يصلح ثنية الغطاء .) .

الكسندر : صديق صديقى آنجيل !

(صمت طويل . يتنزه . الكسندر ببطء في الغرفة ويغنى بصوت منخفض ، ثم بصوت أعلى ، ملاحظا باستمرار السيد بوبل ليرى إذا كان يسمعه . ثم يصمت ويخرج من جيبه مزمارا يعزف عليه . . .)

الكسندر : لا أزعجه . . . (يعزف اللحن ذاته الذى عزفه سابقا . . يدير طرف المزمار في اتجاه

النافذة . . .) صوت المزمار طويل أكثر مما هو عريض . . .

السيد بوبل : (يفتح فجأة عينيه باحثا عن شيء ما). أنا الذى كانت تزعجه في طفولته آلة الخياطة .

الكسندر : (يفاجأ ويتوقف عن العزف) : أخطأت . . . (بعد فترة يلاحظ أن السيد بوبل أغمض عينيه من جديد ، فيعزف ثانية) .

السيد بوبل : كان الماء يتدفّق راجماً حنجرته . . .

الكسندر : الحق عليّ . .
(يخبئ المزمار في جيبه) . .

السيد بوبل : (عيناه مفتوحتان) : كان لصوان السفرة برجٌ . . . كانت العمّة بالودا الكآبةَ نفسها . . . والعمة ايدورا قِصَرَ البصر ، كانت كذلك جدّة مشعّثة . . . وكان الضجيج يُولد ، كلما هجر الحمام المدينة . .

الكسندر : . . . .

السيد بوبل : لو كان لى شاربان ، لكنت أربيهما كحمامتين . . . هكذا كان يقول عمى سالّوست . . .

(الكسندر يبتسم) كان في الحديقة إذن شلاّل عالٍ جداً . . . والماء يتدفّق راجماً حنجرتَه . . . والبيت هادئ . أبيض . كنا ندخل إلى الحديقة يرافقنا الخوف من أشجار التفاح التي تحمل أثقالا زائدة . . والحُمُر البرّاقة تركض بخطواتٍ مرسومة . . . كانت يداى في ذلك الوقت متّرجرجتين مليئتين بالحصى .

الكسندر : . . . .

السيد بوبل : أخيراً ، كان لأمى علبـــة كبريتٍ لمنتصف الليـــل . حين تكون الصّلوات خطفًا . . .

(صمت)

الكسندر : (متنهدا) : العائلة جميـــلة . . .

السيد بوبل : (ناظراً إلى الكسندر) : لكن من أنت ؟

الكسندر : تكلمنى ؟

السيد بوبل : لماذا تلبس لباساً أبيض ؟ لا أراك . اخلع هذا اللون الأبيض . . يجب أن أتعرف اليك . .

الكسندر : (بهدوء) : لم نتقابل أبدا . . . اسمى الكسندر . . (مشيرا إلى لباسه) هذا ليس لباسى . . .

السيد بوبل : اخلع هذا اللون الأبيض . . .

الكسندر : لباسى غير لائق ، يا سيدى . .

السيد بوبل : (بالحاح) : احب أن اراك . (الكسندر يخلع ثوبه الأبيض ، تبدو تحته ثيابه الممزقة التى تدل على الفقر الشديد . ينظر اليه السيد بوبل طويلا) كلا . . . لا أعرفك . . أنت لا تشبه أحداً . . لماذا أنت قربى في منتصف الليل ؟

الكسندر : أنا قربك لأن هذا ضرورى. لا تحكم عليّ من هيئتى : اطمئنّ ، فأنا صديق . .

السيد بوبل : اصدقائى أحرارٌ في وجوههم . . لو كانوا هنا . . لكانت عيونهم ملأى بالدموع . .

الكسندر : أكيد ، يا سيد ، أكيد . .

السيد بوبل : اذهب إليهـــم !

الكسندر : ؟ . . .

السيد بوبل : انى اتمتع بكامل قواى العقلية، اذهب اليهم ... إلى « باولا سكالا» . . يا ألكسندر المسكين

الكسندر : لا أهمية لذلك . . سواء كنت هنا أو هناك . .

(بعذوبة) اترك التفكير . . حاول أن تنـــام قليـــلا . . .

السيد بوبل : (بسرّية) : في « باولا سكالا »، أثناءا لليل، في مثل هذه الساعة لاتعود الأشجار تتبادلالتحية بسبب الظلام الشديد . .هناك في جوار النهر جسرٌ عتيق هو صورة الصّبر نفسها .. . واكسيلسيور ، كلبي الكبير ينام ..

الكسندر : نعم ، سيدى . . .

السيد بوبل : البيوت ملأى بالمصابيح . . . وفي ضوئهـــا خبزٌ . . . في « باولا سكالا » ، أثناءالليلتكون الأدوات المرتاحة سعيدة، كالأشخاصالذين يحرثون الأرض ، كالأشخاص الذينيأكلون ويشربون قليلا لأنهم أقوياء . . سيستقبلك آرنولد وميشيل ابني . .. « صباح الخير ياسيد الكسندر » . . . وسترى أن الحياة ليست بلا مبرر . . السعـــادة في « باولا سكالا » حَدَثٌ عادى جدا . .اذهب إلى هناك ، وقل لهم : « لا وليمة إلا يدعى اليها فقيرٌ أو بحار ، لكن تَرَأفوا بالغريب » .(الّريماندور)

الكسندر : ؟ . . . .

السيد بوبل : كرّر . .

الكسندر : « لكن ترأفوا بالغريب » . .

السيد بوبل : « التريماندور » . .

الكسندر : « التريماندور » .

السيد بوبل : وداعا ، الكسندر باولا سكالا . . .

(يغمض عينيه من جديد)

الكسندر : لابد أن تكون هذه مدينة صغيرة ، قرية ، له فيها أملاك . . لم أسمع قط بهذا الاسم . . « باولا سكالا » ؟ . . . يتكلم الناس كثيرا عن الأماكن التى عاشوا فيها ، لانعدام الرجاء . . وأين هى ، قبل كل شىء ؟ ومن يكون ميشيل وآرنولد والآخرون ؟ انهم لا يعرفوننى . . . لا قبعة عندى ولا شىء . . وماذا سأفعل عند أشخاص يتكلمون مثله ؟ . . . ليس الكلام الجسد ولا الخمر ، وليس الحياة . . ثم شقاء آخر ، الآم أخرى غير التى يتخيلها الدّماغ . . (باسما) اكسيلسيور . . كلب كبير . .

« قرب النهر ، جسر قديم هو صورةالصبر نفسه » . . . لماذا لا أذهب إلى هناك ؟ . . . الكسندر باولا سكالا . . لكنّاقسم أنه آوانى . . . « وسترى أن الحياة ليست بلا مبرر . . » سيطردوننى أعرف الناس جيدا . — « من أنت يا الكسندر ؟ . . » (الكسندر يجلس ـــ ويتأمل طويلا) . « باولا سكالا » . . اذهب اليهم . . امضى إلى هناك . . .

(تسمع في هذه اللحظة صفارة آنجيل . . بعد لحظة ينام الكسندر)

المشهد الثامن

(السيد بوبل ، آرنولد ، سويبز ، الكسندر ، اصوات)

(سويبز والكسندر نائمان . السيد بوبل يهذى يظهر آرنولد للسيد بوبل)

السيد بوبل : آرنولد الأمين ، اقرأ لى فصلاً ، مادمت هـــنا . . .

آرنولـــد : ليست هذه ساعة القراءة ، ياسيد بوبل ، فكرّ في نفسك ، خذْ راحتَك . .

اصـــوات : (معا) : ضاع « الترِيماندور » ... ضاع « التريماندور » .. لن نعثر عليه بعد الآن ..

السيد بوبل : ضاع « التريماندور » ؟ ... آرنولد — أعطني « التريماندور » !

آرنولـــد : ها هو ، ها هو ... سيد بوبل . سأقرأ ..

« من يفكر ولايتكلّم

يأخذه حصانٌ الى التّوراة ... »

(فجأة يبدأ آرنولد بالبكاء)

السيد بوبل : مالك ، آرنولد ؟

آرنولـــد : لاشيء .. يامعلّم .

(يقرأ من جــــديد)

« من يفكّر ولايتكلم

يأخذه حصانٌ الى التوراة ... »

لم اعد أستطيع ، يامعلّم ، صوتي متقطع.

السيد بوبل : « يأخذه حصانٌ إلى التوراة ...

والعصا لاتخيفه ..

لأن الرّوح لم يتركه أبدا ... »

آرنولـــد : (بعد فترة) : « من يحلم يمتزج بالهواء . . . »

(يغيب آرنولد .)

المشهد التاسع

(السيد بوبل ، سوبيز ، الكسندر ، النجارون ، النخاسون ، عمال البناء ، رئيس العمال الأول)

(سوبيز والكسندر نائمان ، السيد بوبـــل يهـــذى يظهر النجارون والنخاسون ، — وعمال البناء ، ورئيس العمال الأول)

رئيس العمال الأول : (مناديا) : فريق النخاسين . . . اصفر ، يارئيس العمال !

النخاسون : (يتقدمون وهم يغنّون) : هـو — هو .. ! هو — هو !

رئيس العمال الأول : في الصف أيها النخاسون . . فريق المصممين . . .اصفر ، يارئيس العمال !

عما البناء : (يتقدمون وهم يغنون) : هو — هو . . ! هو — هو . !

رئيس العمال الأول : في الصّف . . راوحوا في مكانكم يا عمّال

البناء (يراوحون) قِف .. قفوا ياعمال البناء .. فريق النجّارين ..

النجارون : (يتقدمون وهم يغنون) : هُو — هـو . ! هو — هو .. !

رئيس العمال الأول : في الصف أيها النجّار ون .. (النجارون يراوحون في مكانهم ، وبعدهم النخاسو ن فعمال البناء) قفوا ، قفوا ... ايها — النجارون والنخاسون وياعمال البناء ... قف .. (يخاطب السيد بوبل) الرجال كلهم حاضرون ، ياسيد بوبل ..

السيد بوبل : والمحرّكات ؟ ...

رئيس العمال الأول : (بعد صفرة قصيرة) : إلى مراكزكم ، ايها الكهربائيون والميكانيكيون !

السيد بوبل : (بصوت متعب) : هل زيتم المحركّات وسقيتم الحفّارات ..

رئيس العمال الاول : جربوا المحرّكات ..

(يسمع هدير المحركات) .

السيد بويل : حسنا . . . والحبال ؟

رئيس العمال الأول : اوقفوا المحركات . . افحصوا الحبال !

السيد بوبل : والرافعات ؟ والزنوج المختبئون في الأدغال ؟

رئيس العمال الأول : افحصوا الرافعات . . تحققّوا من كل شيء . .

(تمر فترة)

رئيس العمال الأول : نبدأ ياسيد ؟ الساعة تجاوزت الثامنة . .

السيد بوبل : (بصوت متعب) : لحظة . . ماذا يفيد العمل ؟

رئيس العمال الأول : هل تعني ذلك حقا ، ياسيد بوبل ؟

السيد بوبل : حقا ، يارئيس العمال الأول . . قل للجميع أن يعودوا إلى بيوتهم ويناموا في النهار للمرة الأولى لأجلي . . اصفر يارئيس العمال الأول . .

(صفير طويل . . يغنيب الاشخاص .)

المشهد العاشر

(السيد بوبل ، فريد ريك ، آرثر ، سوبيز ، الكسندر)

(سوبيز والكسندر نائمان . السيد بوبل يهذي شأنه في المشاهد السابقة . يظهر له فريديك ثم آرثر)

فريدريك : غريب !. . . غريب . . !

السيد بوبل : من ؟

فريدريك : غريب . . !

السيد بوبل : آه . . ! فريدريك . . .

فريدريك : صيدلى «باولا سكالا» . .

السيد بوبل : طبعاً ، هذا لقب . اجلس هناك ، فريدريك واخبرنى ماهو الغريب ؟

فريدريك : قفزت فوق سياجٍ لكى أصلَ اليك . .

السيد بوبل : هذا كل شئ . . ؟

فريدريك : نعم ياسيد بوبل ، قفزت سياجاً ، آرثر وانا .

السيد بوبل : هل آرثر معك ؟ لا أراه . . .

فريدريك : انظر جيدا . . إنه هناك . ينام مع المرضين .

السيد بوبل : (ينظر إلى الكسندر وسوبير) : صحيح . . .
إنهم ثلاثة . . .

فريدريك : ألا تعرف ؟ . . . آرثر لم يعد يعلّم الاطفال . دخل الدّير . يزعم أن الايقونات وأبناءَ القدّيسين بصورة عامة يضيئون في الصّمت . . بينما الأطفال الصغار . . .

السيد بوبل : (يقلق فجأةً) : ماذا قال عن الأطفال — الصغار ؟

فريدريك : آليّون كثيراً . . ومع انهم يحلمون عاليا ، فان قلبهم بؤرةٌ للخبث ، بينما أبنـاء القديسين . . .

السيد بوبل : أكيدٌ ان المقارنة مستحيلة . .(في هـذه اللحظة يظهر آرثر بلباس راهب . . يسير بخطوات بطيئة جدا . .)

السيد بوبل : آرثر ، معلم « باولا سكالا » .. لماذا تركت مدرستك . . والاطفال ؟

آرثـر : **انا راهب . . . راهب شيخ في العشرين من عمره . لم يعد اسمى آرثر نادنى سيرابيون**

الراهب . . انا خليّ البال . أمشي في ديـــرٍ طويل . . . انا صافٍ . . . حمداً لله . . حمداً لله . . .

فريدريك : (هازئا) : سيرابيون؟ هــل سمعت يــا سيد بـــوبـــل ؟ . . . . . ها ! ها ! . ها ! . ها ! . .

آرثـــر : لاتهنيّ ، يافريدريك . . لاتمسّني . . . أنا راهب . . نحلتُ إلى درجة فقدتُ معهــا جسمي . . . لم يعد على أيّ واجب . .أوه يا آلهي أبعد عنيّ الأطفالَ الصغار من أجل راحتي وغنى روحي . . . . قُدّوس ! . قُدّوس !

(آرثر يبتعد ويغيب مع صوت الأجراس)

فريدريك : (يغيب بدوره) : غريب !

المشهد الحادى عشر

(السيد بوبل ، خوسيه ماركو سوبيز ، الكسندر)

(الكسندر وسوبيز نائمان . خوسيه ماركو يظهر للسيد بوبل .)

السيد بوبل : اين أنت ، ياخوسيه ماركو ؟ خوسيه أين أنت ؟ . . .

خوسيه ماركو : (بصوت بعيد) : على جبل عال . . .

السيد بوبل : خوسيه . . . هذا أنت ؟ أكاد لااسمع صوتك . . . انت بعيد جدا . . اليس كذلك

خوسيه ماركو : على جبلٍ عال . . .

السيد بوبل : لماذا هجرت الأماكن المأهولة بالحياة والناسِ والشّجر والكلاب ؟ لم أعد اراك حتّى في الذاكرة ، أين أنت ؟

خوسيه ماركو : على جبل عال بين العواصف . . من جهة الينابيع . .

السيد بوبل : لماذا هذا الجنون ؟ هذه المعركة مع جميع انواع الوحدة . . . ألمح مهاوى حيث — تمشي . . . خوسيه . . . أنا محتاج اليك . . .

خوسيه ماركو : من جهة الينابيع . . .

السيد بوبل : أسمع الرياح . . وشفاه الغابة الكبيرة تَلعقُ الوحوش . . . عدْ ، ياخوسيه عمقُ — الأرض بلا نهاية . . لن تستطيع أن تكافح . .

خوسيه ماركو : من جهة الينابيع . . .

السيد بوبل : الضباب . . الزوابع الجليدية . . . عضة الشمس . . . انزل ياخوسيه . . لم يعد وجهك إلا قناعاً . . . أنت ترتجف . . . تنتحب . . معطفك طارَ ، وظهرُك دخانٌ . .

خوسيه ماركو : على جبلٍ عال . . من جهة الينابيع . . .

السيد بوبل : انظر ، حيث أنتَ ، إلى عذاب النجوم إلى الثقوب الواسعة في صدورها . . إلى ألواحها المحطمة . . وانظر إلى مقبرة القمر . .
. . . عدْ إلينا بين الهواء وبين الكروم . . .

خوسيه ماركو : من جهة الينابيع . . .

السيد بوبل : أين حصانك ؟ وزورقك ؟ ياحامل البريد ! خدك ممزّق . . . والجذور تنهشك . . الليل القاسي يمنعك من التقدّم . . اهبطْ . . .
عُدْ . . ستهلك ، ياخوسيه . .

خوسيه ماركو : سأعود ، سأعود لكي اشفيك . . .

السيد بوبل : انا إنسان ، لا أقدر أن أشفى . . .

خوسيه ماركو : أبحث عن نباتات . . .

السيد بوبل : لا يشفى غير الملائكة والآلهة .. أنا إنسان فلا تأمل بشفائى ...

خوسيه ماركو : انا في الأعالى لأجلك ياسيد بوبل ... انتظرنى ، ستشفيك النباتات ..

(صمت)

السيد بوبل : لماذا هذا الجنون ... ايها الصديق الذى اسمه يعنى جوزيف ...

(خوسيه ماركو يغيب) ...

المشهد الثانى عشر

(السيد بوبل ، كوريا ، سوبيز ، الكسندر)

(تظهر كوريا للسيد بوبل)

كـــوريا : ميشيل يحبنى .. ميشيل مجنون بحبّى ، يعانقنى ، يقبلنّى ... يُفْرط ! .. إنه طفل .. وهذه اللّعب ليست له .. لقد صار ظل نفسه ... قل له - ياسيد بوبل ، ألا يلمس يدى ، وخاصرتى .... ألا يعود لتشبيه شعرى الأسود بالكَرز .. أنا أشفق عليه !

السيد بوبل : . . . .

كـــوريا : لم يعد الطفل الذى عرفتَه ، ذلك الذى كان يتغدّى بين صلاتين . لم يعد ميشيل عاقلا . . . لم يعد يخجل . . . اخجل أن أخبرك بما يطلبه مني . . . أنا امرأة ، ولقد فهمت . . .

السيد بوبل : . . . .

كـــوريا : (بفصاحة وقلق) : حين جئت إلى « باولا سكالا » ، في آخر الليل، أطلق الجندى الذى كان يحرس الاوز في ضوء القمر ، رصاصةً لكى يفرّقنا . . . تمدّدنا آنذاك في العشب تحت الخِراف وبكينا .. كانت النجوم تشعّ في السماء ، وكنا نسمع دفْقَ المياه يفتح قمـَة كالعلقَات البعيدة . . .

هل تريد أن تركض ؟ قُبعتي من قش ّالسنغال . . . نرقص على جسدينا ، كعشّاق القماقم.. زرنا حصان الاصطبل الذى كان يكتب بحافره جنون الفلاحين . . . نمنا تحت عنقه لنصنـــع ثلاثة أعراف ، وقبل ان ينتهى الليل بوقتٍ طويل ، اصطدنا عنكبوتاً ضخماً أحمـــــر

كخطيئة البشر جميعاً . . . لم يعد ميشيل ابنكِ
يا سيد بوبل !

السيد بوبـــل : سامحك الله يا كوريا . . . لأنك كذبتِ . .
ميشيل لا يحب إلا والده . . .

(تغيب كـــوريا)

المشهد الثالث عشر

(السيد بوبل ، المتروبوليت نيقولا ، الكسندر ، سوبيز)

(الكسندر وسوبيز نائمان . السيد بوبل يرى
في هذيانه المتروبوليت نيقولا يحمل بيده سوطا

المتروبوليت نيقولا : هنري ؟ . . . هذا انا . . . المتروبوليت . . .

السيد بوبـــل : مونسينيور . . .

المتروبوليت نيقولا : صديقك نيقولا . . .

السيد بوبـــل : المونسينيور نيقولا . . .

المتروبوليت نيقولا : انا هنا بلارداء كهنوتي . . متنكر بثيـــاب
حوذي . . جئتُ من « باولا سكالا » من أجلك .
موتك عيد كبير . . .

السيد بوبـــل : (همساً) : هنري بوبل السعيد . . .

المتروبوليت نيقولا : لا توجد قربك زهور ولا أغصان زيتون . . لماذا هذه البساطة ؟

السيد بوبـــل : ما أسعد هنرى بوبل . . !

المتروبوليت نيقولا : ايها السعيد هنرى بوبل . . . أصْغِ .. أود أن احدثك طويلا . .. لكن من هما أولاً هذان الغريبان النائمان واللذان ليسا من مدينتنا ؟

السيد بوبـــل : رفيقـــان . . .

المتروبوليت نيقولا : لم أبحث عنك طويلاً . . لم اشرد . . . فلكى أجيء لملاقاتك لم افعل شيئاً سوى أننى نمت في الحقل بعد أن شربتُ حليبا . . اسمـــع . . . يقولون في «باولا سكالا » إنك نسيت قريتَك.. يقولون إنك لم تعد تريد أن تراهم ثانية . . .

السيد بوبـــل : . . . . .

المتروبوليت نيقولا : تجمّعوا حول بئر . . . يغنون ، يصرخون ، يسمونك منكراً للجميل . . . قلوبهم تتفطّر كالكستناء . . لماذا لا تنهض ؟ لماذا لا تمشى؟ . . أين روحك يا هنرى بوبل ؟

السيد بوبـــل : . . . . .

المتروبوليت نيقولا : يقولون في «باولاسكالا» إنك تفضّل السماء على قريتك . . .

السيد بوبل : . . . .

المتروبوليت نيقولا : بماذا ينبغى ان أجيب أهْلَ قريتك ؟

السيد بوبل : السماء قريـــة . . .

المتروبوليت نيقولا : هنرى بوبل السعيد . . السماء قرية ! هـــل لك الآن شيء تطلبه . . . غفران تحصل عليه؟ تكلم . . الزمن يمر . . والفجر يكاد أن يعلو في السماء . . . انظر الرابية انظر قوس الله . . .

السيد بوبل : أحب ان اصلى . .

المتروبوليت نيقولا : أقِم الصلاة ، سأتبعك . .

السيد بوبل : أبانا . . يامن أنت الضوء ، والذكرى ، والذّكاء . . . يامن أنت السنبلة ومخزنُ — الغلال . . . الوردةُ والبستانيّ ، أنت الجالس إلى يمينك أنت ! . . .

المتروبوليت نيقولا : انت الذى في السماء . . .

السيد بوبل : أبانا يا من أنت النهار وأشجارُ اللوز . . .

الجسم العاجز والفضاء . . . انت الماعــز والمعّاز . . . يامن أنت المرعى . . .

المتروبوليت نيقولا : يامن أنت الراعى . . .

السيد بوبل : يا من أنت وجهُك . . . يا أبى . . يا الهى..

المتروبوليت نيقولا : حنانَيْك . . .

السيد بوبل : الوردةُ عند قدميك حيوانٌ ليلى . . .والهواء طريقك . . .

المتروبوليت نيقولا : من لم يقابلك لم يعرف الحياة ولا قوة الحب ولا سلام الحقول . . .

السيد بوبل : حين يفترس القَمرُ الزرع ، ويفتح ثقوباً كبيرةً في البحيرات . . .

المتروبوليت نيقولا : حنانَيْك . . .

السيد بوبل : حتى في الليل ، يقرع الرّسلُ الجدران — ويبحثون عن الموتى . . .

المتروبوليت نيقولا : حنانيك ، حنانيــك . . .

السيد بوبل : حين تُوشكُ الكلمات أن تنتهى على الشفاه !

المتروبوليت نيقولا : لاشيء أكثر عذوبةً من ظلك . . .

السيد بوبل : ياشمس الأرض الباردة . . . ياعزائي .

(يسقط رأس السيد بوبل ثقيلا)

المتروبوليت نيقولا : والآن ألمس كلامك . . . أطبق عينيك . . لاتخش شيئا . . . أيها السيد هنري بوبل .

(يغيب المتروبوليت نيقولا . .)

المشهد الرابع عشر

(السيد بوبل ، الكسندر ، سوبيز ، ثم رئيس الأطباء)

(الغرفة بيضاء ، باهتة تقريبا ، وكأنها — افرغت من السحر ، الوقت فجر . يستيقظ الكسندر وسوبيز مايزال نائما .)

الكســــندر : الفجر ذو الألوان الجميلة . . رأس النهار . . (ينحني على النافذة) في الخارج تتنفس — السطوح ، والريّح نظيفة . . . (يتأفف) كل شيء يبدأ من جديد (همساً وهو ينظر الى السيد بوبل) استيقظ ياسيد بوبل ، ربما شفيت ؟ ، ياسيد ؟ لاشيء يختلج في وجهه. قطرة ماء على خدّه (بضعف) سيد بوبل،

انا الكسندر باولا سكالا . . الذى سيعيش عند أصدقائك (ينتبه الى أن السيد بوبل مات .) آه . . انتهى الأمر . .

(يضع الكسندر رأسه بين يديه ويجلس على كرسى . لاينتبه لمجيء رئيس الاطباء) .

رئيس الأطباء : (لالكسندر) : مالك ؟ متعب جدا . . وما هذه الثياب ؟ اين رداؤك ؟

الكسندر : (دون ان ينظر الى رئيس الأطباء) : لقد مات . .

رئيس الأطباء : (ملقياً من بعيد نظرة على السيد بوبل) : كل شيء يسير سيرا حسنا . . لم يعد حضورى ضروريا . (ينتبه الى ان الكسندر متعب.) تبدو حزينا جدا يافتى . . .

الكسندر : يجب ان أرحل . . (همساً) « باولا سكالا ».

رئيس الأطباء : لم نعد في حاجة اليك (يلاحظ فجأة منظر الكسندر التائه) لكن ماذا حدث هنا ؟ ماذا جرى في النهاية ؟ لم يعد المرضان يلبسان رداءهما الأبيض ؟ هل من الواجب ألايموت المرضى بعد الآن ؟

الكســــندر : أقسم انه استقبلني . . .

رئيس الأطباء : ؟ . . .

الكســــندر : (يتحدّث مع نفسه) : « باولا سكالا . . .
اذهب إلى هناك ، اذهب اليهم . » —
« صباح الخير ، سيد الكسندر . . . »

رئيس الأطباء : ؟ . . . .

الكســــندر : أين هي ؟ . . . « باولا سكالا » . . .

رئيس الاطباء : لاأفهم شيئا .) يسمع من بعيد صفير الباخرة
(وماذا تريد أن يحرك فيّ هذا الامر كله ؟
« باولا سكالا » . . اسأل . . اسأل وكالات
السفر واستفسر عن مواعيد القطارات . . .
(بسخرية) لاتنس أن تكتبَ اسمكَ على
الحقــائب . ياسيد الكسندر ! باولا —
سكالا ؟ ما أكثر الجنونَ في هذا العالــــم
(يخرج دون ان يلتفت الى الكسندر) ربما
كانت هذه مدينة، اسماً لمكان . . .
(يخرج)

الكســــندر : قرية صغيرة بالتأكيد . . .

النهايــة

ما صدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١	ـ ماتويل چاليتش	سمك عسير الهضم
٢	ـ چان آنوى	القبرة (چان دارك)
٣	ـ هال پورتر	البرج
٤	ـ تساو يو	عاصفة الرعد
٥	ـ هارولد بنتر	١ ـ الخادم الاخرس
		٢ ـ التشكيلة او عرض الازياء
٦	ـ جون وبستر	الشيطانة البيضاء
٧	ـ تيرانس راتيچان	الاسكندر المقدونى او قصة مغامرة
٨	ـ تيبرى مونييه	سباق الملوك
٩	ـ جون مورتيمر	استعدوا لركوب الطائرة وغيرها
١٠	ـ فريدريش دورنيمات	النيزك
١١	ـ يونسكو ـ اداموف ـ ارابال ـ البى	دراما اللا معقول
١٢	ـ اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ١
		١ ـ مس جوليا
		٢ ـ الاب
١٣	ـ نيقوس كازندزاكى	عطيل يعود
١٤	ـ بيتر فايس	انشودة انجولا
١٥	ـ اوليڤر جولدسميث	تواضعت فظفرت
١٦	ـ موليير	(من الاعمال المختارة) موليير ـ ١
		● مدرسة الزوجات
		● نقد مدرسة الزوجات
		● ارتجالية فرساى
١٧	ـ دوجلاس ستيوارت	عسكر وحرامية او نيد كيللى
١٨	ـ وليم شكسبير	العين بالعين

تابع ماصدر من هذه السلسلة

العدد	المؤلف	المسرحية
١٩	ـ اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٢
		الطريق الى دمشق ـ ثلاثية
٢٠	ـ رومان رولان	١٤ يوليو
٢١	ـ انجس ويلسون	شجرة التوت
٢٢	ـ تيرانس راتيجان	روس او لورانس العرب
٢٣	ـ كارون دى بورمارشيه	حلاق اشبيلية
٢٤	ـ وليم شكسبير	هاملت
٢٥	ـ نويل كوارد	الحياة الشخصية
٢٦	ـ سوفوكل	نساء تراخيس
٢٧	ـ جبرييل مارسل	(من الاعمال المختارة) جبرييل مارسل ـ ١
		١ ـ رجل الله
		٢ ـ القلوب النهمة
٢٨	ـ اريكي خارديل بونثيلا	ليلة ساهرة من ليالى الربيع
٢٩	ـ اوجست سترندبرج	(من الاعمال المختارة) سترندبرج ـ ٣
		١ ـ الاقوى
		٢ ـ الرباط
		٣ ـ الجرائم انواع
		٤ ـ موسيقى الشبح
٣٠	ـ بيتر شافر	اصطياد الشمس
٣١	ـ جورج شحاده	١ ـ حكاية فاسكو
		٢ ـ السيد بوبل

فهرست

الثمن

الكويت	١٥٠ فلسا	ليبيا	١٥ قرشا	مسقط	١٢٠ بيزا
السعودية	٢ ريال	المغرب	٢ درهم	اليمن الجنوبية	١٢٠ فلسا
العراق	١٥٠ فلسا	تونس	٢٠٠ مليم	اليمن الشمالية	٢٠ ريال
الأردن	١٥٠ فلسا	الجزائر	٢ دينار	البحرين	١٥٠ فلسا
سوريا	١,٥ ليرة	القاهرة	١٥٠ مليما	الخليج العربي	٢ ريال
لبنان	١,٥ ليرة	السودان	١٥٠ مليما		

مطبعة حكومة الكويت

فى العدد القادم

من المسرح المصرى القديم : انتصار حورس

ترجمة وتقديم : د . عادل سلامة

أهمية المسرحية التي يضمها هذا المجلد تكمن فى أنها تدعونا الى اعادة كتابة تاريخ المسرح العالمي واستكشاف جذوره لا فى الحضارة اليونانية ولكن فى مصر القديمة .

والمسرحية فى تناولها لجانب من أسطورة حورس تسجل فى مشاهدها الرمزية النصر الاخير لاله الخير على اله الشر . ونص المسرحية مأخوذ من النقوش الهيروغليفية على جدران معبد ادفو . وقد سجل النص على جدران هذا المعبد فى عهد بطليموس التاسع عام ٨٨ ق.م . تقريبا . ولكن اللغة التي كتب بها النص تدل على انه كان متداولا فى عهد الدولة الجديدة أى قبل ألف عام من انشاء ذلك المعبد ، كما ان الشعيرة التي تتناولها المسرحيَة موغلة في القدم الى ما يقرب من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد .

ويضم هذا المجلد ايضا تلخيصا لمسرحيتين أخريين أمكن التوصل لنصهما الهيروغليفي دون أن يسبق تقديمها فى العربية ، مع تعليق عليهما : وهما الدراما المنفية ، ومسرحية السر حول وراثة الملك ، وهما لا يقلان فى اهميتهما عن مسرحية انتصار حورس التي نقدم نصها كاملاً .

وبهذا يمكن القول ان هذا المجلد يدافع عن قضية المسرح المصرى القديم ، دفاعا مدعما بالوثائق والاسانيد ، ويفتح المجال للباحثين لالقاء المزيد من الضوء على هذا الجانب المغلق من حضارتنا القديمـة .